اربعین ... کتاب اربعین

کتتیم کوردوم کوزج ایلمیش بو زدز نه دوت الف ... ناف

قربان اولاو قوم بزده دوشدک دنقلر سز فضیلد

بیلدرا اولاقین قربان الی وقوم بزده اقبال راو

وردک یاردن بیته مایرام اولاناخره قس کیتیم

کمش پیلاسن لا اکه میتن منزه دود اقنه قربان

بزده اولدخ یادلر بینن اشنا دوست اولا الدی راه

باشنا اضرنلک کس پیکنه کیان قارشنه الا کوزلرنه قربا

الی وقوم بزده وادر دوز تازلی یاردن یاقنه باضماق اعلی

سعولنه یاقنه کل کنه یاقه لقنه کلد بخابنه قوشا خالالانده

تاچنه یارمن ... بنز

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم رب تمم بالخير

كتاب الاربعين في اصول الدين فمن شاء ان يكتبه مفرداً

فانه يشتمل على زبدة علوم القرآن القسم الاول في جمل العلوم

واصولها وهي عشر اصول الاصل الاول في الذات فنقول

الحمد لله الذي عرف الى عباده بكتابه المنزل على

لسان نبيه المرسل بانه في ذاته واحد لا شريك له فرد

لا مثل له صمد لا ضد له متوحد لا ند له قديم لا اول له ازلي

لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له ابدي لا نهاية له قيوم

لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفاً

بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصام بتصرم الآماد

وانقراض الآجال بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن

الاصل الثاني التقديس وانه ليس بجسم مصور

ولا جوهر محدود ولا عرض فلا تحله الاعراض بل لا

يماثل موجوداً ولا يماثله موجود وليس كمثله شيء ولا

هو مثل شيء وانه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار ولا

تحيط به الجهات ولا تكتنفه الارضون والسموات وانه

مستوٍ على العرش على الوجه الذي قال وبالمعنى الذي

فليكتب القسم الاول مع هذه العشرة ان عمل الاصل الاول

الاصل الثاني ... وجوده وانه لا يماثل الاجسام ... التقديس ... ولا تحله الجواهر [illegible]

٢

اراده استواء منزهاً عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول

والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته

ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شيء الى تخوم الثرى

فوقية لا تزيده قرباً الى العرش والسماء بل هو رفيع الدرجات

عن العرش كما انه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب

من كل موجود وهو اقرب الى العبد من حبل الوريد وهو على كل شيء

شهيد اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا يماثل ذاته ذات الاجسام

وانه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن ان يحويه مكان كما

تقدس عن ان يحده زمان بل كان قبل ان خلق الزمان والمكان

وهو الآن على ما عليه كان وانه بائن بصفاته من خلقه ليس في ذاته

سواه ولا في سواه ذاته وانه مقدس عن التغير والانتقال

لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله

منزهاً عن الزوال وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة

الاستكمال وانه في ذاته معلوم الوجود بالعقول اسرار الربوبية

فليلازم باب الله بالمحبة والشوق والاخلاص والتعظيم

والحياء والامتثال بالاوامر والانتهاء عن المعاصي والتجرد

والاقبال بكنه الهمة والتعرض لنفحاته والسعي فيما وضح ان

لم يطق ذلك فعليه ان يقتصر في هذا البحث ما عليه ابو حنيفة واصحابه

ورؤية الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار في دار القرار واتماما
للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم الاصل الثالث في القدرة وانه حي
قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تاخذه سنة ولا
نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وانه ذو الملك والملكوت والعزة
والجبروت له السلطان والقهر والخلق والامر والسموات
مطويات بيمينه والخلائق مقهورون في قبضته وانه متفرد
بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق واعمالهم
وقدر ارزاقهم واجالهم ولا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن
علمه وقدرته تصاريف الامور لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته
الاصل الرابع في العلم وانه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم
الارضين الى اعلى السموات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في
السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة
الظلماء ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر واخفى ويطلع على هواجس
الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم ازلي لم يزل موصوفا
به في ازل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال الاصل
الخامس في الارادة فانه مريد الكائنات مدبر للحادثات فلا
يجري في الملك والملكوت قليل ولا كثير ولا صغير ولا كبير خير او شر
نفع او ضر ايمان او كفر عرفان او نكر فوز او خسران زيادة او نقصان
طاعة او عصيان الا بقضاء الله وقدره ومشيئته فما شا لم يكن لا يخرج عن
مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل هو المبدئ المعيد الفعال
لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد

الاصل الثالث

الاصل الرابع

الاصل الخامس

كان وما لم يشاء صح

عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمعونته وارادته
ومشيئته لو اجتمع الجن والانس والملائكة والشياطين على ان يحركوا
في العالم ذرة او يسكنوها دون ارادته ومشيئته لعجزوا عنه وان ارادته
قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا في ازل
لوجود الاشياء في اوقاتها التي قدرها فوجدت في اوقاتها كما اراده
في ازله من غير تقدم ولا تاخر بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير
تبدل ولا تغير دبر الامور لا بترتيب افكار ولا تربص زمان فلذلك
لا يشغله شان عن شان اعلم ان هذا المقام مزلة الاقدام ولقد زلت
فيه اقدام الاكثرين لان تمام تحقيقه مستمد من تيار بحر عظيم ولجة
التوحيد وهم يطلبونه بالبحث والجدال ولقد قال صلى الله عليه وسلم ما
ضل قوم بعد هدى الا اوتوا الجدال ويستدلون بآيات القرآن بتاويلهم
وليسوا من اهل التاويل الحاذقين ولو نال كل احد مقام التاويل
لما قال صلى الله عليه وسلم داعيا لابن عباس رضي الله عنه اللهم فقهه
في الدين وعلمه التاويل ولما قال يعقوب ليوسف عليهما السلام وكذلك
يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث قال صاحب الكشاف يعني
معاني كتب الله وسنن الانبياء وما غمض واشتبه على الناس من اغراضها
يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وانما زلت قدم الاكثرين
في هذا المقام لانهم يتبعون الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم وهم لا
ليسوا الجاهلين بل قاصرون عاجزون لقصورهم لم يطيقوا الملاحظة

يسكنوها صح

ووقف صح

انتظار

مرشد

ويجتبيك صح

كنه هذا الامر فالجم عنان يطيقوا خوض غمرته بلجام المنع عن سر القادرية فقل لهم اسكتوا فانما لهذا خلقتم لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون عن ابي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علينا ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه فقال ابهذا امرتم ام بهذا ارسلت اليكم انما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الامر عزمت عليكم عزمت عليكم في هذا الامر لا تنازعوا فيه وعن ابي جعفر انه قال قلت ليونس ابن عبيد مررت بقوم يختصمون في القدر فقال لو همتهم ذنوبهم ما اختصموا في القدر وامثلا مشكوة بعضهم نورا يقتبس من نور الله وكان زيت بعضهم صافيا يكاد يضيء ولو لم تمسه نار فاشتعل نورا على نور فاشرقت اقطار الملكوت بعد انوارهم بنور ربهما فادركوا الامور كما هي عليه فقيل لهم تادبوا بادب الله واسكتوا واذا ذكر القدر فامسكوا ولذلك امسك عمر لما سئل عن القدر فقال لسائل بحر عميق لا تلجه ولما كرر السؤال فقال طريق مظلم لا تسلكه ولما كرر الثالثة فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه ومن اراد معرفة اسرار الملوك فليلازم بابهم بالمحبة والاخلاص والصدق والاعراض عن اعدائهم والامتثال باوامرهم والسعي فيما يرضيهم وكذلك من احب معرفة اسرار الربوبية فليلازم باب الله بالمحبة والصدق والاخلاص والتعظيم والحياء والامتثال بالاوامر والانتهاء عن المعاصي وطول المجاهدة والاقبال بكنه الهمة والتعرض لنفحاته والسعي فيما يرضى وان لم يطق ذلك فعليه ان يعتقد في هذا البحث ما عليه ابو حنيفة واصحابه حيث قالوا الاستطاعة في العبد فعل الله واستعمال الاستطاعة المحدثة فعل العبد حقيقة لا مجازا و

والقدرية انكروا قضاء الله تعالى وقدره وان الخير والشر من انفسهم ارادوا بذلك تنزيه الله عن الظلم وفعل القبيح ولكن ضلوا اذ نسبوا العجز الى الله في ضمن ذلك ولم يدروا والجبرية اعتمدوا على القضاء وقدره وان الخير والشر من الله وابرؤا انفسهم فعلا ارادوا بذلك تنزيه الله عن العجز فضلوا اذ نسبوا الظلم اليه في ضمن ذلك واضلوا سفهاءهم فكانوا يعصون الله وينسبون الى الله كالشيطان حيث قال بما اغويتني فالحاصل ان القدرية اثبتوا الاختيار الكلي للعبد في جميع افعال العباد وانكروا قضاء الله بالكلية في افعال العباد والجبرية نفوا الاختيار بالكلية في افعال العباد واعتمدوا على القضاء فينبغي للباحث منهم ان يقربهم ويفرق بين ايمانهم ودمائهم ويخرب وجوههم وينتفوا اشعارهم واشفارهم وشواربهم ولحاهم ويقتدي بما اعتذر هؤلاء في بطن افعالهم القبيحة القادرين منهم والمعتزلة اضافوا الشر فقط الى انفسهم واثبتوا لانفسهم الاختيار الكلي تحرزا عن نسبة القبيح الى الله والظلم ولكن نسبوا الى الله العجز في ضمن ذلك ولم يدروا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واهل السنة والجماعة توسطوا اذ نفوا الاختيار عن انفسهم بالكلية ولم ينفوا القضاء والقدر عن الله تعالى بالكلية بل قالوا افعال العباد من الله من وجه ومن العبد من وجه وللعبد اختيار في ايجاد فعله واعلم ان قضاء الله على اربعة اوجه قضاء الطاعة والمعصية والنعمة والشدة والمذهب المستقيم في ذلك انه اذا قضى لعبده الطاعة فعليه ان يستقبله بالجهد والاخلاص حتى يكرمه الله بالتوفيق لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا يعني الذين جاهدوا في طاعتنا وخدمتنا لنوفقنهم بذلك واذا قضى المعصية فعليه

ان يستقبله بالاستغفار والتوبة والندامة حتى يرزقه الله قبول التوبة
لقوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين واذا اقتضى النعمة
فعليه ان يستقبله بالشكر والثناء حتى يكرمه الله بالزيادة لقوله
تعالى لئن شكرتم لازيدنكم الآية واذا اقتضى الشدة فعليه ان يستقبله
بالصبر والرضا حتى يعطيه الله الكرامة في الآخرة لقوله تعالى ان الله
يحب الصابرين وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
الآية ثم اذا وقع في المعصية يرى قضاءه من الله عدلا ولا جورا ولا
يرضى من نفسه الوقوع فيه ويتعقبه بتوب ويستغفر لان القدري لا يرى
عدلا ولا جورا ولا يرضى من نفسه الوقوع فيه ويتوب ويستغفر لان
القدري لا يرى عدلا والجبري لا يرى الملامة من نفسه والمعتزلي لا يرى
المغفرة بغير توبة فاذا رأى اقتضاء الوقوع من الله عدلا فقد تبرأ
من القدرية وعلمت هذه الآية قل كل من عند الله فاذا استوجب الملامة
لنفسه فقد تبرأ من الجبرية وعلمت عليه هذه الآية ربنا ظلمنا انفسنا الآية
الاصل السادس في السمع والبصر وانه تعالى سميع بصير يسمع ويرى بغير سمع
لا بصر يسمع كل مسموع وان خفي ولا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق ولا
يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة واجفان ويسمع
من غير اصمخة واذان كما يعلم من غير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق
بغير آلة اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذات الخلق
الاصل السابع في الكلام وانه متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام
ازلي قديم قائم بذاته لا يشبه كلامه كلام الخلق كما لا تشبه ذاته ذات الخلق

الاصل السادس

سوانح

الاصل السابع

بر سيم خردن چانه ولب

بصوت يحدث من انسلاك هواء واصطكاك اجرام ولا حرف ينقطع باطباق
شفة او تحريك لسان وان القرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة
على رسله وان القرآن مقروء بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في
القلوب فانه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى ولا يقبل الانفصال والفراق
بالانتقال الى القلوب والاوراق وان موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى
بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله تعالى من غير شكل ولا لون واذا
كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما
بالحيوة والعلم والقدرة والارادة والبصر والكلام لا بمجرد الذات الاصل
الثامن في الافعال وانه لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله الله وفايض
من عدله على احسن الوجوه واكملها واعدلها وانه حكيم في افعاله عادل في
اقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد اذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في
ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون
تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من جن وانس وشيطان وملك وسماء وارض وحيوان
ونبات وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم
اختراعا وانشأه انشاء بعد ان لم يكن شيئا اذ كان في الازل موجودا
وحده ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق بعده اظهارا للقدرة وتحقيقا لما سبق
من ارادته ولما حق في الازل من كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته وانه متفضل
بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح
والايجاد لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان اذ كان
قادرا على ان يصب على عباده انواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والاوصاب

الاصل الثامن

واتمها ع

ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن قبيحا ولا ظلما وانه يثيب عباده على الطاعات بحكم
الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم اذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم
ولا يجب عليه لاحد حق وان حقه في الطاعات وجب على الخلق بايجابه على لسان
انبيائه لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا
امره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤا به الاصل التاسع
في الاخرة وانه يفرق بالموت بين الارواح والاجسام ثم يعيدها اليها عند الحشر والنشر
فيبعث من في القبور ويحصل ما في الصدور فيرى كل مكلف ما عمله من خير
او شر محضرا ويصادف دقيق ذلك وجليله مسطورا في كتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها ويعرف كل واحد مقدار عمله خيره وشره بمعيار صادق
يعبر عنه بالميزان وان كان لا يساوي ميزان الاعمال ميزان الاجسام الثقال
كما لا يساوي الاسطرلاب الذي هو ميزان المواقيت والمسطرة التي هي
ميزان المقادير والعروض الذي هو ميزان الشعر سائر الموازين ثم يحاسبهم
على افعالهم واقوالهم وسرائرهم وضمائرهم ونياتهم وعقائدهم ما ابدوه او اخفوه
فانهم يتفاوتون فيه الى مناقش في الحساب والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة
بغير حساب وهم المقربون وانهم يساقون الى الصراط وهو جسر ممدود بين منازل
الاشقياء والسعداء احد من السيف وادق من الشعر يخف عليه من استوى
في الدنيا على الصراط المستقيم الذي يوازيه في الخفاء والدقة ويتعثر فيه من عدل
عن سواء السبيل المستقيم الا من عفي عنه بحكم الكرم وانهم عند ذلك يسألون
فيسأل من شاء من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب
الرسول ومن شاء من المبتدعة عن السنة ومن شاء من المسلمين عن افعالهم
فيسأل الصادقين عن صدقهم والمنافقين عن نفاقهم ثم يساق السعداء الى
الرحمن وفدا والمجرمين الى جهنم وردا ثم يامر باخراج الموحدين من النار بعد الانتقام

الاصل الثامن

حتى

حتى لا يبقى في النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ويخرج بعضهم قبل تمام
العقوبة والانتقام بشفاعة الانبياء والعلماء والشهداء ومن له رتبة
الشفاعة ثم يستقر اهل السعادة في الجنة متنعمين ابد الاباد فيه
متنعمين بالنظر الى وجه الله تعالى ويستقر اهل الشقاوة في النار معذبين
تحت انواع العذاب محجوبين عن النظر بالحجاب الى وجه الله تعالى ذو
الجلال والاكرام الاصل العاشر في النبوة وانه خلق الملائكة وبعث
الانبياء وايدهم بالمعجزات وان الملائكة كلهم عباده لا يستكبرون عن عبادته
ولا يستحسرون اي لا يملون ولا يكلون بل يسبحون الليل والنهار لا يفترون وان الا
نبياء رسله الى خلقه وينتهي اليهم وحيه بواسطة الملك فينطقون
وحي يوحى لا عن الهوى وانه بعث النبي الامي القرشي محمدا صلى الله عليه وآله
وسلم برسالته الى كافة العرب والعجم والجن والانس فنسخ بشريعته الشرائع
فجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد وهو قول لا اله الا الله ما لم
يقترن بشهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله والزم تصديقه في جميع
ما اخبر عنه في امور الدنيا والاخرة والزمهم اتباعه والاقتداء به فقال ما آتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وانهم لا يعادون شيئا يقربهم الى الله تعالى الا
امرهم به ويبين لهم سبيله ولا شيئا يقربهم الى النار ويبعدهم عن الله الا نهاهم
عنه وعرفهم طريقه وان ذلك امور لا يرشد اليها مجرد العقل والذكاء بل هو اسرار
يكاشف بها من حظيرة القدس قلوب الانبياء والحمد لله على ما اوضح وهدى
واظهر من اسمائه الحسنى وصفاته العلى والصلوة على محمد المصطفى خاتم الا
نبياء وعلى آله واصحابه وسلم كثيرا فصل في التنبيه على الكتب الذي يطلب منها حقيقة
هذه العقيدة اعلم ان ما ذكرناه هو الحاصل من علوم القرآن لمن حصل ما يتعلق منها

الاصل التاسع

ولا يستحسرون اي لا يملون عن العبادة

بالله واليوم الاخر وهي ترجمة العقيدة التي لا بد وان ينطوي عليها قلب كل
مسلم بمعنى انه يعتقده ويصدق به تصديقا جازما ماوراء هذه العقيدة رتبتان احديهما
معرفة ادلة هذه العقيدة الظاهرة من غير غوص على اسرارها والثانية معرفة
اسرارها ولباب معانيها وحقيقة ظواهرها والرتبتان جميعا ليستا واجبتين على
جميع العوام اعني به ان نجاتهم في الاخرة غير موقوفة عليهما ولا فوزهم موقوف
عليهما وانما المفهوم موقوف عليهما كمال السعادة واعني بالنجاة الخلاص من العذاب
واعني بالفوز الحصول على اصل النعيم واعني بالسعادة نيل غايات النعيم فالسلطان
لو استولى على بلدة وفتحها عنوة فالذي لم يقتله ولم يعاقبه فهو ناج وان اخرجه عن
البلد والذي لم يعاقبه ومع ذلك مكنه من المقام في بلده مع اهله واسبابه فهو
مع النجاة فائز والذي خلع عليه واشركه في ملكه واستخلفه في مملكته وامارته
فهو مع النجاة والفوز سعيد ثم درجات زيادة السعادة لا تنحصر واعلم ان
الخلق في الاخرة ينقسمون الى هذه الاصناف بل الى اصناف اكثر من هذه
شرحها ما امكن بشرحها في كتاب التوبة فاطلبه منه فالرتبة الاولى من الرتبتين وهي معرفة
ادلة ظاهر هذه العقيدة فقد اودعناها الرسالة القدسية في نحو عشرين ورقة وهي
احد فصول كتاب قواعد العقائد من كتب الاحياء واما ادلتها مع زيادة تحقيق وزيادة
تانق في ايراد الاسولة والاشكالات فقد اودعناها كتاب الاقتصاد في الاعتقاد
في مقدار مائة ورقة وهو كتاب مفرد برأسه يحوي لباب علم المتكلمين ولكنه
ابلغ في التحقيق واقرب الى قرع ابواب المعرفة من الكلام الرسمي الذي يصادف
في كتب المتكلمين وكل ذلك يرجع الى الاعتقاد لا الى المعرفة فان المتكلم لا يفارق

جدا

العامي في كونه عارفا وكون العامي معتقدا بل هو ايضا معتقد وعرف مع
اعتقاده ادلة الاعتقاد لتتاكد الاعتقاد وتستمر ويحرسه عن تشويش
المبتدعة لا تنحل عقدة الاعتقاد الى انشراح المعرفة فان اردت ان تستنشق
شيئا من روائح المعرفة منه صادفت مقدارا يسيرا مبثوثا في كتاب الصبر
الشكر وكتاب المحبة وباب التوحيد من اول كتاب التوكل وجملة ذلك
من كتب الاحياء وتصادف منه قدرا صالحا يعرفك كيفية قرع باب المعرفة
في كتاب المقصد الاقصى في معاني اسماء الله الحسنى لا سيما في الاسماء المشتقة
من الافعال وان اردت صريح المعرفة بحقائق هذه العقيدة من غير مجمجة ومراقبة
جانب فلا تصادف الا في بعض كتبنا المضنون به على غير اهله فاياك وان
تغتر وتحدث نفسك باهليته فتشرئب لطلبه فتستهدف للتصريح بالرد
الا ان تجمع ثلث خصال احديها الاستقلال في العلوم الدينية الظاهرة ونيل رتبة
الامامة فيها والثانية انقلاع القلب عن الدنيا بالكلية بعد محو الاخلاق الذميمة
كلها منه كما سيأتي في اصول اخلاق الذميمة حتى لا يبقى فيك تعطش الا الى الحق
واهتمام الا به وشغل الا فيه وتعريج الا عليه والثالثة ان يكون قد اتيح لك السعادة
في اصل الفطرة بقريحة وفطنة بليغة لا تكل عن درك غوامض العلوم وتشملها
على سبيل البديهة والمبادرة فان البليد اذا اتقد خاطره واتعب نفسه ربما ادرك
بعض الغوامض ايضا ولكن يدرك منها شيئا يسيرا في مدة طويلة فلن يصلح
المعرفة الحقيقة الا لمن صاف كانه ... وانما يحصل ذلك بقوة الفطرة
وصحة القصد ثم بازالة كدورات الدنيا عن وجهه فانه الرين والطبع والغطاء الذي يمنع
الله تعالى القلوب عن معرفته وان الله تعالى يحول بين المرء وقلبه القسم الثاني
في الاعمال الظاهرة وهي عشرة اصول الاصل الاول في الصلوة قال الله تعالى

المضنون به
لاقتباس
القسم الثاني في الاعمال الظاهرة
الاصل الاول

واقم الصلوة لذكري قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصلوة عماد الدين فاعلم انك
في صلوتك مناج ربك فانظر كيف تصلي وحافظ فيها على ثلثة امور لتكون من
جملة المحافظين على الصلوة والمقيمين لها فان الله سبحانه انما يأمر بالاقامة
فيقول واقم الصلوة لذكري و اقيموا الصلوة وليس ~~الصلوة~~ يقول صلّ
ويثني على المحافظين على الصلوة فيقول الذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم
على صلوتهم يحافظون الاول المحافظة على الطهارة بان تسبغ الوضوء قبل الصلوة
واسباغها ان تأتي بجميع سننها واذكارها المروية عند كل وظيفة منها وتحتاط ايضا
في طهارة ثيابك وطهارة بدنك وطهارة الماء الذي تتوضأ به احتياطا لا تفتح
عليك ابواب الوسوسة فان الشيطان يوسوس في الطهارة فيضيع اكثر اوقات
العباد ثم اعلم ان المقصود من الطهارة الذي هو القشر الخارج من طهارة
البدن وهو القشر القريب من الطهارة القلب وهو اللب الباطن وطهارة القلب
عن النجاسة الاخلاقية اهم الطهارات كما سنذكره في القسم الثالث لكن لا يبعد ان يكون
للطهارة الظاهرة ايضا تاثير في اشراق نورها على القلب فانك اذا اسبغت
الوضوء واستشعرت نظافة ظاهرك صادفت في قلبك انشراحا وصفاء كنت لا تصادفه
قبله وذلك لسر العلاقة التي بين عالم الشهادة وعالم الملكوت فان ظاهر البدن
من عالم الشهادة والقلب من عالم الملكوت باصل فطرته وانما هبط الى عالم الشهادة
كالغريب عن جبلته كما تنحدر من معارف القلب الى الجوارح التي هي فكذلك
قد يرتفع من احوال الجوارح آثار الى القلب ولذلك امرنا بالصلوة مع انها حركات
الجوارح التي هي من عالم الشهادة ولذلك جعلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في

واستشعرت صح معلوم

الدنيا

الدنيا ومن الدنيا وقال حبب الي من دنياكم الثلاث الحديث فلا يستبعد ان تفيض من
طهارة الظاهر اثر على الباطن ففي جوانب صنع الله تعالى امور اعجب من هذا وقد عرف
بالتجربة ان المجامع في حال مباشرته لو ادمن النظر الى بياض شيء او حمرة فاتفق حتى
غلبت تلك الصورة على نفسه مال لون المولود الى ذلك اللون ان لم يغلب عليه وان
الجنين وقت ما يتحرك في البطن يميل صورته الى الحسن ان كانت الام شاهدت
في تلك الحالة لصورة حسنة بحيث غلبت تلك الصورة على نفسها وكذلك
امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المباشر عند مباشرته ان يحضر في قلبه
ارادة صلاح المولود ويدعو الله تعالى لولده فيقول اللهم جنبنا الشيطان
وجنب الشيطان ما رزقتنا حتى يفيض منه تعالى مبادي الصلاح على الروح
التي يخلقها عند انعقاد الجنين في محل الحرث بواسطة الصلاح الغالب على قلب
الحارث كما يفيض الله تعالى النور بواسطة المرآة المحاذية للشمس على بعض الاجسام
المحاذية للمرآة وبهذا الآن يفرح بابا عظيما من معرفة عجائب صنع الله تعالى في الملك
والملكوت والى قريب منه يرجع سر الشفاعة في الآخرة ولنجاوزه فقد خضنا الآن اكثر
الاعمال دون المعارف وقد اشممناك شيئا يسيرا من روائح اسرار الطاعة
الظاهرة فان كنت لا تصادف بعد الطهارة واسباغ الوضوء شيئا من الصفاء
الذي وصفناه فاعلم ان الخبث الذي عرض على قلبك من كدورات شهوات الدنيا
وشواغلها اقتضى كلال حس القلب فصار لا يحس باللطائف والاسرار الخفية
اللطيفة ولا في قوته الادراك الجليات ان يخفى فاشتغل بجلاء قلبك وتصفيته
فذلك اوجب عليك من كل ما انت فيه المحافظة الثانية ان تحافظ على سنن الصلوة
واعمالها الظاهرة واذكارها وتسبيحاتها حتى تأتي فيها بجميع السنن والآداب
والهيئات كما جمعناها في كتاب بداية الهداية فان لكل واحد منها سرا وله تاثير في

ولذلك

كتاره

ببف

القلب كما نبهنا عليه في تأثير الطهارة بل اشد وابلغ وشرح ذلك يطول وانت اذا اثبت
بذلك انتفعت به وان لم تعلم اسراره كما ينتفع شارب الدواء بشربه وان لم يعرف
طبايع اخلاطه ووجوه مناسبته لمرضه واعلم على الجملة ان للصلوة صورة صورها رب
الارباب كما صور الحيوان مثلا فروحها النية والاخلاص وحضور القلب وبدنها
الاعمال واعضائها الاصلية الاركان واعضاؤها الكمالية الابعاض فالاخلاص والنية
فيها يجري مجرى الروح والقيام والقعود يجري مجرى البدن والركوع والسجود يجري
مجرى الراس واليد والرجل واكمال الركوع والسجود بالطمأنينة وتحسين الهيئات يجري مجرى
حسن الاعضاء وحسن اشكالها والوانها والاذكار والتسبيحات المودعة فيها يجري مجرى
آلات الحس المودعة في الراس والاعضاء كالاذان والعين وغيرهما ومعرفة
معاني الاذكار وحضور القلب عندها يجري مجرى قوى الحس المودعة في آلات الحس
كقوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس في معادنها واعلم ان تقربك بالصلوة كتقرب
بعض خدم السلطان باهداء وصيفة الى السلطان واعلم ان فقد النية والاخلاص
من الصلوة كفقد الروح من الوصيفة والمهدي للجيفة الميتة مستهزئ بالسلطان
فيستحق سفك الدم وفقد الركوع والسجود يجري مجرى فقد الاعضاء وفقد الاذكار
يجري مجرى فقء العينين من الوصيفة وجدع الانف والاذنين وعدم حضور القلب
وغفلة عن معرفة معاني القرآن والاذكار كفقد السمع والبصر مع بقاء جرم الحدقة
والاذن ولا يخفى عليك من اهدى وصيفة بهذه الصفة كيف يكون حاله عند السلطان
واعلم ان قول الفقيه في الصلوة الناقصة ابعاضها وسننها انها صحيحة كقول الطبيب في الوصيفة
المقطوعة الاطراف انها حية وليست بميتة فان لم يكن ذلك كافيا في التقرب بها الى
السلطان ونيل الكرامة منه فاعلم ان الصلوة الناقصة ايضا صالحة للتقرب بها الى الله
تعالى ونيل الكرامة واني يشك ان ترد ذلك على المهدي ويزجر فلا يبعد مثل ذلك في الصلوة

اى الجارية الجميلة

التعظيم

فانها قد يتوجه على المصلي كالخرقة الخلقة كما ورد في الخبر فاعلم ان اصل الصلوة
والاحترام واهمال آداب الصلوة يناقض التعظيم والاحترام المحافظة الثالثة
ان تحافظ على روح الصلوة وهو الاخلاص وحضور القلب في جملة الصلوة
واتصاف القلب في الحال بمعانيها فلا تسجد ولا تركع الا وقلبك خاشع متواضع
على موافقة ظاهرك فان المراد خضوع القلب لا خضوع البدن ولا تقول الله
اكبر وفي قلبك شيء اكبر من الله تعالى ولا تقول وجهت وجهي الا وقد توجه قلبك بجملته
بكل وجه الى الله تعالى واعرض عن غيره ولا تقل الحمد لله الا وقلبك طافح بشكر نعمه
عليك فرح به مستبشر ولا تقول واياك نستعين الا وانت مستشعر ضعفك
وعجزك فانه ليس اليك من الامر شيء وجهد نفسك في ان تردد قلبك الى الصلوة
حتى لا تغفل من اولها الى آخرها فانه لا يكتب للرجل من صلوته الا ما عقل منها فان
تعذر عليك الاحضار في جميعها فلا اقل من ذلك فانظر فان كان قدر الغفلة بمقدار
ركعتين فلا تعد الصلوة ولكن افهم ان النوافل جوابر الفرائض فتنفل بمقدار
ان يحضر القلب فيها في مقدار ركعتين كلما زادت الغفلة زد في النوافل
حتى يحضر قلبك مثلا في عشر ركعات بقدر اربع ركعات وهو قدر فرضك
فمن رحمة الله تعالى عليك ان قبل منك جبران الفرائض بالنوافل هذه اصول
المحافظة على الصلوة الاصل الثاني في الزكوة والصدقة قال تعالى مثل الذين
ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة
حبة والله يضاعف لمن يشاء وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم هلك الاكثرون
الا من قال بالمال هكذا وهكذا فاعلم ان انفاق المال في الخير احد اركان الدين
وانما شرع التكليف به لما يتعلق به من مصالح العباد والبلاد وسد الخلات

ما تحتاج

ادعا

والفاقات ان المال محبوب الخلق وهم المحبوبات مامورون بحب الله تعالى ويدعون الحب
بنفس الايمان فجعل بذل المال معيارا لحبهم وامتحانا لصدقهم في دعواهم فان المحبوبات
كلها تبذل لاجل المحبوب الاغلب حبه على القلب فانقسم الخلق فيه على ثلث طبقات الطبقة
الاولى الاقوياء وهم الذين انفقوا جميع ما ملكوا ولم يدخروا لانفسهم شيئا فاولئك
صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الحب كما فعل ابو بكر اذ جاء بماله كله فقال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ماذا ابقيت لنفسك فقال الله ورسوله وقال لعمر ماذا
ابقيت لنفسك فقال مثله اي مثل ما اتيت به فقال صلى الله عليه واله بينكما مثل ما بين
كلمتيكما الطبقة الثانية المتوسطون وهم الذين لم يقدروا على اخلاء اليد عن المال دفعة
واحدة ولكن امسكوه لا للتنعم بل للانفاق عند ظهور المحتاج اليه فهم يقنعون في حق
انفسهم بما يقويهم على العبادة واذا عرض محتاج بادروا الى سد خلته وحاجته ولم يقتصروا
على قدر الواجب من الزكوة وانما غرضهم الاطلاع في الامساك ترصد الحاجات الطبقة
الثالثة الضعفاء وهم المقتصرون على اداء الزكوة الواجبة فلا يزيدون عليها ولا
ينقصون منها فهذه درجاتهم وبذل كل واحد على مقدار حبه لله وما اريك تقدر على الدرجة
الاولى والثانية ولكن اجتهد حتى تجاوز الدرجة الثالثة الى اواخر طبقات المتوسطين
فتزيد على الواجب ولو شيئا يسيرا فان مجرد الواجب حد البخلاء وقال الله تعالى ان يسا
لكموها فيحفكم تبخلوا اي يستقصي عليكم فتبخلوا فاجتهد ان لا يستقصي عليك يوم الا
وتتصدق بشيء وراء الواجب ولو بكسرة خبز فترتفع بذلك عن درجة طبقة البخلاء
وان لم تملك شيئا فليست الصدقة كلها في المال لكن كلمة طيبة وشفاعة ومعونة
في حاجته وعيادة مريض وتشييع جنازة وفي الجملة ان تبذل شيئا مما تقدر عليه
من جاه ونفس وكلام لتطييب قلب مسلم فيكتب بجميع ذلك صدقة وحافظ في زكوتك

وصدقتك

وصدقتك على خمسة امور الاول الاسرار فانه في الخبر ان صدقة السر تطفي غضب الرب
والذي يتصدق بصدقة لا تعلم به شماله وهو احد السبعة الذين يظلهم الله يوم لا
ظل الا ظله وقد قال الله تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم فبذلك
تتخلص عن الرياء فانه غالب على النفس وهو مهلك ينقلب في قبر اذا وضع
الانسان في قبره في صورة حية اي يوجع ايلام الحية والبخل ينقلب في صورة عقرب و
المقصود من الانفاق التخلص من رذيلة البخل فاذا امتزج به الرياء فكانه
كان جعل العقرب غذاء الحية فتتخلص من العقرب ولكن زاد في قوة الحية
اذ كل صفة من الصفات المهلكة في القلب انما غذاؤها وقوتها في اجابتها الى مقتضاها
الثاني ان تحترز من المن وحقيقته ان ترى نفسك محسنا الى الفقير متفضلا عليه و
علامته ان تتوقع منه شكرا او تستنكر تقصيره في حقك ومعاداته عدوك استنكارا ازيد
انك رايت لنفسك عليه فضلا وعلاجه ان تعرف انه المحسن اليك بقبول حق الله منك
فان من اسرار الزكوة تطهير القلب وتزكيته عن رذيلة البخل وخبث الشح ولذلك
كانت الزكوة مطهرة اذ بها حصلت الطهارة فكانها غسالة نجاسة ولذلك ترفع رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته من اخذ الزكوة وقال انها اوساخ اموال الناس
فاذا اخذ الفقير منك ما هو طهرة لك فله الفضل عليك ارايت لو كان فصاد افصدك
مجانا واخرج من باطنك الدم الذي يخشى منه الهلاك في الدنيا اكان الفضل لك
ام له فالذي يخرج عن باطنك رذيلة البخل وضررها في العقبى اكان اولى بان
تراه متفضلا الثالث ان تخرجه من اطيب اموالك واجودها قال الله تعالى ويجعلون
لله ما يكرهون وقال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون الاية وقال عليه السلام
ان الله تعالى طيب لا يقبل الا الطيب يعني الحلال فان المقصود من هذا اظهار درجة
الحب والانسان لا يؤثر الا الاحب اليه بالانفاق دون الاخس الرابع ان تعطي بوجه طلق
مستبشرا فانت به فرح من غير استكراه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

اكراه

الاخرى صح

قال الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون

سبق درهم مائة الف وانما اراد به ما يعطيه بشاشة وطيب نفس من انفس ما يجده فلذلك
افضل من مائة الف مع الكراهية الخامس ان تتخير لصدقتك محتاجا تزكو به الصدقة وهو
المتقي العالم الذي يستعين بها على طاعة الله تعالى وتقويه او الصالح المعيل ذو الرحم
فان لم تجتمع هذه الاوصاف فتزكو الصدقة باحادها ايضا ورعاية الفلاح اصل الامور
فما الدنيا الا بلغة للعباد وزادا لهم الى المعاد فليصرفها المسافر الى المحتاج هذه
الدار منزلا من منازل الطريق قال صلى الله عليه وآله لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك
الا تقي وقال اطعموا الاتقياء واولوا معروفكم المؤمنين الاصل الثالث في الصيام قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى كل حسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الا الصيام فانه
لي وانا اجزي به وقال عم لكل شيء باب وباب العبادة الصوم وانما كان الصوم مخصوصا
بهذه الخواص لامرين احدهما انه يرجع الى كف وهو عمل سري لا يطلع عليه احد غير الله تعالى
لا كالصلوة والزكوة وغيرهما والثاني انه قهر لعدو الله تعالى فان الشيطان هو القوي ولا
يقوى القوة الا بواسطة الشهوات والجوع يكسر جميع الشهوات التي هي آلة الشيطان
ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا
مجاريه بالجوع وهو سر قوله عم اذا دخل رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار
وصفدت الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر واعلم ان
الصوم بالاضافة الى مقداره على ثلث درجات وبالاضافة الى اسراره على ثلث درجات
ايضا اما درجات مقداره فاقلها الاقتصار على شهر رمضان واعلاها صوم داود
عليه السلام وهو ان يصوم يوما ويفطر يوما ففي الخبر الصحيح ان ذلك افضل من صوم الدهر
وانه افضل الصيام وسره ان من صام الدهر صار الصيام له عادة فلا يحس بوقعه في

الاصل الثالث

نفسه

نفسه بالانكسار وفي قلبه بالصفاء وفي شهواته بالضعف فان النفس انما تتاثر بما يرد عليها
لا بما مرنت عليه فلا يبعد هذا فان الاطباء ايضا ينهون عن الاعتياد بشرب الدواء
وقالوا من تعود ذلك لم ينتفع به اذا مرض اذ يالفه مزاجه فلا يتاثر به واعلم ان
طب القلوب قريب من طب الابدان وهو سر قوله عليه السلام لعبد الله بن عمرو وقد
كان يسأله عن الصوم فقال صم يوما وافطر يوما فقال اريد افضل من ذلك فقال لا
افضل من ذلك ولذلك لما قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان فلانا صام الدهر
ولا افطر فقال لا صام ولا افطر كما قالت عائشة لرجل يقرا بهذرمة ان هذا ما قرا
وما سكت واما الدرجة المتوسطة وهو ان تصوم ثلث الدهر ومهما صمت الاثنين و
الخميس واضفت اليه رمضان فقد صمت من السنة اربعة اشهر واربعة ايام
وهو زيادة على الثلث ولكن لابد وان ينكسر يوم في ايام التشريق فيرجع الزيادة الى
يوم واحد فما لم يصاحبه تعرفه فلا ينبغي ان تنقص من هذا القدر صومك فانه
خفيف على النفس وثوابه جزيل اما درجات اسراره فثلاث ادناها ان تقتصر على
الكف عن المفطرات ولا تكف جوارحك عن المكاره وذلك صوم العموم وهو قناعة
بالاسم الثانية ان تضيف اليه كف الجوارح فتحفظ اللسان عن الغيبة والعين عن
النظر بالريبة وكذا سائر الاعضاء الثالثة ان تضيف اليه صيانة القلب عن الفكر
والوسواس فتجعله مقصورا على ذكر الله تعالى وذلك صوم خصوص الخصوص وهو
الكمال ثم للصيام خاتمة بها يكمل وهو ان يفطر على طعام حلال لا على شبهة وان لا يستكثر
من اكل الحلال بحيث يتدارك ما فاته ضحوة فيكون قد جمع بين الاكلتين خفة واحدة
فيثقل معدته وتقوى شهوته ويبطل سر الصوم وفائدته ويفضي الى ان يتكاسل
عن التهجد وربما لا يستيقظ قبل الصبح وكل ذلك خسران وربما لا يوازيه فائدة الصوم
الاصل الرابع في الحج قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا

الاصل الرابع

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهودياً وان شاء
نصرانياً وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بني الاسلام على خمس الحديث والحج اعمال ظاهرة قد ذكرناها
في الاحياء ونحن ننبهك الآن على آداب دقيقة واسرار باطنة اما الآداب فسبعة
الاول ان يرتاد للطريق رفيقاً صالحاً ونفقة طيبة على الاخ لزاد الحلال ينور القلب
والرفيق الصالح يذكره الخير ويحجزه عن الشر الثاني ان يخلي يده عن مال التجارة كي لا
يتشعب فكره وتتنغص خلوته ولا يتصدى للزيادة قصده الثالث ان يوسع في طريقه
الطعام ويطيب الكلام مع الرفقاء والمكاري الرابع ان يترك الرفث والجدال و
التحدث بالفضول وامر الدنيا بل يحفظ لسانه بعد مهمات حاجته على الذكر وتلاوة
القرآن الخامس ان يركب راحلة دون المحمل ويكون رث الهيئة اشعث اغبر غير
متزين بل على هيئة المساكين حتى لا يكتب في زمرة المترفين السادس ان ينزل عن
الدابة احياناً ترفيهاً للدابة وتطييباً لقلب المكاري لعله ينتعش وتخفيفاً للاعضاء بالتحرك
ولا يحمل الدابة ما لا تطيق بل يرفق بها ما امكن السابع ان يكون طيب النفس على ما انفق
من نفقة وعلى ما اصابه من تعب وخسران وان يعد ذلك من آثار قبول حجه لتضاعف الثواب عليه
واما اسراره فكثيرة لنومئ منها الى فنين احدهما انه وضع بدلاً عن الرهبانية التي كانت
في الملل كما ورد به الخبر فجعل الله الحج رهبانية لامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فشرف البيت
العتيق واضافه الى نفسه ونصبه مقصداً للعباد وجعل ما حواليه حرماً لبيته تفخيماً لامره
وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره
ووضعه على مثال حضرة الملوك ليقصده الزوار من كل فج عميق شعثاً غبراً متواضعين
لرب البيت خضوعاً لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزهه عن ان يكتنفه
بيت او يحويه مكان ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم ولذلك كلفهم
اعمالاً غريبة لا تناسب الطبع والعقل ليكون اقدامهم بحكم محض العبودية وامتثال

الامر من غير معاونة باعث آخر وهذا اثر عظيم في الاستعباد ولذلك قال صلى الله عليه وآله
لبيك بحجة حقاً تعبداً ورقاً الفن الثاني ان هذا وضع على مثال سفر الآخرة فليتذكر
المريد لكل عمل من اعماله امراً من امور الآخرة موازياً له فان فيه تذكرة للمتذكر وعبرة
للمعتبر المستبصر فيتذكر من اول سفره عند وداعه اهله وداع الاهل في
سكرات الموت ومن مفارقة الوطن الخروج عن الدنيا ومن ركوب الجمل ركوب
الجنازة ومن الالتفاف في اثواب الاحرام الالتفاف في اثواب الكفن ومن دخول
البادية الى الميقات ما بين الخروج من الدنيا الى ميقات القيمة ومن هول قطاع الطريق
سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وحياته ومن انفراده عن اهله
واقاربه وحشة القبر ووحدته ومن التلبية اجابته داعي الله تعالى عند البعث وكذلك
في سائر الاعمال فان في كل سراً وتحته رمز ينتبه له كل عبد بقدر استعداده بحسب
صفاء قلبه وقصور همته على مهمات الدين الاصل الخامس في قراءة القرآن قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم افضل عبادة امتي قراءة القرآن وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
لو كان القرآن في اهاب لما مسته النار وقال عليه السلام ما من شفيع افضل منزلة
عند الله تعالى يوم القيمة من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره وقال يقول الله عز وجل من
شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي اعطيته افضل ثواب الشاكرين واعلم ان للقرآن
آداباً ظاهرة واسراراً باطنة اما الآداب الظاهرة فثلاثة الاول ان تقرأه باحترام
وتعظيم ولن تلزم الحرمة قلبك ما لم تلزم هيئة الحرمة ظاهرك وقد عرفت كيفية علاقة القلب
بالجوارح وجريان ارتفاع الانوار منها اليه وهيئة الحرمة ان تجلس على الطهارة ساكناً
مطرقاً مستقبل القبلة غير متكئ ولا متربع ولا قائم كما تجلس بين يدي المقرئ وتقرأه
بترتيل وتفخيم وتؤدة حرفاً حرفاً من غير هذرمة قال ابن عباس رضي الله عنه لان اقرأ اذا
زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الي من ان اقرأ البقرة وآل عمران تهذيراً والثاني ان تتشوق

في بعض الأوقات الى اقصى درجات الفضل فيه وذلك بان تقرأه في الصلوة قائماً خصوصاً في المسجد وبالليل
لان القلب بالليل اصفى وافرغ فانك وان خلوت بالنهار فتردد الخلق وحركتهم في اشغالهم تحرك
باطنك وتشغلك خصوصاً ان كنت تتوقع وتتوقع ان تطلب شغلاً من الاعمال فكيف ما قرأته ولو مضطجعاً
من غير طهارة فلا يخلو عن الفضل فان الله تعالى اثنى على الجميع وقال الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً
وعلى جنوبهم الآية ولكن ما ذكرناه في زيادة الفضل فان كنت من تجار طريق الآخرة فلا يسهل عليك
ترك الفضل وقال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلوة كان له بكل حرف مائة حسنة
ومن قرأ القرآن في غير الصلوة وهو على طهارة فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر
حسنات الثالث في مقدار القراءة وله ثلث درجات ادناها ان تختم في الشهر مرة واقصاها ان تختم
في ثلثة ايام وقال عليه السلام من قرأ القرآن في اقل من ثلث لم يفقه واعدلها ان تختم في الاسبوع واما
الختم في كل يوم فغير مستحب فاياك ان تتصرف بعقلك فتقول ما كان خيراً او نافعاً فكلما كان اكثر فهو
انفع فان عقلك لا يهتدي الى اسرار الامور الالهية وانما يتلقفها قوة النبوة فعليك بالاتباع
فان خواص الامور لا تدرك بالقياس اما ترى كيف نهيت عن الصلوة في بعض النهار وامرت
بتركها بعد العصر وبعد الصبح وعند الطلوع والغروب والزوال وذلك ينتهي الى قدر ثلث
النهار وكيف يزيد الدواء ربما يقتل واما الاسرار الباطنة فخمسة الاول ان تستشعر في قراءتك
عظمة الكلام باستشعار عظم المتكلم فتحضر في قلبك العرش والكرسي والسموات
والارض وما بينهما من الجن والانس والحيوانات والنبات وتتذكر ان الخالق لجميعها
واحد وان كلها في قبضة قدرته مترددة بين فضله ورحمته وانك تريد ان تقرأ كلامه
وتنظر الى صفة ذاته وتطالع كمال حقيقة معناه وباطنه محجوب عن باطن القلب الا اذا
كان مطهراً من كل رجس وخبث من خبائث الباطن ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة اذا
نشر المصحف ربما غشي عليه ويقول هذا كلام ربي واعلم انه لولا ان انوار كلامه القديم
وعظمته غيبت بكسوة الحروف لما اطاق سماعه مجرداً عن كسوة الحروف والاصوات

كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حتى صار دكاً دكاً والثانية ان تقرأ بتدبر معانيه ان كنت من اهله
وكل ما يجري على لسانك بنوع غفلة قاعدة ولا تعقله من عملك لان الترتيل في الظاهر للتمكن من
التدبر قال علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها
واياك ان تصرف شغلك بعدد الختمات على نفسك فلان تردد آية واحدة
ليلة تتدبرها خير لك من ختمتين فقد قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسم الله
الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة وقال ابو ذر رضي الله عنه قام رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم بنا ليلة فقام بآية يرددها ان تعذبهم فانهم عبادك وقام تميم الداري
رضي الله عنه ليلة يقول ام حسب الذين اجترحوا السيئات الآية وقام سعيد بن
جبير رضي الله عنه ليلة يقول وامتازوا اليوم ايها المجرمون ولعل الاليق بك ما قاله
بعض العارفين اذ قال لي في كل جمعة ختمة وفي كل سنة ختمة وفي كل شهر ختمة ولي ختمة
منذ ثلثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات التدبر فان القلب في بعض
الاوقات لا يحتمل التدبر الطويل فليكن للتدبر الطويل ختمة خاصة والثالث ان
تجتني في تدبرك ثمار المعرفة من اغصانها وتقتبسها من اوطانها فلا تطلب الترياق
من حيث تطلب منه الجواهر ولا الجواهر من حيث تطلب منه المسك والعود فان لكل ثمرة
غصناً ولكل جوهر معدناً وانما تيسر لك هذا بان تعرف الاصناف العشرة التي حصرنا فيها
اقسام القرآن وهي عشرة معادن فما يتعلق من القرآن بالله تعالى وصفاته وافعاله فا
قتبس منه معرفة الجلال والعظمة وما يتعلق بالارشاد الى الطريق المستقيم فاقتبس
منه معرفة الرحمة والعطف والحكمة وما يتعلق منه باهلاك الاعداء فاقتبس منه معرفة
العزة والاستغناء والقهر والتجبر وما يتعلق باحوال الانبياء فاقتبس منه معرفة اللطف والغلبة
والنعمة والفضل والكرم وكذلك في كل صنوف ما يليق به فلا تنظر فيها بعين واحد
وشرح ذلك يطول الرابع ان تتخلى عن موانع الفهم وهي الاكنة التي تمنع من الفقه قال

الله تعالى وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وقال عليه السلام لولا أن الشياطين
يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء واعلم أن معاني القرآن من جملة الملكوت
وإنما حروفها من عالم الشهادة والأكنة التي يبتلى بها المتعطش إلى الحق نوعان أما ما
يبتلى به ضعيف الإيمان من حجاب الشك والجحود وأما ما يبتلى به المنهمك في الدنيا من
حجاب الشهوات المستغرقة للقلب فذلك جلي لا يخفى كونه مانعا من فهم لطائف القرآن و
اقتباس أنواره فيها يحجب أكثر الخلق وأما القراء المتجردون لطريق الله فيحجبون بنوعين
آخرين أحدهما الوسواس الصارف للقلب عن التفكر في التنزيل أنها كيف كانت في الابتداء
وهل بقيت الآن وهل هو مخلص في الحال هذا إن كان في الصلوة أو وسواس الصارف للهم
إلى تصحيح مخارج الحروف والتشكيك فيها وإعادتها لأجل ذلك وهذا يعم في الصلوة وغيرها
وكيف يطالع أسرار الملكوت قلب مصروف إلى مطالعة الشفتين وكيفية انطباقهما واللسان
والحنك وكيفية انسلاك الهوى من اصطكاكها وهو يعني تقطيع الحروف وتصحيحها النوع
الثاني التقليد لظواهر معنى القرآن والجمود عليه وذلك حجاب عظيم عن الفهم ولست أعني به
التقليد الباطل كتقليد المبتدع بل التقليد الحق الصافي فإن الحق الذي كلف الخلق اعتقاده
له درجات وله مبدأ ظاهر وهو كالقشر والمثال وله غور باطن وهو كاللباب قال النبي صلى الله
إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا فالمقلد على الظاهر الظان أنه ليس وراءه مرتقى يرتقي بلا رقي
إليه كيف تتصور أن تنكشف له الأسرار فقد كلف الخلق مثلا أن يعتقدوا أن الله يرى ولكن
للرؤية ظاهر هو قوله لن تراني فكيف يفهم أن ذلك ممتنع في هذه الحيوة الدنيا بهذه العين
الموقوف على ملاحظة الجهات والأقطار وكيف يفهم لا تدركه الأبصار مع قوله وجوه يومئذ ناضرة إلى
ربها ناظرة ويكفيك هذا المثال الواحد فلسنا نكشف لك أكثر من هذا ولسنا نقصد في هذه الأصل
إلا التلويحات بمبادي الأسرار شوقا للمستعد ثالثها الحاسي أن لا تقتصر على اقتباس الأنوار
بل تضيف إليه اقتباس الأحوال والآثار وذلك أن لا تقرأ آية إلا وتصير بصفتها فتكون لكل
كلمة حال ووجد فعند ذكر الرحمة والمغفرة تستبشر كأنك تطير من الفرح وعند ذكر الغضب والنقمة

والعقاب تتضاءل كأنك تموت من الفزع وعند ذكر الله وأسمائه وعظمته تتطأطأ وتتصاغر
حتى كأنك تنمحي من مشاهدة الجلال وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل من الولد والصاحبة
تنكس وتغض صوتك كأنك تنطمس من الحياء وكذلك في كل صنف من الأصناف العشرة
وذلك أيضا يطول ولينظر أثر ذلك على جوارحه من بكاء عند الحزن وعرق جبين عند
الحياء واقشعرار جلد وارتعاد فرائص عند الهيبة والإجلال وانبساط في الأعضاء
واللسان والقوة عند الاستبشار وانقباض فيها عند الاستشعار فإذا فعلت ذلك
اشتركت في نيل حظ القرآن جميع أجزائك وفاضت آثار القرآن على عوالمك الثلاث أعني
عالم الملكوت وعالم الجبروت وعالم الشهادة واعلم أنك مركب من العوالم الثلث
وفيك من كل عالم جزء واعلم أن محض أنوار المعرفة تفيض من عالم الملكوت إلى
القلب لأنه أيضا من الملكوت وأما آثار رهبة الخشية والخوف والسرور والهيبة
وساير الأحوال فإنها تهبط من عالم الجبروت فمهبطها الصدر الذي هو من عالم الجبروت
وهو عالم آخر من عوالمك كنينا عنه بالصدر كما كنينا عن الأول بالقلب لأن عالم الجبروت
بين عالم الملكوت وعالم الشهادة وكما أن الصدر بين القلب والجوارح وأما البكاء والشهقة
والاقشعرار وارتعاد الفرائص فتنزل من عالم الشهادة ومهبطه الجوارح لأنها من عالم
الشهادة وما أراك تفهم من القلب غير اللحم الصنوبري الشكل ومن الصدر غير العظام
المحيطة فإنك لا تدرك من كل شيء إلا غلافه وقشره وما بعدك فإن هذا يوجد للميت والبهيمة
ولا ينزل عليه أنوار المعارف والعلوم ولا آثار رهبة الخشية والهيبة والسرور فإن
أردت أن تستنشق شيئا من روايح هذه الأسرار وما أراك تريد تفوق أخذ محلوك
بحبال الشهوات فعليك بباب التوحيد من أول كتاب التوكل إذا أردته واعلم أن
القرآن كالشمس وفيضان أسرار المعارف منه على القلب كفيضان الشمس على الأرض
وسريان آثار الخشية إثر نعمة المعرفة إنما يخشى الله من عباده العلماء وانتشار الحركات

والنقرات الى الجوارح من البكاء والعرق والاقشعرار والارتعاد منبعث من
آثار الخشية وسائر الاحوال كحركة اجزاء الارض بتصاعد الابخرة والادخنة منها بتصعيد
حرارة الشمس فالحركة تبع الحرارة والحرارة تبع النور والنور تبع وقوع المحاذات بين الارض والحرارة
والشمس فاجتهد بان تحاذي بوجه قلبك شطر شمس القرآن وتستضيء بانواره
كذلك فان لم تطق ذلك فاصغ الى النداء الوارد من الطور الايمن فان آنست من
جانبه نارا فخذ منه قبسا واشتعل منه سراجا فان كان زيتك يكاد يضيء ولو لم تمسسه النار
فاذا مسته النار اشرق منه الضياء ووجدت على النار هدى وقام في حقك مقام
الشمس المستنير للاشراق والضياء الاصل السادس ذكر الله تعالى في كل الاصل السادس
حال قال الله تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقال الله تعالى
واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لذكر الله
تعالى بالغدو والعشي افضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن اعطاء
المال سخيا وقال عليه السلام الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها المال جنبه
وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من ان تلقوا اعداءكم فتضربوا
اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل وقال عليه السلام
سبق المفردون قيل من هم يا رسول الله قال المستهترون بذكر الله وضع ذكر الله عنهم اوزارهم
فوردوا القيمة خفافا واعلم انه قد انكشف لارباب البصائر ان الذكر افضل الاعمال ولكن له
ثلثة قشور بعضها اقرب الى اللب من بعض وله لب وراء القشور الثلاثة وانما فضل
القشور لكونها طريقا اليه فالقشر الاعلى منه ذكر اللسان فقط والثاني ذكر القلب اذا كان
القلب يحتاج الى مراقبته حتى يحضر مع الذكر ولو ترك وطبعه لاسترسل في اودية الافكار والثالث
ان يتمكن الذكر من القلب ويستولي عليه بحيث يحتاج الى تكلف في صرفه عنه الى غيره كما احتيج
في الثاني الى تكلف في قراره معه ودوامه عليه والرابع وهو اللباب ان يتمكن المذكور من القلب
وينمحي الذكر ويخفى وهو اللباب المطلوب وذلك بان لا يلتفت الى الذكر ولا الى القلب بل يستغرق

بالمذكور

بركاته

المذكور جملة ومهما ظهر له في اثناء ذلك التفات الى الذكر فذلك حجاب شاغل وهذه الحالة التي
يعبر عنها العارفون بالفناء وذلك بان يفنى ويغيب عن جميع ذلك ويغيب عن نفسه وذلك
ذاهبا الى ربه اولا ثم ذاهبا فيه آخرا فان خطر له في اثناء ذلك انه فنى عن نفسه بالكلية فذلك
شوب وكدورة بل الكمال في ان يفنى عن نفسه ويفنى عن الفناء فان الفناء عن
الفناء غاية الفناء وهذا في نظر الفقيه الرسمي انه طامات غير معقولة وليس كذلك بل
هذه الحالة لهم بالاضافة الى محبوبهم كحالتك في اكثر الاحوال بالاضافة الى محبوبك من جاه
او مال او معشوق فانك قد تصير مستغرقا في ثورة الغضب بالفكر في عدوك ولشدة التفكر
في معشوقك حتى لا تكون فيك متسع لغير الشيء اصلا فتخاطب فلا تفهم ويجتاز بين يديك غيرك
فلا تراه وعيناك مفتوحتان وتتكلم غيرك فلا تسمع وما تحس بذلك وانت في هذه الاستغراق
غافل عن كل شيء وعن الاستغراق ايضا فان الملتفت الى الاستغراق معرض عن المستغرق
به وانما سموا هذه الحالة فناء وان الشخص والظل باقيا لان الاشخاص والاظلال بل المحسوسة كان
ليس لها حقيقة الوجود بل الوجود الحقيقي لعالم الامر والملكوت والقلب من عالم الامر قال الله تعالى
قل الروح من امر ربي والقالب من عالم الخلق واعني بالقلب اللطيفة الذاكرة العارفة التي هي
مهبط الانوار الالهية دون القلب الظاهر فان ذلك من عالم الخلق ولا تفهم من هذا
اشارة الى قدم الروح وحدوث القالب بل هو جميعا حادثان وانما اعني بالخلق ما تقع عليه المساحة
والتقدير وهي الاجسام وصفاتها واعني بعالم الامر ما لا يتطرق اليه التقدير والعالم الجسماني
ليس له وجود حقيقي بل هو من ذلك العالم كالظل من الاجسام وليس لظل الانسان حقيقة
الانسان فليس للشخص حقيقة الوجود بل هو ظل الحقيقة والكل من صنع الله تعالى قال الله تعالى
ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال وسجود عالم الامر
طوع لله تعالى وسجود عالم الظلال كره وتحته سر بل اسرار يحرك اوائلها سلسلة المجانين
الجمع فضلا عن اواخره فليس وزنه فقد افصحنا لك مما اراده بالفناء فدع عنك الفتنة والتعسف
التكذيب بما لم تحط بعلمه كما قال الله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وقال تعالى واذ لم يهتدوا به

[illegible]

فيقولون هذا إفك قديم واذا فهمت الفناء في المذكور فاعلم انه اول الطريق وهو الذهاب الى الله
تعالى وانما الهدى بعده اعني بالهدى هدى الله كما قال الخليل صلوات الله على نبينا وعليه اني
ذاهب الى ربي سيهدين فاول الامر ذهاب الى الله تعالى ثم ذهاب في الله وذلك هو الفناء
والاستغراق به ولكن هذا الاستغراق اولا يكون كبرق خاطف قل ما يثبت ويدوم فان دام
ذلك صار عادة راسخة وهيئة ثابتة عرج به الى العالم الاعلى وطالع الوجود الحقيقي الاصفى
وانطبع له نقش الملكوت وتجلى له قدس اللاهوت واول ما يتمثل له من ذلك العالم
جواهر الملائكة وارواح الانبياء والاولياء في صورة جلية يفيض اليه بواسطتها بعض
الحقائق وذلك في البداية الى ان تعلو درجته عن المثال فيكافح بصريح الحق في كل شيء فاذا
رُدّ الى هذا العالم الذي هي كالظلال نظر الى الخلق نظر مترحم عليهم لحرمانهم عن
مطالعة جمال حضرة القدس وتعجب منهم في قناعتهم بالظلال وانخداعهم بعالم الغرور وبعالم
الخيال فيكون بينهم حاضرا بشخصه غائبا بقلبه متعجبا من حضورهم ويتعجبون هم من غيبته فهذه
ثمرة لباب الذكر وانما مبدؤه ذكر اللسان ثم ذكر القلب تكلفا ثم ذكر القلب طبعا ثم استيلاء
المذكور وانمحاء الذكر وهذا سر قوله صلى الله عليه وآله وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر
ذكر الله تعالى بل سر قوله عليه السلام يفضل الذكر الخفي على الذكر الذي يسمعه الحفظة بسبعين
ضعفا واعلم ان كل ذكر تشعر به قلبك فتسمعه الحفظة فان شعورهم تقارن شعورك وفيه سر
حتى اذا غاب ذكرك عن شعورك بذهابك في المذكور بالكلية فيغيب ذكرك عن شعور
الحفظة وما دام القلب يشعر بالذكر ويلتفت اليه فهو معرض عن الله تعالى وغير منفك عن شرك
خفي حتى تصير مستغرقا بالواحد الحق فذلك هو التوحيد وكذلك القول في المعرفة فمن طلب
المعرفة للمعرفة فقد قال بالثاني فمن وجد المثل ان لا يجد بل يجد المعروف بها فهو الذي استمكن
من حقيقة الوصال وتحلى بالحضور في حظيرة القدس فان قلت فلم اختصت هذه المكاشفات
بحال الفناء واعلم ان هذه قصة يطول فيها نظر الناظر وذلك اذا تأملت لم تقصر عن ان تدرك
كون الحواس وعوارض النفس وشهواتها جاذبة الى هذا العالم المحسوس وهو عالم الزور
والغرور ولذلك ينكشف صريح لحديث الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا الحق بالموت لبطلان
سلطان الحواس والخيالات المولدة بوجه القلب الى عالم السفلي فان قهر عنده سلطان الحواس

بالنوم

بالنوم طولعت بشيء من الغيب على قدر استعدادك وقبولك وهمتك ولكن بمثال يحتاج الى
التعبير وما عندي انه لم تصادف من نفسك رؤيا صادقة اطلعت بها على امر مستقبل
لكن الخيال لا يفتر في النوم وان كانت الحواس فلذلك يضعف الاطلاع ولا يخلو عن
شوب المثال فاما الفناء فعبارة عن حالة تركد الحواس فيها فلا يشوش فان بقيت في
الخيال بقية مغلوبة لم تؤثر الا في محاكاة ما يتجلى من عالم القدس حتى يتمثل الانبياء و
الملائكة والارواح المقدسة في قوالب الخيال فهذه امور تنبهت عليها لتكون متشوقا
الى ان تصير من اهل الذوق بها فان لم تكن من اهل العلم بها فان لم تكن من اهل
الايمان ويرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات واياك ان تكون من
المنكرين بها فتلقى العذاب الشديد اذا كشفت بالحق عند سكرة الموت الذي
كنت منه تحيد وقيل لك لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم
حديد واعلم ان الايمان والعلم والذوق ثلاث درجات متفاوتة فان العنين مثلا يتصور
ان يصدق بوجود شهوة الوقاع لغيره بان يقبل ذلك ممن يحسن ظنه ولا يتهمه بالكذب
وذلك ايمان ويتصور ان يعلم بالبرهان وجوده لغيره وهو علم وماخوذه قياس اذ ينظر الى
شهوته للطعام مثلا فيقيس بها شهوة الوقاع فكل ذلك بعيد عن ادراك حقيقة
الشهوة بوجودها له وكذلك المرض يعرفه العامي الصحيح ويؤمن به ويعرفه الطبيب الصحيح
بالبرهان وهو علم ومن لم يعرفه فاذا مرض يحصل له بالذوق فكذلك القول في الفناء في
التوحيد والذوق مشاهدة تحقيق والعلم قياس والايمان قبول بحسن الظن
مع الانفكاك عن التهمة فاجتهد ان تصير من اهل المشاهدة فليس الخبر كالمعاينة
فان قلت فقد عظمت امر الذكر فهو افضل ام قراءة القرآن فاعلم ان قراءة القرآن افضل
للخلق كلهم الا للذاهب الى الله تعالى وهو افضل للذاهب الى الله في جميع احوال بدايته وفي
بعض احواله في نهايته فان القرآن هو المشتمل على صنوف المعارف والاحوال والارشاد
الى الطريق فما دام العبد مفتقرا الى تهذيب الاخلاق وتحصيل المعارف فالقرآن
اولى به فان جاوز ذلك واستولى الذكر على قلبه بحيث يرجى له ان يفضي به ذلك الى

الاستغراق فيه اولم تجد اومنه الذكر اولى به فان القرآن يجاذب خاطره ويسرحه في رياض الجنة والمريد الذاهب
الى الله تعالى لا ينبغي ان يلتفت الى الجنة وما فيها بل ينبغي ان يجعل همه هماً واحداً وذكره ذكراً
واحداً حتى يدرك درجة الفناء والاستغراق ولذلك قال الله تعالى ولذكر الله اكبر وكذلك من
ينتهي الى درجة الاستغراق فهو لا يدوم ولا يثبت عليه فاذا رد الى نفسه فحينئذ ينفع تلاوة
القرآن وهذا حالة نادرة عزيزة كالكبريت الاحمر تتحدث به ولا يوجد فتكون تلاوة القرآن
افضل مطلقاً لانه افضل في كل حال من شغله المتكلم عن الكلام اذ لباب القرآن معرفة
المتكلم بالقرآن ومعرفة جلاله والاستغراق به والقرآن سائق اليه وهاد نحوه ومن انصرف
على المقصد لم يلتفت الى الطريق فان قلت فاي الاذكار افضل فاعلم ان الافضل كما ذكرناه
من استيلاء المذكور على القلب فهو شيء واحد لا كثرة فيه حتى تختار افضله وذلك معنى
الجمع والتوحيد اما التفرقة والكثرة فقبل ذلك وذلك ما دمت في مقام الذكر باللسان
او القلب وعند هذا فينقسم الذكر الى الافضل وغير الافضل وفضله بحسب الصفات
التي يعبر عنها بالاذكار والصفات والاسماء الواردة في حق الله تعالى ينقسم الى ما هي
حقيقة في حق العباد وفي حقه ماؤولة كالصبور والشكور والرحيم والمنتقم والى ما هو
حقيقة في حقه سبحانه واذا استعمل في حق غيره كان مجازاً فمن افضل الذكر الله لا اله الا هو
الحي القيوم فان فيه اسم الله الاعظم اذ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسم الله الاعظم في آية الكرسي اسم الله
واول آل عمران ولا يشتبه ان اللفظ هذا وله سر يدق عن فهمك ذكره والقدر الذي يمكن الرمز
اليه ان قولك لا اله الا الله يشعر بالتوحيد ومعنى الواحدانية في الذات والربوبية حقيقي
في حق الله تعالى غير ماؤول بل هو في حق غيره مجاز وماؤول وكذلك الحي فان معنى الحي هو الذي
يشعر بذاته ويعلم ذاته والميت هو الذي لا خبر له من ذاته وهذا ايضا حقيقي لله تعالى غير ماؤول
والقيوم يشعر بكونه قائماً بذاته وان كل شيء قوامه به وهذا ايضا حقيقي له غير ماؤول ولا
يوجد لغيره بل لا يتصور لغيره وما عداها من الاسماء الدالة على افعاله كالرحيم والمقسط
والعدل وغيره فهو دون ما يدل على الصفات لان مصادر الافعال هي الصفات فالصفات
اصل والافعال تبع وما عداها من الصفات التي تدل على العلم والقدرة والقدم والارادة والكلام

والسمع والبصر فذلك مما يظن ان الثابت لله تعالى منها مفهوم ظواهرها وهيهات فان المفهوم من
ظواهرها امور تناسب صفات الانسان وكلامه وقدرته وعلمه وسمعه وبصره بل لها حقائق يستحيل
ثبوتها للانسان تستخرج من هذه الاسامي بنوع من التاويل فهذا ينبهك على ما يحتمله الكلمات
من اختصاص هذه الكلمات لكونها اعظم ويقرب منه قولك سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر لان سبحان الله تقديس وهو حقيقي في حقه فان التقديس الحقيقي لا يتصور الا له
وقولك الحمد لله يشعر باضافة النعم كلها اليه وهو حقيقي اذ هو المنفرد بالافعال كلها تفرداً
حقيقياً بلا تاويل وهو الله المستوجب الحمد وحده اذ لا شركة لاحد معه في فعله اصلا كما لا
شركة للقلم مع الكاتب في استحقاق المحمدة عند حسن الخط واعلم ان كل من سواه ممن
تراه منه نعمة فهو مسخر له كالقلم فهذا مثال ينبهك على تفرده باستحقاق الحمد وقولك
لا اله الا الله فقد عرفت انه التوحيد الحقيقي وقولك الله اكبر فليس المعنى به انه اكبر من غيره
اذ ليس معه غيره حتى يقال اكبر منه بل كل ما سواه فهو من انوار قدرته وليس لنور الشمس مع الشمس رتبة
المعية حتى يقال انها اكبر منه بل رتبته التبعية بل معناه انه اكبر من ان ينال بالحواس ويدرك
جلاله بالعقل والقياس بل اكبر من ان يدرك كنه جلاله غيره بل اكبر من ان يعرفه غيره فانه لا
يعرف الله الا الله فان منتهى معرفة عباده ان يعرفوا انه يستحيل منهم معرفته الحقيقية ولا يعرف
ذلك ايضا بكماله الا نبي او صديق اما النبي فيعبر عنه ويقول لا احصي ثناء عليك كما اثنيت
على نفسك واما الصديق فيقول العجز عن درك الادراك ادراك فان تشوقت الى زيادة تحقيق
في هذا المعنى واستنكرت قولي لا يعرف الله الا الله فاطلب معرفة حقيقته بالبرهان من كتاب المقصد
الاقصى في معاني اسماء الله الحسنى ويكفيك الآن هذا القدر من الرموز الى اسرار الذكر
وفضل الاذكار ومنها الاصل السابع في طلب الحلال قال الله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا الاصل السابع
صالحاً والحرام خبيث ولعن بطنه فقد قرن عز وجل اكل الطيبات بالعبادة وقال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم من اكل الحلال اربعين يوماً نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من
قلبه على لسانه وفي رواية اخرى زهده الله في الدنيا وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان
لله ملكاً على البيت ينادي كل ليلة من اكل حراماً لم يقبل منه صرف ولا عدل فالصرف النافلة والعدل
الفريضة وقال صلى الله عليه وآله من اشترى ثوباً بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله
صلوته ما دامت عليه منه شيء وقال عبد الله بن عمر لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا او صمتم حتى تكونوا
قوس

كالاوتار لا يقبل الله تعالى ذلك منكم الا بورع حاجز وقيل العبادة مع اكل الحرام كالبنيان على الرمل فصل اعلم
ان طيب المطعم له خاصية عظيمة في تصفية القلب وتنويره وتاكيده استعداده لقبول انوار المعرفة
وفيه شواهد لا يحتمل الكتاب ذكره ولكن ينبغي ان تفهم ان درجات الورع اربع الدرجة الاولى
هي التي يجب الفسق باقتحامها وتزول العدالة بها [illegible] وهي التي تحرمه فتوى الفقهاء
الثانية ورع الصالحين وهو الحذر عما يتطرق عليه احتمال التحريم وان افتى المفتي بحله بناء على
الظاهر وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك والثالثة
ورع المتقين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يترك ما لا بأس
به حذرا مما به بأس وقال عمر كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام ومن هذا
الاصل كان بعضهم اذا استحق مائة درهم اقتصر على تسعة وتسعين وترك الواحد حاجزا بينه وبين
النار لخوف الزيادة وكان بعضهم يأخذ ما يأخذ بنقصان حبة ويعطي ما يعطي بزيادة حبة ولذلك
اخذ عمر بن عبد العزيز انفه حذرا من ريح مسك بيت المال كان يوزن بين يديه وقال هل ينتفع
الا بريحه ومن ذلك ان يتورع عن الزينة واكل الشهوات خيفة من ان تغلب النفس فيدعوه
الى الشهوات المحظورة ومن ذلك ترك النظر الى تجمل اهل الدنيا فانه يحرك دواعي الرغبة في
الدنيا ولذلك قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا
قال عيسى عليه السلام لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بحلاوة ايمانكم ولذلك
قال السلف من رق ثوبه رق دينه فالحلال المطلق الطيب كل حلال اتقيت عن مثل هذه المخافة
ولم يوجد حلالا غيرها الرابع ورع الصديقين وهو الحذر عن كل ما لا يراد بتناوله القوة على طاعة
الله تعالى اذا كان قد يتطرق الى بعض اسبابها معصية فمن ذلك ما حكي ان ذا النون المصري
كان محبوسا جائعا فبعثت اليه بعض امرأة صالحة من طيب مالها طعاما على يد السجان فلم يأكل
منه واعتذر بانه جاءني على طبق ظالم اي يد السجان ومن ذلك ان بشر الحافي كان لا يشرب الماء
من الانهار التي حفرها السلاطين والخلفاء بعضهم احتاج اشعال شعلة من بيت ظالم وشرب
بعضهم الدواء فاشارت اليه امرأته بالمشي والتردد فقال هذه مشية لا اعرف لها وجها وانا
احاسب نفسي على جميع حركاتي وهذه رتبة اقوام وفقوا لقوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
فراوا كل ما لم يكن لله صرفا حراما وليس هذا من غرضنا ولكنا ننصحك فادرج واجتهد
ان تفي بورع العدول التي تفتي بها الفقهاء مع ينبغي ان تضيف اليه شيئين احدهما ان تحترز عن
مواقع غرورهم ولا تلتفت الى قولهم من وهب في آخر السنة ماله زوجته واتهبت منها مالها

سقطت الزكوة عنهما فانهم ان عنوا به ان السلطان لا يطالبهم بالزكوة فلان مطمح نظره ظاهر الملك
فهو صحيح وحدية الفقهاء وفتواهم ذكر ما يتعلق بالظاهر فيحكمون بالبراءة عن الزكوة
اذا سقطت طلب الساعي ويحكمون بصحة الصلوة اذا امتنع القتل السلطان بجريان
صورة الصلوة اذ ليس يأخذهم من الفقه الا القانون الذي يستعمله السلطان
في السياسة لينتظم امر المعيشة الدنيوية التي هي منزل من منازل الطريق فاما
انت اذا كنت تنظر الى ما ينفعك غدا عند جبار الجبابرة وسلطان السلاطين فلا
تلتفت الى هذا واعلم ان مقصود الزكوة ازالة رذيلة البخل فانه مهلك كما قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
المرء بنفسه الحديث وهبة مال الزكوة لاجل دفع الزكوة يجعل الشح مطاعا فانه يصير
مطاعا باجابته الى ما يقتضيه وقيل هذا لم يكن مطاعا فكيف يكون ذلك منجيا وكم من شخص
عاشر زوجته فتكدر حتى تبرأ عن المهر فلا يحل له المهر بينه وبين الله وان كان الفقيه
يفتي بسقوط المهر وصحة الابراء لان الله تعالى قال فان طبن لكم عن شيء منه نفسا وليس
هذا طيبة النفس بل طيبة القلب والفقيه لا يميز بين الامرين لان جرحه شفقة بقطع خصومة
الظاهر لا غير والحجامة وشرب الدواء البشيع لا يطيب به النفس بل يطيب به القلب وكذلك
كل ما يأباه الطبع ويريده العقل لمصلحة في البدن في العافية وهذا باب طويل والجملة ان
لا تستحل مال الغير الا عن رضاء مطلق صاف وينبغي ان لا تأخذ من السؤال فان سئلت
فاحذر ان تستحل على الملأ فربما يعطي بالحياء وذلك ليس يخرجنا بالرضاء فان المستحيي
الم ازالة الملك على الم الحياء ولا فرق بين ان تأخذ ماله بضرب ظاهره بالسوط وبين ان
تضرب باطنه بسوط الحياء فان كلا مصادرة واحدة ايضا يعطيك بالوقف وذلك بان يعطيك
لظنه انك ورع تقي فتأكل بالوقف ويكون من شرط حله ان لا يكون في باطنك ما لو اطلع عليه
المعطي لامتنع من العطاء فلا فرق بين من ان يأخذ بالتصوف والتقوى وهو ليس متصف به في
باطنا وبين من يدعي انه علوي ليعطي وهو كاذب وكل ذلك حرام عند ذوي البصائر وان افتى
الفقيه بالحل بناء على الظاهر الفن الثاني ان تراجع قلبك وان افتوك فان الاثم حزاز
القلوب فالذي ينفر منه ما حاك في قلبك ولذلك قال عليه السلام استفت قلبك وان
وان افتوك وافتوك وهو [illegible] ولكن يطول ذكره ولكن اعلم على الجملة ان المحذور من الحرام

لأن ظلام القلب والمطلوب تنويره وذلك يتشوش بهذا الاعتقاد لأن نفس المعتقد فمن وطئ امرأة على
ظن أنها أجنبية فإذا هي منكوحته حصل ظلام القلب ولو وطئ أجنبية على ظن أنها زوجته لم يحصل وكذلك في
النجاسة والطهارات المؤثرة في تنوير القلب وجمعه واعتقاده وما أمرت بأن تصلي وثوبك طاهر بل أن
تصلي وأنت تعتقد أنه طاهر فاستشعار الطهارة مؤثر في إشراق القلب وتجليه وإن لم يكن على وفق القلب ولذلك
نقول إن من صلى ثم تذكر أنه كان معه نجاسة فلا يجب عليه الإعادة على الأقيس لأن النبي صلى الله عليه وآله خلع
نعليه في أثناء صلاته لما أخبره جبرئيل عليه السلام بأن عليهما قذرا واستمر فيها ولولا ذلك لشد الأمر على
الموسوس فإنه ما لم يطمئن قلبه باعتقاده الطهارة يجب عليه الاستقصاء في الملاوحة وأولئك قوم شددوا
على أنفسهم فشدد الله عليهم وهلكوا باستقصائهم حتى قال عليه السلام هلك المتنطعون فكذلك
في الحلال أنت متعبد بما تظن أنه يطمئن إليه قلبك لا بما يفتيك به المفتي فاستفت قلبك فصل أما أن
تشدد على نفسك فتقول أموال الدنيا كلها حرام أو قد اختلطت بها الأيدي الفاسدة والمعاملات الفاسدة
فأقنع بالحشيش متجنبا أو أتناول من الجميع متوسعا لا أفصل فيه بين حلال ظاهر وحرام بل أعلم قطعا أن
الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات كذلك كان ذلك في عصر النبي صلعم وكذلك إلى آخر الدهر
فاتهم من الأقسام التي ذكرنا فإنك غير متعبد بما هو في نفسه حلال بل بما هو في اعتقادك حلال لا
تعرف سببا ظاهرا في تحريمه فقد توضأ رسول الله صلى الله عليه وآله من مزادة مشرك وتوضأ
عمر من جرة نصرانية ولو عطشوا لشربوا والماء النجس حرام ولكن استصحبوا يقين الطهارة
ولم يتركوها لتوهم النجاسة فكذلك كل ما صادفته في يد رجل مجهول عندك فلك أن تشتري منه وتأكل
من ضيافته تحسينا للظن بالمسلم وأن الأصل أن ما في يده فهو حلال وما تصادفه في يد رجل عرفته بالصلاح
فهو أولى بأن تعتقده حلالا ولا يجب الحذر عما تصادفه في يد سلطان ظالم أو رجل عرفته بالربا أو
بيع الخمر فيجب الحذر منه حتى تسأل وتستقصي وتعرف أنه من أين حصل له فإن ظهر لك جهة حصوله
بأنه حلال فلك أخذه وإلا فلا اعتماد على العلامة الظاهرة وهي قرينة حاله وهذا إذا كان
أكثر أمواله كذلك وإن كان أكثره حلالا فلك أن تأكل منه فإن تركته فذلك ورع فقد كتب بعض
وكلاء ابن المبارك من البصرة إليه يسأله عن معاملة رجل يعامل السلطان فقال إن كان لا يعامل
غير السلطان فلا تعامله وإن كان يعامل غيره أيضا فعامله وبالجملة الناس في حقك ستة أقسام

أحدها أن يكون مجهولا فكل من ماله والحذر ليس بواجب بل هو محض الورع والثاني أن تعرفه بالصلاح
فكل منه ولا تتورع فالورع فيه وسوسة فإن أدى إلى الإيذاء والإيحاش فهو معصية وحرام لما فيه من
الإيذاء ولما فيه من سوء الظن بالخلق بالرجل الصالح الثالث أن تعرفه بالظلم والربا حتى علمت
أن كل ماله أو أكثره حرام كالسلاطين الظلمة وغيرهم فالأكل حرام الرابع أن تعرف أن أكثر أمواله
حلال ولكن لا يخلو عن حرام كرجل له تجارة وميراث وهو مع ذلك في عمل السلطان فلك الأخذ بالأ
غلب لكن الترك من الورع المهم الخامس أن يكون مجهولا عندك لكن ترى عليه علامة الظلم كالقباء
والقلنسوة وهيئة الأتراك والظلمة فهذه علامة ظاهرة توجب الحذر فلا تأكل من ماله إلا
بعد التفتيش السادس أن ترى عليه علامة الفسق لا علامة الظلم كطول الشارب وانقسام
شعر الرأس في زي أو رأيته يشتم غيره بفحش أو ينظر إلى امرأة فإن غلب عليه الأمور ونا... أو
تجارة فلا يحرم ماله بذلك فإن كان أمره مجهولا عندك فهذا فيه نظر لأن علامة الفسق أضعف
دلالة فهذه العلامة على التحريم وليست هذه الدلالة أقوى من دلالة النظر إلى تغير الماء على
نجاسة الماء ولم يلتفت إليها رسول الله صلى الله عليه وآله وعمر أما علامة الظلم فهي أقوى
إذا رأيت ظبية تبول في ماء ثم وجدنا الماء متغيرا فيمكن أن يكون من البول فإنه يجب اجتنابه
إحالة على السبب الظاهر ويجوز أو هو الكمال عليه أن يستفتي قلبه فإذا وجد في قلبه حزازة
فليجتنبه فالإثم حزاز القلوب ومحكات الصدور ولكن ههنا دقيقة يغفل عنها أهل
الورع وهو أنه حيث يكون الترك من الورع أو من حزازة في النفس فلا يجوز الترك أو السؤال
بحيث يؤذي فالمجهول إذا قدم إليك طعاما فإن سألته أنه من أين فقد تأذى والإيذاء
حرام وسوء الظن حرام وإن سألت عن غيره بحيث يطلع زاد الإيذاء وإن سألت بحيث لا يدري
فقد تجسست وإساءة الظن وبعض الظن إثم وتتشوف بالغيبة والتهمة وكل ذلك حرام
فترك الورع ليس بحرام فليس لك إلا التلطف بالترك فإن لم يمكن إلا بالإيذاء فعليك أن تأكل
فإن تطييب قلب المسلم وصيانته عن الأذى أهم من الورع فإياك أن تكون من القراء المعجبين
الذين لا يعرفون دقائق الورع واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأكل عن صدقته بعد
ولم يسأل عن المتصدق كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحمل إليه الهدايا ولا يسأل في أول
قدومه المدينة عما يحمل إليه أنه صدقة أو هدية لأن ذلك يقضي فيه الإيذاء ولأن قرينة الحال كانت
تقتضي الإمكان في الصدقة والهدية على وتيرة واحدة وكان يدعى إلى الضيافة فيجيب ولا يسأل ولم

من طول المكث وأمكن أن يكون

مغرورين

يشغل السؤال الآن ادراكا في محل الريبة فان قلت فلو وقع طعام حرام في سوق فهل يجب على من يشتري منه في ذلك السوق
فاقول فان تحقق ان الحرام هو الاكثر فلا تشتر منه الا بعد التفتيش وان علم ان الحرام كثير ولكنه ليس
بالاكثر فلك الشراء والتفتيش من الورع ولقد توقف الفحول في الفتيا وكانوا لا يتركون الا [illegible]
وهذا الباب يستدعي شرحا طويلا فان رغبت فيه فطالع كتاب الحلال والحرام من كتب الاحياء لتشهد
غور هذه الفتنة وانا صنفت فيه مثله في التحقيق والتحصيل والاحاطة بجميع التفاصيل والله الموفق
الاصل الثاني في القيام بحقوق المسلمين وحسن الصحبة معهم وهو ركن من اركان الدين اذ الدين
معناه التقرب الى الله تعالى ومن اركان السفر حسن الصحبة في منازل السفر مع المسافرين والخلق كلهم
مسافرون [illegible] يكملها واعلم ان الانسان في الدنيا اما ان يكون وحده او يكون مع
خواصه من اهل وولد وقريب وجار او يكون مع عموم الخلق فهذه ثلثة احوال وعليه حسن الصحبة واداء
الحقوق في جميع هذه الاحوال الحالة الاولى ان يكون وحده فليعلم انه في عالم وان باطنه يشتمل على اصناف
من الخلق مختلفي الطباع والاخلاق فان لم يحسن صحبتهم [illegible] اصناف جنود الباطن
كثيرة [illegible] وقد استقصينا تفصيل ذلك في كتاب عجائب القلب ونذكر الآن الجنود
[illegible] فنقول [illegible] الشهوة تجذب [illegible] النافع والغضب [illegible]
[illegible] باعتبار [illegible]
[illegible] العقل [illegible]
[illegible] سعادة الابد فان [illegible]
[illegible] الظفر بالمطلب [illegible] العقل في استنباط الحيل [illegible]
[illegible] على العطب [illegible] ادراك [illegible]
[illegible] لو رايت شخصا [illegible] طاعته
[illegible] الملك الجائر [illegible] الخنزير والكلب [illegible] مستوجبا للعتب
ولو كشف [illegible] الاستغفار [illegible] بالله لو ان كل
من اطاع شهوته وغضبه [illegible] الكلب او الخنزير اذ لم يكن الكلب كلبا لصورته بل لمعناه وكذلك
نرى [illegible] الموت لان المعاني في عالم الآخرة [illegible] الصورة [illegible]
[illegible] المتكبرون [illegible] صور الذر [illegible] المتغضبون [illegible] واما هذا
العالم [illegible] في صورة الانسان [illegible]
[illegible] تبلى السرائر فعليك ان تحسن صحبة رفقائك الثلثة فتكسر الشهوة
بسورة الغضب [illegible] الشهوة وتسلط احدهما على الآخرة [illegible]
[illegible] حتى تنقاد للعقل والشرع وتسلط احدهما على الآخر [illegible]

بليغ حتى لا تغوي بعضها البعض تستعملها العقل بحيث ينتفع بهما كما يستعمل الصياد الفرس والكلب عند الحاجة
ويسكنهما عند الاستغناء وشرح هذه الرياضة والصحبة طويلة ذكرناه في كتاب رياضة النفس الحالة
الثانية صحبتك مع عموم الخلق واقل درجات حسن الصحبة كف الاذى عنهم قال النبي صلى الله عليه
وآله وسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وفوق ذلك ان تنفعهم وتحسن اليهم قال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم الخلق كلهم عيال الله فاحبهم الى الله انفعهم لعياله وفوق ذلك ان
تحتمل الاذى منهم وتحسن مع ذلك اليهم وتلك درجة الصديقين قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم لعلي عليه السلام ان اردت ان تسبق الصديقين فصل من قطعك واعط من حرمك
واعف عمن ظلمك فهذه جملة الامر وتفصيل هذه الحقوق كثيرة ونقتصر من جملتها على
عشرين وظيفة ومنها ان لا يحب للناس ما لا يحب لنفسه قال صلى الله عليه وآله من سره ان
يزحزح عن النار فلتاته منيته وهو يشهد ان لا اله الا الله محمد رسول الله وليات الى
الناس ما يحب ان يؤتى اليه ومنها ان يتواضع لكل احد ولا يفتخر عليه فان الله تعالى لا يحب كل مختال
فخور وان تكبر عليه غيره فليتحمل قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
ومنها ان يوقر المشايخ ويرحم الصبيان قال عليه السلام ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر
كبيرنا وقال صلى الله عليه وآله وسلم من اجلال الله تعالى اكرام ذي الشيبة المسلم وقال عليه السلام ما
وقر شاب شيخا لسنه الا قيض الله له في شيبته من يوقره وهذه بشارة بطول الحيوة مع الاجر
ومنها ان يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه وقال عليه السلام اتدرون على من حرمت النار
قالوا الله ورسوله اعلم قال على الهين اللين السهل القريب وقال عليه السلام ان الله تعالى
يحب السهل الطلق ومنها اصلاح ذات البين بين المسلمين ولو بالمبالغة والزيادة في الكلام
قال صلى الله عليه وآله ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقال عليه السلام
الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وفساد
ذات البين هي الحالقة ومنها ان لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما
يسمع من بعض قال عليه السلام لا يدخل الجنة قتات وقيل نمام [illegible] ومنها ان لا يزيد
في الهجر عند الغضب على ثلثة ايام وقال عليه السلام لا يحل للمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلث وقال
صلى الله عليه وآله من اقال مسلما عثرته اقاله الله يوم القيمة ومنها ان يحسن الى كل احد كان اهلا له
او لم يكن قال صلى الله عليه وآله اصنع المعروف الى من هو اهله فان لم تصب اهله فانت من اهله ومنها
ان تخالق كل صنف باخلاقهم فلا تلتمس من الجاهل والصبي ما تلتمس من الورع العالم [illegible]

عليه الهي كيف لي ان تحبني الناس واسلم فيما بيني وبينك فاوحى الله اليه خالق اهل الدنيا باخلاق الدنيا
وخالق اهل الاخرة باخلاق الاخرة ومنها ان تنزلهم منازلهم فتزيد في اكرام ذي المنزلة وان كانت منزلته
في الدنيا فان رسول الله صلى الله عليه وآله بسط رداءه لبعضهم وقال عليه السلام اذا جاءكم كريم قوم فاكرموه
ومنها ان تستر عورات المسلمين قال صلى الله عليه وآله لا يرى امرء من اخيه عورة فيسترها الا ادخل
الجنة وقال عليه السلام يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا
عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته فيفضحه ولو في جوف بيته ومنها ان تتقي
مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن والسنتهم عن الغيبة وقال عليه السلام اتقوا مواضع
التهم وكلم رسول الله احدى نسائه فمر به رجل فقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله من
كنت اظن فيه فاني لم اظن فيك فقال ان الشيطان ليجري من بني آدم مجرى الدم ومنها ان تسعى في قضاء حوائج
المسلمين ولو بشفاعة قال عم اشفعوا الي تؤجروا اني اريد الامر فاؤخره كي تشفعوا الي فتؤجروا وقال عليه
السلام من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين
وقال عليه السلام قيامك مع اخيك ساعة خير من اعتكاف سنة ومنها ان تبادر بالسلام على كل مسلم و
يصافحه ليكون لك فضل البداية قال عليه السلام اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما سبعون رحمة
تسع وستون لاحسنهما بشرا ومنها ان تنصر اخاه في غيبته فترد عن عرضه وماله قال عليه السلام ما من امرئ
ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه من عرضه ويستحل حرمته الا نصره الله عز وجل في موطن يحب فيه نصرته ومنها
ان تداري مع اهل الشر لتسلم عنهم قالت عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ائذنوا
له فبئس رجل العشيرة فلما دخل الان له القول حتى ظننت ان له عنده منزلة فلما خرج راجعته في ذلك فقال
يا عائشة ان شر الناس عند الله تعالى منزلة يوم القيمة من يكرمه الناس اتقاء فحشه وقال عليه السلام ما وقى
المرء به عرضه فهو له صدقة وقال عليه السلام خالطوا الناس باعمالهم وزايلوهم بالقلوب ومنها ان تحذر
مجالسة الاغنياء وتكثر مجالسة المساكين وقال عليه السلام اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن هم قال الاغنياء وقال
عليه السلام اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين وكان صلوات الله عليه اذا
رأى في المسجد [illegible] جلس اليه وقال مسكين جالس مسكينا وقال موسى عليه السلام الهي اين اطلبك فقال تعالى
عند المنكسرة قلوبهم من اجلي ومنها ان لا تجالس الا من تفيده في الدين فائدة او تستفيد منه فاما اهل الغفلة
فتحذر منهم قال عليه السلام الوحدة خير من جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة فاذا اكثر من مجالسة
اهل الغفلة فينقص من دينه بكل جلسة شيء فليتفقد ان كل واحد منهم لو كان يأخذ منه في كل جلسة مسلكا
من ثوبه او شعرة من شعر لحيته اما كان يحذر ويخشى ان يصير على القرب اجرد عاريا فما الحذر لاجل الدين
اولى ومنها ان يعود مرضاهم ويشيع جنائزهم ويزور قبورهم ويدعو لهم في الغيبة وتشميت العاطس

ويتصف الناس من نفسه وينصح اذا استنصح الى غير ذلك من حقوق كثيرة فيه الاخبار والآثار نافيها الاختصار
وجملتها ان تعمل في حقهم ما تحب ان تعمل في حقك من احب نوا اهتمام وكف اذى الحالة الثالثة الصحبة مع
من يدلي بسوى عموم الاسلام بخالطته كجوار او قرابة او مملوك قال اول خصمين يوم القيمة الجاران
وقال عليه السلام اذا رميت كلب جارك فقد آذيته وقيل له عليه السلام ان فلانة تصوم النهار وتصلي
الليل وتؤذي الجيران فقال هي في النار وقال عليه السلام اتدرون ما حق الجار ان استعانك اعنته
وان استقرضك اقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات اتبعت جنازته وان
اصابه خير هنأته وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه وان
اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه
بقتار قدرك الا ان تغرف له اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله
واما القرابة فقد قال عليه السلام قال الله تعالى انا الرحمن وهذه الرحم وشققت لها اسما من اسمي
فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وقال عليه السلام صلة الرحم تزيد في العمر وقال عليه السلام توجد
رائحة الجنة على مسيرة خمس مائة عام ولا يجدها عاق ولا قاطع رحم وقال حقوق الوالدين افضل من
الصلوة والصيام والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله وقال صلى الله عليه وآله حق الوالد على الولد ضعف حق
وقال عليه السلام [illegible] واما المملوك فقال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله اتقوا الله
فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فان الله ملككم
اياهم ولو شاء لملكهم اياكم وقال عليه السلام اذا كفى احدكم مملوكه طعاما فكفيه حره وعلاجه وقربه اليه فليجلسه
وليأكل معه او ليأخذ لقمة فليروغها وليضعها في يده وليقل كل هذه وسئل عن النبي صلى الله عليه وآله
كم نعفو عن المملوك في اليوم والليلة فقال سبعين مرة فجملة حق المملوك ان تشركه في طعمه وكسوته ولا تكلفه
فوق طاقته ويعفو عن زلته ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء ويعلمه مهمات دينه واما حقوق المنكوحة
فتشتمل على هذا اذ يجب لها جميع القيام بواجباتها حسن المعاشرة والمطايبة قال خيركم خيركم لاهله
وانا خيركم لاهلي وكان من افكه الناس مع نسائه والاخبار فيه اكثر من ان تحصى فصل من اصول
الدين في امر الصحبة اتخاذ الاخوان في الله تعالى قال الله تعالى لبعض انبيائه اما زهدك في الدنيا فتعجلت
الراحة واما انقطاعك الي فتعززت بي فهل واليت في وليا او عاديت في عدوا وقال عليه السلام يقول
الله تعالى يوم القيمة اين المتحابون بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي واوحى الله تعالى الى عيسى
لو انك تعبد بعبادة اهل السموات والارض وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما

ذلك شيئا وقال عليه السلام ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بانبياء
ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله حلهم لنا فقال المتحابون في الله والمتجالسون
في الله والمتزاورون في الله واعلم ان كل حب لا يتصور دون الايمان بالله واليوم الآخر فهو حب في الله
المتزاورون ولكنه على درجتين احدهما ان تحبه لتنال منه في الدنيا نصيبا توصلك الى الآخرة كحبك استاذك
وشيخك بل تلميذك الذي يعلمك بتعليمه بل غلامك الذي يفرغ قلبك عن كنس بيتك وغسل ثوبك لتتفرغ
بسببه لطاعة الله تعالى بل المنفق عليك من ماله اذا كان غرضك من ذلك افراغ القلب لعبادة الله تعالى
الثانية وهي اعلى ان تحبه لانه محبوب عند الله ومحب لله تعالى وان لم يتعلق به غرض لك في الدنيا ولا في الآخرة
من علم او معونة على الدين او غيره وهذا اكمل لان الحب اذا غلب تعدى الى كل من هو من المحبوب بسبب حتى
يحب الانسان محبوبه بل يحب الكلب الذي هو في سكة محبوبه ويحب سائر الكلاب وانما ينتشر الحب
بقدر غلبة الحب ومن احب الله لم يمكنه ان لا يحب عباده الصالحين المرضيين عنده الا انه ذلك يقوى
حتى يحمل على ان يسلك بهم مسلك نفسه بل يؤثرهم على نفسه وقد يقصر بعضهم عن ذلك ويفضل عنه ويقصر
بقدر ضعفه وقوته وكذلك يبغض لا محالة من يعصيه ويخالف امره ويظهر اثر ذلك في بغضه ومهاجرته له وتغليظه
الزجر عند مشاهدته ولذلك قال صلى الله عليه وآله اللهم لا تجعل للفاجر علي يدا فيحبه قلبي حذرا
ان يفوح ذلك في البغض في الله وبالجملة لا يصادف من نفسه الحب في الله والبغض في الله بهذه
الاسباب فهو ضعيف الايمان فهذا له تحقيق وتفصيل فاطلبه من كتاب الصحبة والاخوة في الله تعالى

الاصل التاسع في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال الله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى
الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون وقال الله تعالى والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقال الله تعالى كانوا لا
يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وقال ابو بكر في خطبته ايها الناس انكم تقرأون
هذه الآية وتتأولونها على خلاف تأويلها يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا
اهتديتم واني سمعت رسول الله صلعم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر ان ينكر عليهم
فلم يفعل الا اوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده وقالت عائشة قال رسول الله صلعم عذب اهل قرية
فيها ثمانية عشر الف عملهم اعمال الانبياء قالوا يا رسول الله كيف ذلك قال لم يكونوا يغضبون لله
ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فصل كل من شاهد منكرا ولم ينكره وسكت عليه
فهو شريك فيه والمستمع شريك المغتاب ويجري هذا في جميع المعاصي حتى في مجالسة من يلبس الحرير

الديباج ويتختم بالذهب ويجلس على الحرير والجلوس في دار او في حمام على حيطانها صور او فيها اواني
من ذهب او فضة والجلوس في مسجد يسيء الناس الصلاة فيه فلا يتمون الركوع والسجود
والجلوس في مجلس وعظ يجري فيه ذكر البدعة او في مجلس مناظرة ومجادلة يجري فيه الايذاء
والايحاش بالسفه والشتم وبالجملة من خالط الناس كثرت معاصيه وان كان تقيا في نفسه الا ان يترك
المداهنة ولا يأخذه في الله لومة لائم ويشتغل بالحسبة والمنع وانما يسقط عنه الوجوب بامرين
احدهما ان يعلم انه لو انكر لم يلتفت اليه ولم يترك المنكر بل نظر اليه بعين الاستهزاء وهذا هو الغالب
في منكرات يرتكبها الفقهاء ومن يدعي انه من اهل الدين فههنا يجوز السكوت ولكن يستحب الزجر
باللسان اظهارا لشعار الدين بحيث لم يقدر على منع الذهب باللسان ويجب ان يفارق ذلك
الموضع فلا يجوز مشاهدة المعصية بالاختيار فمن جلس في مجلس الشرب فهو فاسق وان لم
يشرب ومن جالس مغتابا او لابس حرير او آكل ربوا او حرام فهو فاسق فليقم من موضعه والثاني
ان يعلم انه يقدر على المنع من المنكر بان يرمي زجاجة فيها خمر فيكسرها او يكسر آلة من آلات فههنا
الملاهي من يد صاحبها ويضربها على الارض ولكن يعلم انه يضرب او يصاب بمكروه
فتجب الحسبة لقوله تعالى وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ولا يجب الا ان المكروه الذي
يصيبه درجات كثيرة يطول النظر فيها ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف من الاحياء وعلى الجملة
فلا يسقط الوجوب الا بمكروه في بدنه بالضرب او في ماله بالاستهلاك او في جاهه بالاستخفاف
به بوجه يقدح في مروءته فاما الخوف بان يخاف المنكر عليه ويخوف تعرضه له بالايذاء او عداوته
له او توهم سعيه له في المستقبل بما يسوءه او يحول بينه وبين زيادة يتوقعها فكل ذلك
موهومات وامور ضعيفة لا يسقط الوجوب بها فصل عمدة الحسبة شيئان احدهما اللطف
والرفق والبداءة بالوعظ على سبيل اللطف لا على سبيل العنف والترفع والادلال بدالة
الصلاح فان ذلك قد يؤكد داعية المعصية ويحمل العاصي على المناكرة والايذاء ثم اذا آذاه
فاسح ولم يكن قصده الحق غضب لنفسه وترك الانكار لله تعالى واشتغل بشفاء غيظه منه
فيصير عاصيا بل ينبغي ان يكون كارها للحسبة يود لو ترك المعصية بقول غيره فانه اذا
احب ان يكون هو المعترض كان ذلك لطلب نفسه من دالة الاحتساب وعز فيه وقال
عليه السلام لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه
حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه ووعظ المأمون
واعظ فعنف فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك الى من هو شر مني

وامره بالرفق فقال الله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وروى ابو امامة رضي الله عنه ان غلاما
شابا اتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال اتأذن لي بالزنا فصاح الناس به فقال النبي
صلى الله عليه وآله اقربوه اقرب فدنا حتى جلس بين يديه فقال عليه السلام اتحبه لامك فقال لا جعلني الله
فداك قال عليه السلام كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم ثم قال عليه السلام اتحبه لابنتك قال
لا قال كذلك الناس لا يحبونه ثم وضع يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن
فرجه فلم يكن بعد ذلك شيء ابغض اليه من الزنا وقال بعضهم للفضل ان سفيان بن عيينة
قبل جوائز السلطان فقال ما اخذ منهم الا دون حقه ثم خلي به المخنث فعوتب في نفسه فقبحها وتوبه
ما انتقم منه اولا قال الحسن البصري رحمة الله عليه اذا كنت تامر بالمعروف فكن من اخذ الناس به والا هلكت
فهذا هو الاولى حتى ينفع كلامه ولا يستهزئ وليس هذا شرطا بل يجوز الاحتساب للعاصي
ايضا قال انس قلنا يا رسول الله لا نامر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه
كله قال بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله وقال الحسن
البصري رحمة الله عليه يريد ان لا يظفر الشيطان منا بهذه الخصلة وهو ان لا نامر بالمعروف حتى
ناتي به كله يعني ان هذا يؤدي الى حسم باب الحسبة فمن الذي يعصم عن المعاصي الاصل
الثامن عشر في اتباع السنة اعلم ان مفتاح السعادة اتباع السنة والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم
في جميع مصادره وموارده وحركاته وسكناته حتى في هيئة اكله وقيامه ونومه وكلامه لست
اقول ذلك في العبادات فقط فانه لا وجه لاهمال السنن الواردة فيها بل ذلك في جميع امور
العادات وبه يحصل الاتباع قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال الله تعالى
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فعليك ان تلبس السراويل قاعدا وتتعمم قائما
وتبتدئ باليمين في تنعلك وتاكل بيمينك وتقلم اظفارك وتبتدئ بمسبحة اليد اليمنى
وتختم بابهامها وفي الرجل تبتدئ بخنصر اليمنى وتختم بخنصر اليسرى وكذلك
في جميع حركاتك وسكناتك ولقد كان محمد بن اسلم لا ياكل البطيخ لانه لم ينقل اليه كيفية اكل
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسهى بعضهم ولبس الخف وابتدا باليسرى فكفر عنه بكر حنطة
فلا ينبغي ان تتساهل في امثال ذلك فتقول هذا مما يتعلق بالعادات ولا معنى للاتباع فيه
فان ذلك يغلق عليك بابا عظيما من ابواب السعادة فصل لعلك تشتهي الان الوقوف على
السبب المرغب في الاتباع في هذه الافعال وتستبعد ان يكون تحت ذلك امر مهم يقتضي
هذا التشديد العظيم في المخالفة فاعلم ان ذكر السر في احاد تلك السنن طويل لا يحتمله الكتاب

شرحه لكن ينبغي ان تفهم ان ذلك ينحصر في ثلثة انواع من الاسرار الاول انا نبهناك في مواضع على
العلاقة التي بين الملك والملكوت وبين الجوارح والقلب وكيفية تاثر القلب بعمل الجوارح وان القلب
كالمرآة ولا تتجلى فيه حقائق الحق الا بتصقيله وتنويره وتعديله اما تصقيله فبازالة خبث الشهوة
وكدورة الاخلاق الذميمة واما تنويره فبانوار الذكر والمعرفة ويعين عليه العبادة الخالصة اذا اديت
على كمال الحضور بمقتضى السنة واما تعديله فبان يجري جميع حركات الجوارح على قانون العدل اذ اليد
لا يصل الى القلب حتى تعدل الجوارح وتعدل حركاتها ولهذا كانت الدنيا مزرعة الاخرة ولهذا انتظم
حشره بنعات فبالتعديل لا انسداد طريق الحق موزونة بميزان العدل حدث في القلب هيئة عادلة
مستوية تستعد لقبول الحقائق على نعت الصحة والاستقامة كما تستعد المرآة المعتدلة
لمحاكاة الصور الصحيحة من غير اعوجاج ومعنى العدل وضع الاشياء مواضعها ومثاله ان
الجهات مثلا اربعة وقد خص منها جهة القبلة بالتشريف فالعدل ان تستقبل في احوال الذكر
والعبادة والوضوء وان تنحرف عنها عند قضاء الحاجة وكشف العورة اظهارا لفضل ما له فضله
ولليمين زيادة على اليسار غالبا لفضل القوة فالعدل ان تفضلها على اليسار وتستعملها في
بعض الاعمال الشريفة كاخذ المصحف والطعام وتترك اليسار للاستنجاء ودون تناول القا
ذورات وقلم الظفر مثلا تطهير لليد فهو اكرام فينبغي ان يبتدئ بالاكرم والافضل وربما
لا تستقل عقلك بالتفطن للترتيب فيه وكيفية البداية فاتبع فيه السنة وابتدئ بالمسبحة من
اليمين لان اليد افضل من الرجل واليمين افضل من اليسرى والمسبحة التي بها الاشارة
في كلمة التوحيد افضل من سائر الاصابع ثم بعد ذلك تدور من يمين المسبحة وللكف ظهر ووجه متقابلين
ما يقابله فاذا جعلت الكف وجه اليد كان يمين المسبحة من جانب الوسطى فيدور العود الى ان تختم بالابهام
بوجههما وقيت الاصابع كانها اشخاص فتدور بالمقراض من المسبحة الى ان تعود جرعاية
اليمين كذلك ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم والحكمة ما ذكرناه فاذا انت
العدل كذلك تجمع دقائق الحركات بمثابة العدالة والصحة هيئة راسخة في قلبه واستوت
صورته وبه تستعد لها لقبول صورة السعادة ولذلك قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت
فيه من روحي فروح الله تعالى مفتاح ابواب السعادة ولم يكن نفخها الا بعد التسوية ومعنى
التسوية يرجع الى التعديل وفي ذلك سر يطول كشفه وانما ننبه بالرمز الى اصله فان كنت لا تقوى

على وجه حقيقته فالتجربة تنفعك فانظر الآن من تعوّد الصدق كيف يصدق رؤياه غالبا لان
الصدق حصل في قلبه هيئة صادقة تتلقى لوح الغيب في النوم على الصحة وانظر كيف يكذب
رؤيا الكاذب بل رؤيا الشاعر لتعوّده التخيلات الكاذبة فاحتاج لذلك صورة ما ظهر
منها وما بطن وانواع الكذب حتى في حديث النفس ايضا الثاني ان تعلم ان الاشياء
الموثرة في بدنك بعضها يعقل تاثيره بنوع من المناسبة الى الحرارة والبرودة والرطوبة
واليبوسة كقولك ان العسل يضر المحرور وينفع البارد ويصلح مزاجه ومنها ما لا يدرك
بالقياس ويعبّر عنه بالخواص وتلك الخواص لم يوقف عليها بالقياس ويعبر عنه بالخواص
وتلك الخواص لم يوقف عليها بالقياس بل مبداء الوقوف عليها وحي او الهام فالمغناطيس
يجذب الحديد وانسقمونيا تجذب خلط الصفراء من اعماق العروق لا على القياس بل
بخاصية وقف عليها اما بالالهام او بالتجربة واكثر الخواص عرفت بالالهام واكثر التاثيرات
في الادوية وغيرها من قبيل الخواص فكذلك فاعلم ان تاثيرات الاعمال في القلب
تنقسم الى ما تفهم له مناسبة كعلمك بان اتباع شهوات الدنيا تؤكد علاقته مع هذا العالم
فيخرج من العالم منكوس الراس مولّيا وجهه الى هذا العالم اذ فيه محبوبه وكعلمك ان المواظبة
على ذكر الله تعالى اذ اللذة على قدر الحب والحب على قدر المعرفة والذكر ومن الاعمال ما يؤثر في
الاستعداد لسعادة الآخرة او شقاوتها بخاصية ليست على القياس لا يوقف عليها الا
بنور النبوة فاذا رايت النبي صلى الله عليه وآله قد عدل عن احد المباحين الى الآخر
وآثره عليه مع قدرته عليهما فاعلم انه اطلع بنور النبوة على خاصية فيه وكوشف به من عالم
الملكوت كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا ايها الناس ان الله امرني ان اعلمكم
مما علمني واؤدبكم مما ادبني فلا يكثرن احدكم الكلام عند المجامعة فانه يكون منه خرس الولد
ولا ينظر احدكم الى فرج امرأته اذا هو جامعها فانه يكون منه العمى ولا يقبلن احدكم امرأته
اذا هو جامعها فانه يكون منه صمم الولد ولا يديمن احدكم النظر في الماء فانه يكون منه ذهاب

العقل

العقل فهذا امثال مما ذكرناه واردنا تنبيهك على اطلاعه على خواص الاشياء والاضافة الى امور
الدنيا ليتيقن به اطلاعه على ما يؤثر في حقيقة السعادة والشقاوة فلا ترضى لنفسك ان
تصدق محمد بن زكريا الرازي المتطبب فيما ذكره من خواص الاشياء في الحجارة والاحجار والادوية
ولا تصدق سيد البشر محمد بن عبد الله الهاشمي المكي المدني صلوات الله عليه فيما يخبر به
تعلم انه كان ينكشف له العالم الاعلى بجميع الاسرار وهو ينبهك على الاتباع فيما لا تفهم وجه الحكمة فيه على ما ذكرنا
الثالث ان سعادة الانسان في ان يتشبه بالملائكة في النزوع عن الشهوات وكسر النفس الامارة
بالسوء ويبعد من شبه البهيمة المهملة التي تسترسل في اتباع الهوى بحسب ما تقتضيه طبيعتها
من غير حاجز ومهما تعوّد الانسان في جميع اموره ان يفعل ما يشاء من غير حاجز الف اتباع مراده
وهواه وغلب على قلبه صفة البهيمية فمصلحته ان لا يكون في جميع حركاته مخلّى العنان يقتده عن طريق الحق طريقا لا
تنسى نفسه العبودية ولزوم الصراط المستقيم فيكون اثر العبودية
ظاهرا عليه في كل حركاته اذ لا يفعل شيئا بحكم طبعه بل بحكم الامر فلا ينفك في جميع احواله عن مصادمة ما به الزمام
عن ايثار بعض الامور على بعض ومن التحق زمامه في يد غيره مثلا احتما لم يكن تردده بحكم طبعه بل بحكم طبع
غيره فنفس الروح الى قبول الواقعة الحقيقية اقوى ممن جعل زمامه في يد هواه يسترسل بها استرسال
البهيمة وتحت هذا سر عظيم في تزكية النفس وهذه فائدة تحصل بوضع الشارع كيف ما وضع والفائدة
الحكمية او الخاصية لا تتغير بالوضع وهذا يتغير بالوضع فان المقصود ان لا يكون مخلّى باختياره وذلك يحصل
المقصود بالمنع عن احد الجانبين اي جانب كان وفي مثل هذا يتصور ان يختلف الشرايع ... فالوضع
فيكفيك هذه التنبيهات الثلاث على فضل ملازمة الاتباع في جميع الحركات والسكنات فصل هذا
التحريض كله الذي ذكرته انما هو في العادات اما في العبادات فلا اعرف لترك السنة من غير عذر
وجها الا كفرا خفيا او حمقا جليا بيانه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذ قال تفضل صلوة الجماعة على
صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة فكيف تسمح نفس المؤمن بتركها من غير عذر فلم يكون السبب فيه اما
حمقا او غفلة بان لا يتفكر في هذا التفاوت العظيم ومن يستحي من غيره اذا آثر واحدا على اثنين
كيف لا يستحي نفسه اذا آثر واحدا على سبع وعشرين لا سيما فيما هو عماد الدين ومفتاح السعادة

الابجية واما الكفر فهو ان يخطر بباله ان هذا الشيء كذلك وانما ذكره للترهيب في الجاهلية والآن جمعنا بينه بين الجماعة وبين هذا العدد المخصوص من بين سائر الاعداد وهو كفر خفي وقد نبه عليه الصدور وصاحبه لا يشعر به فما اعظم حماقة من يصدق المنجم والطبيب في امور ابعد من ذلك ولا يصدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم المكاشف باسرار الملكوت فان المنجم لو قال لك اذا انقضى سبعة وعشرون يوما من اول تحويل طالع احكامك نكبة فاحترز في ذلك الوقت واجلس في بيتك فلا تخلفن لك المحنة ستنتهي وتترك جميع اشغالك لقوله لك انما قلت ذلك لان بين درجة الطالع وموضع زحل سبعا وعشرين درجة فقسنا آخر الكلية بنكال درجة يوما او شهرا واذا قيل لك هذا هو سر اذ لا مناسبة له فلا تصدق به فلا تخلو عن الاستشعار وتقول في افعال الله تعالى عجائب لا تعرف مناسبتها ولعلها توافق الاوراد وقد عرفت بالتجربة ان ذلك مما يتوفر وان لم يعرف مناسبته ثم اذا آل الامر الى خبر النبوة عن الغيب انكرت مثل هذه الخواص وطلبت المناسبة الصريحة فهل لهذا سبب الا اشراك خفي لا بل كفر جلي اذ لا يحمل له سواه وسبب هذا التماس كله انه لا يتهمهما فيما اخبراك فان ما اخبرناك لما كان يتهمك يتخاط فيه بقول المنجم والاختلاج والفال والامور البعيدة عن المناسبة غاية البعد وينقاد الى الاحتمالات البعيدة لانه شغوف بسوء الظن مولع ولو تفكر لعلمت ان هذا الاحتياط بالحظ الاوفى السوء ان قلت فما الذي يجتنب من الاعمال فيقال ينبغي ان يتبع السنة في كل ما وردت فيه السنة والاخبار الصحيحة وذلك كقوله عليه السلام من احتجم يوم السبت والاربعاء فاصابه برص فلا يلومن الا نفسه وقد احتجم بعض المحدثين يوم السبت وقال هذا الحديث ضعيف فبرص وعظم عليه ذلك حتى رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام فشكى اليه ذلك فقال لم احتجمت في يوم السبت فقال لان الراوي كان ضعيفا فقال عليه السلام اليس كان قد نقل عني فقال تبت يا رسول الله فدعا له بالشفاء فاصبح وقد زال ما به وقال عليه السلام ايضا من احتجم يوم الثلاثاء لسبعة عشر كان دواء السنة وقال صلى الله عليه وآله من نام بعد العصر فاختلس عقله فلا يلومن الا نفسه وقال عليه السلام اذا انقطع شسع نعل احدكم فلا يمشي في نعل واحدة حتى يصلح شسعه وقال عليه السلام اذا ولدت امرأة فليكن اول ما تأكل الرطب فان لم يكن فتمر فانه لو كان شيء افضل منه لاطعمه الله تعالى مريم حين ولدت عيسى عليه السلام ... اذا

ومن

اوتي احدكم بالحلواء فليصب منه واذا اوتي بالطيب فليمس منه وامثال ذلك في العادات كثيرة ولا يخلو شيء منها عن سر

خاتمة في ترتيب الاوراد وتنعطف على امور الفترة اعلم ان هذه العبادات التي فصلناها منها ما يمكن الجمع بينهما كالصوم والصلوة والقراءة ومنها ما لا يمكن الجمع كالقراءة والذكر والقيام بحقوق الناس والصلوة فينبغي ان يكون اهم امورك توزيع اوقاتك على اصناف الخيرات من صالحات الحسنات حتى تكون من سالكي الى صالحات وتعلم ان مقصود العبادات تماما كيدا الانس بذكر الله تعالى للانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور ولن يتفق دار الخلود الا من قدم على الله تعالى محبا لله تعالى ولا يكون محبا لله تعالى الا من كان عارفا بالله ومكثرا للذكر ولا يحصل المعرفة والحب الا بالفكر والذكر الدائم ولن يدوم الذكر في القلب الا بالمذكورات وهي العبادات المستغرقة للاوقات على التعاقب ولاختلاف اصنافها زيادة تاثير في الترغيب ومنع الملال وسقوط اثره عن القلب بالدوام الذي ينتهي الى حد الاعتياد نعم ان كنت والها بالله مستغرقا به لم تفتقر الى ترتيب الاوراد بل وردك واحد وهو ملازمة الذكر وما اراك تكون كذلك فان ذلك من اعز الامور فاذا لم تكن ذاهبا مستهترا فعليك ان ترتب اورادك فاحد الاوراد هو من وقت انتباهك عن النوم الى طلوع الشمس وينبغي ان تجمع في هذا الوقت الشريف بعد الفراغ عن الصلوة بين الذكر والدعاء والقراءة والتفكر فان لكل واحد اثرا آخر في تنوير القلب وتعرف كيفية ذلك وتفصيله في كتاب بداية الهداية وكتاب ترتيب الاوراد من الاحياء وكذلك تفعل بين الطلوع والزوال وبين الزوال والغروب وبين الغروب والعشاء بين العشاء والصبح وانها من اشرف الاوقات لان النشاط انما يتوفر بان تخص وردا لكل وقت لتكون في كل وقت عبادة اخرى تنتقل من بعضها الى بعض ففي هذا ان كنت من العباد فان كنت معلما او متعلما او مشتغلا او وليا فالاشتغال بذلك اولى في بياض النهار وافضل من العبادات البدنية بل لان اصل الوقت العلم الذي يحصل به التعظيم لامر الله تعالى والنفع الذي يصدر عن الشفقة على خلق الله تعالى وكذلك ان كنت مشتغلا بكسب الحلال فالقيام بحق العيال بكسب الحلال افضل من العبادات البدنية ولكن في جميع ذلك لا ينبغي ان تخلع

وشغلك عن ذكر الله تع بل تكون كالمستهتر بمعشوقه المدفوع الى شغل من الاشغال الضرورية
وقته فهو يعمل ببدنه وهو غائب عن عمله حاضر بقلبه مع معشوقه حكي عن ابي الحسن الخرقاني
انه كان يعمل بالمسحاة دائما وكان يقول اعطينا اليد واللسان والقلب واليد للعمل
واللسان للخلق والقلب للحق ولنقتصر على هذا القدر في الاعمال الظاهرة ففيه كفاية ان شاء الله تع

القسم الثالث في تزكية القلب عن الاخلاق المذمومة قال
الله تع قد افلح من زكيها والتزكية هي التطهير وقال عليه السلام الطهور شطر الايمان
فافهم منه ان كمال الايمان بتزكية القلب عما لا يحبه الله تع عما يحبه الله تع فالتزكية شطر
الايمان وكيف تشتغل بالطهارة من لا يعرف النجاسة فلنذكر الاخلاق المذمومة وهي
كثيرة ولكن يرجع شعبها الى عشرة اصول

الاصل الاول شره الطعام وهو من المهلكات
الامهات لان المعدة ينبوع الشهوات اذ منها تتشعب شهوة الفرج ثم اذا غلبت
شهوة المأكول والمنكوح تتشعب منهما شره المال اذ لا يتوصل الى قضاء الشهوتين
الا به وتتشعب من شهوة المال شهوة الجاه اذ يعسر كسب المال دونه ثم عند
حصول المال والجاه وطلبهما تزدحم الآفات كلها كالكبر والرياء والحسد والحقد
والعداوة وغيرها ومنبع جميع ذلك البطن فلهذا عظم رسول الله صلى الله عليه وآله
امر الجوع فقال ما من عمل احب الى الله تع من الجوع والعطش وقال عليه السلام الفكر
نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال عليه السلام افضلكم عند الله اطولكم
جوعا وتفكرا وابغضكم عند الله تع كل اكول شروب نؤوم وقال عليه السلام ما ملأ ابن آدم
وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا محالة فثلث لطعامه
وثلث لشرابه وثلث لنفسه وقال ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا
مجاريه بالجوع والعطش وقال عليه السلام لعائشة ادیمي قرع باب الجنة يفتح لك قالت
وكيف ذلك قال بالجوع والظمأ وقال عليه السلام كلوا واشربوا في انصاف
البطون فانه جزء من النبوة

فصل لعلك تشتهي ان تعلم السر في تعظيم الجوع
ومناسبته لطريق الآخرة فاعلم ان له فوائد كثيرة ولكن يرجع اصولها الى سبع احدها
صفاء القلب ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب قال عليه السلام

من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه ولا يخفى ان مفتاح السعادة المعرفة ولا تنال
الا بصفاء القلب فلذلك كان الجوع قرع باب الجنة الثانية رقة القلب حتى يدرك
به لذة المناجاة ويتأثر بالذكر والعبادة قال الجنيد رحمه الله يجعل احدكم
القلب بينه وبين الله تع مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة
ولا يخفى عليك ان احوال القلب من الخشية والخوف والرقة بالمناجات
والانكسار بالهيبة من مفاتيح ابواب الجنة وان كان باب المعرفة فوقه
والجوع قرع لهذا الباب ايضا الثالثة ذل النفس وزوال البطر والطغيان
منها فلا تنكسر النفس بشيء كالجوع والطغيان داعي الى الغفلة عن الله تع
وهو باب الجحيم والشقاوة والجوع اغلاق لهذا الباب وفتح اغلاقه باب السعادة
فتح باب السعادة ولذلك لما عرضت الدنيا للنبي عليه السلام قال لا بل اجوع يوما
واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت الرابعة ان البلاء
من ابواب الجنة لان فيه مشاهدة طعم العذاب وبه يعظم الخوف من عذاب الآخرة
ولا يقدر الانسان على ان يعذب نفسه بشيء كالجوع وانه لا يحتاج فيه الى التكلف ويرتبط
بها فوائد اخرى فيكون هذا بلاء الله تع على الدوام الخامسة كسر سائر الشهوات
التي هي منابع المعاصي قال علي عليه السلام ما شبعت قط الا عصيت او هممت وقالت
عائشة اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشبع ان القوم لما
شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا السادسة خفة البدن للتهجد
والعبادة وزوال النوم المانع من العبادة فان رأس مال السعادة العمر والنوم
ينقص العمر اذ يمنع من العبادة واصله كثرة الاكل قال ابو سليمان الداراني رحمه
الله من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة العبادة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة
على الخلق لانه اذا شبع ظن الخلق كلهم شباعا وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان سائر المؤمنين يدورون حول
المساجد وهو يدور حول المزابل السابعة خفة المؤونة وامكان القناعة بقليل من الدنيا

والمكان ايثار الفقر فان من تخلص من شره بطنه لم يفتقر الى مال كثير فيسقط عنه اكثر هموم الدنيا فمن
اراد ان يستقرض لقضاء شهوة البطن استقرض من نفسه فترك شهوته كان اذا اقبل الى ابراهيم
بن ادهم رحمه الله في شيء انه غالي قال ارخصوه بالترك فصل لعلك تقول قد صار الشبع والا
كثار من الاكل لي عادة فكيف اتركها فاعلم ان ذلك سهل على من اراده بالتدريج وهو ان ينقص
من طعامه كل يوم لقمة حتى ينقص رغيفا في مقدار شهر فلا يظهر اثره ويصير الكل القليل عادة ثم
اذا ادخلت في القليل فلك نظر في القدر والوقت والجنس اما القدر فللتقليل ثلث درجات اعلاها
وهي درجة الصديقين الاقتصار على قدر القوام وهو الذي يخاف من النقصان منه على العقل
او الحيوة وهو اختيار سهل التستري وهو يرى ان صلوته قاعدا للضعف من الصلوة
قائما مع قوة الاكل الثانية ان تقنع بنصف مد في كل يوم وهو ثلث البطن وعلى ذلك كان عمر وجماعة
من الصحابة اذ كان قوتهم بالاسبوع صاعا من شعير الثالثة المد الواحد وهو ما جاوز ذلك
فهو مشاركة مع اهل الغفلة ومال عن طريق السالكين والمسافرين الى الله تعالى وقد يقع في المقادير
اختلاف الاحوال والاشخاص وغير ذلك فالاصل فيه ان تمد اليد الى الطعام بعد صدق جوعه وتكف وهو بعد
صادق الاشتهاء وعلامة صدق الجوع ان تشتهي الخبز كان من غير ادام واذا استثقل الاكل
بغير ادام فهو علامة الشبع واما الوقت ففيه ايضا ثلث درجات اعلاها ان تطوى ثلثة ايام
فما فوقها فقد كان الصديق يطوي ستة ايام وابراهيم بن ادهم والثوري سبعا وبعضهم
انتهى الى اربعين يوما وقيل من طوى اربعين يوما ظهر لا محالة شيء من عجائب الملكوت
ولا يمكن ذلك الا بالتدريج واما الاوسط فان يطوي يومين والادنى بان ياكل في اليوم مرة واحدة
ثم اكل مرتين لم يكن له حالة جوع اصلا فيكون قد ترك فضيلة الجوع واما الجنس فاعلاه لب
البر مع الادام وادناه خبز الشعير من غير ادام والمداومة على الادام مكروه جدا قال عمر
لولده كل مرة خبزا ولحما ومرة خبزا وسمنا ومرة خبزا ولبنا ومرة خبزا وملحا ومرة
خبزا قفارا فهذا تنبيه على الاحسن في العادة واما السالكون للطريق فقد بالغوا في ترك
الادام بل في ترك الشهوات جملة حتى كان يشتهي بعضهم الشهوة عشر سنين وعشرين
سنين وهو يخالف نفسه ويمنعها شهواتها وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليها اجسادهم وانما همتهم الوان الطعام

بالجوع افضل

نان خشك

الوان

والوان اللباس ويتشدقون في الكلام وقد شرحنا احوال السلف في ترك الشهوات في
كتاب كسر الشهوتين الاصل الثاني شره الكلام وذلك لابد من قطعه فان الجوارح
كلها تتاثر باعمالها في القلب لكن اللسان اخص به لانه يؤدي عن القلب ما كان
فيه من الصور فتقتضي كل كلمة صورة في القلب تحاكيها فلذلك اذا كان كاذبا
حصل في القلب صورة كاذبة واعوج بها وجه القلب واذا كان في شيء من الفضول المستغني
عنه اسود بها وجه القلب واظلم حتى ينتهي كثرة الكلام الى اماتة القلب ولذلك عظم
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امر اللسان فقد قال عليه السلام من تكفل لي ما بين
لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة وسئل عن اكثر ما يدخل النار فقال الاجوفان الفم والفرج
وقال هل يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم وقال من صمت نجا وقال له
معاذ رضي الله عنه اي الاعمال افضل فاخرج عليه السلام لسانه ووضع عليه يده وقال اكثر
خطايا ابن آدم في لسانه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت
وقال من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه فالنار اولى به ولهذا كان
الصديق يضع حجرا في فيه ليمنع نفسه من الكلام فصل اعلم ان للسان عشرين آفة شرحناها
في كتاب آفات اللسان ويطول ذكرها ويكفي العاقل باية واحدة قال الله تعالى لا خير في
كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس الآية ومعناه ان لا
تتكلم فيما لا يعنيك وتقتصر على المهم ففيه النجاة قال انس استشهد غلام منا يوم احد
فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة
يا بني فقال النبي صلى الله عليه وآله وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره
وحد ما لا يعنيك الذي لو سكت عنه لم يفت به ثواب ولم تنجز ضرورة ومن اقتصر من الكلام على هذا
قل كلامه فليحاسب العبد نفسه عند ذكره ما لا يعنيه انه لو ذكر الله تعالى بدلا من تلك الكلمة لكان
ذلك كنزا من كنوز السعادة فكيف يرتضي العاقل بترك كنز واخذ مدرة هذا لو لم
يكن فيه اثم فان كان فيه اثم فقد استبدل بترك كل كنز واخذ شعلة من النار ومن
جملة ما الناس يخوضون فيه فصل لعلك تريد ان تعرف تفصيل بعض هذه الآفات فاعلم

روی بزیر

فرو رفتن

ان الغالب على الالسنة من جملة العشرين آفة خمسة الكذب والغيبة والمماراة والمدح والمزاح الاول
الكذب وقد قال النبي صلى الله عليه وآله لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله
كذابا وقال عليه السلام ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك الناس منه ويل له ويل له وقيل يا
رسول الله ايزني المؤمن ايسرق المؤمن قال عليه السلام قد يكون ذلك فقيل ايكذب فقال
لا انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وقال عليه السلام الا انبئكم باكبر الكبائر
الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم كان متكئا فقعد وقال وقول الزور وقال النبي صم
كل خصلة يطبع الله عليها المؤمن الا الخيانة والكذب فصل اعلم ان الكذب حرام في كل شيء
الا لضرورة حتى قالت امرأة لولدها الصغير تعال حتى اعطيك فقال عليه السلام وماذا
كنت تعطيه لو جاء فقالت تمرة قال اما لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة فليحذر الانسان
الكذب حتى في التخيل وحديث النفس فان ذلك ينبت في النفس صورة معوجة حتى
تكذب الرؤيا ولا ينكشف في النوم اسرار الملكوت والتجربة تشهد لذلك نعم انما يرخص
في الكذب اذا كان الصدق يفضي الى محذور اخر اشد من الكذب فيباح كما يباح الميتة
اذا ادى تركها الى محذور اشد من اكلها وهو فوات الروح قالت ام كلثوم ما رخص
رسول الله صلى الله عليه وآله في شيء من الكذب الا في ثلث الرجل يقول يريد الاصلاح
والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته وهذا لان اسرار الحرب لو وقف
عليها العدو اجترأوا واسرار الزوج لو وقفت عليها المرأة تشاد منها فساد اعظم
من فساد الكذب وكذلك المتخاصمين تدوم بينهما المعصية والعداوة فاذا امكن الاصلاح
بكذب فذلك اولى فهذا ما ورد فيه الخبر وفي معناه كذب الانسان ليستر مال غيره عن
ظالم وانكاره ليستر غيره بل انكاره لمعصية نفسه عن غيره فان المجاهرة بالفسق واظهاره
حرام وانكاره جناية نفسه على غيره لتطييب قلبه وانكاره مع زوجته ان تكون ضرتها
احب اليه وكل ذلك يرجع الى الضرار فلا تحل بجلب زيادة مال وجاه وفيه يكون كذب اكثر الناس
ثم اذا اضطر الى الكذب فليعدل الى المعاريض ما امكن حتى لا تعتاد نفسه
الكذب كان ابراهيم اذا طلب في الدار يقول لخادمته قولي له اطلبه في المسجد وكان الشعبي

يخط دائرة ويقول لخادمته ضعي الاصبع فيها وقولي ليس هاهنا وكان بعضهم ينكر ما قال
فيقول ان الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيوهم النفي بحرف ما وهو يريد غيره
وتباح المعاريض لغرض خفيف لقوله صلى الله عليه وآله لا يدخل الجنة عجوز ونحملك
على ولد البعير وفي عيني زوجك بياض لان هذه الكلمات اوهمت خلاف ما اراد فيها
فيباح مثل ذلك مع النساء والصبيان لتطييب قلوبهم بالمزاح وكذلك من يمتنع
عن اكل طعام فلا ينبغي ان يكذب ويقول لا اشتهي اذا كان يشتهي بل يعدل الى
المعاريض قال عليه السلام لامرأة قالت ذلك لا تجمعي كذبا وجوعا الآفة الثانية
الغيبة قال الله تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال النبي صلى الله عليه وآله
الغيبة اشد من الزنا واوحى الله تعالى الى موسى عم من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من
يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار وقال صلى الله عليه وآله
مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظافيرهم فقيل لي هؤلاء الذين
يغتابون الناس واعلم ان حد الغيبة كما تبينه رسول الله صلى الله عليه وآله ان تذكر
اخاك بما يكرهه لو بلغه وان كنت صادقا فاستويا ذكره نقصانا في نفسه او عقله او ثوبه
او فعله او قوله او نسبه او داره او دابته او شيئا مما يتعلق به حتى قولك انه واسع
الكم او طويل الذيل وحتى ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل له ما اعجزه
فقال اغتبتموه واشارت عائشة بيدها الى امرأة انها قصيرة فقال اغتبتيها فبهذا
يعلم ان الغيبة لا تقتصر على اللسان بل لا فرق بين ان يحصل التفهيم باليد او بالرمز
او بالاشارة او الحركة او المحاكاة او التعريض المفهم كقولك ان بعض من مر بنا او
بعض اصدقائنا كذا واعلم ان اخبث انواع الغيبة غيبة القراء ويقولون مثلا الحمد لله
الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان وطلب الدنيا ونعوذ بالله من قلة الحياء وهم يفهمون
المقصود بذلك ويقولون ما احسن احوال فلان لولا انه بلي بما ابتلي به امثالنا وهو
قلة الصبر عن الدنيا فنسأل الله تعالى ان يعافينا وغرضهم بذلك الغيبة فيجمعون بين

الغيبة والرياء واظهار التشبه باهل الصلاح في الحذر من الغيبة وهذه خبائث يغترون
بها ويظنون انهم تركوا الغيبة وكذلك قد يغتاب واحد فيغفل عنه الحاضرون فيقول
سبحان الله ما اعجب هذا حتى ينبه القوم الى الاصغاء فيستعمل ذكر الله نوع تحقيق
خبثه ويقول قلبي مشغول بفلان تاب الله علينا وعليه وليس غرضه الدعاء بل التعريف
ولو قصد الدعاء لاخفاه ولو اغتم قلبه لاجله لكتم عيبه ومعصيته وكذلك المستمع قد يظهر
تعجبا من كلام المغتاب حتى يزيد نشاطه في الغيبة والمستمع احد المغتابين كذلك
قال النبي صلى الله عليه واله فكيف اذا حرك نشاطه بالتعجب وكذلك يقول دع غيبة
فلان وهو بقلبه غير كاره لغيبته انما غرضه ان يعرف بالتورع فذلك لا يخرج عن
اثم الغيبة ما لم يكرهه بقلبه ويورطه في الرياء بل يخرج من الاثم بان يكرهه بقلبه وتكذيب
المغتاب فلا يصدقه عليه لانه فاسق بحجة التكذيب والمسلم المذكور بالغيبة يستحق
احسان الظن به قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان الله قد حرم من
المسلم دمه وعرضه وماله وان يظن به ظن السوء فالغيبة بالقلب
حرام كما انه باللسان حرام الا ان يضطر الى معرفته بحيث لا يمكنه التجاهل فصل
انما يرخص في الغيبة في ستة مواضع الاول منها المتظلم يذكر ظلم الظالم عند
سلطان ليدفع ظلمه فاما عند غير السلطان وعند غير من يقدر على الدفع فغيبة
ذكر الحجاج عند بعض من السلف فقال ان الله تعالى لينتقم للحجاج ممن اغتابه
كما ينتقم عن الحجاج لمن ظلمه الثاني الذي يستعان به على تغيير المنكر بخراسان يذكر
له ايضا الثالث المستفتي اذا افتقر الى ذكره في السؤال كما قالت هند ان ابا سفيان
رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني وهذه الكلمة شكاية ولكن انما يحل اذا كانت فيها فائدة
الرابع تحذير المسلم من شر الغير اذا علم انه لو لم يذكره لقبلت شهادته كما يذكر المزكي
اذ يعامل ويناكح فيفتخر به فيذكره لمن يتوقع تضرره به فقط الخامس ان يكون معروفا
باسم فيه عيب كالاعمش والاعرج والعدول الى اسم اخر اولى السادس ان يكون
مجاهرا بذلك العيب لا يكرهه ان يذكر كالمخنث وصاحب الماخور مجلس اللذة قال

الحسن ثلثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بفسقه والامام الجائر وهؤلاء
جمعهم انهم يجاهرون ولا يكرهون الذكر به والصحيح ان ذكر الفاسق لمفضحة بجفرها
ويكره ذكرها لا يجوز من غير عذر تحصل علاج النفس في كفها عن الغيبة ان
يتفكر في الوعيد الوارد فيه وفي قوله عليه السلام ان الغيبة اسرع في حسنات العبد
من النار في اليبس فورد ان حسنات المغتاب تنتقل الى ديوان المظلوم
بالغيبة فينظر في قلة حسناته وكثرة غيبته وانه ينتهي الى افلاسه على القرب
ثم يتفكر في عيوب نفسه فان كان فيه عيب فيشتغل بنفسه عن غيره وان كان قد
ارتكب صغيرة فيعلم ان ضرره من صغيرة نفسه اكثر من كبيرة غيره وان لم يكن فيه
عيب فيعلم ان جهله بعيوب نفسه اعظم عيب ومتى يخلو الانسان من عيب
ان اطلعه فليشكر الله تعالى ولا يلوث نفسه بالغيبة فان تلك المعصية تضيع اكل لحم الميتة من
اعظم العيوب فليحذر منه ثم مهما سبق لسانه الى الغيبة فينبغي ان يستغفر الله تعالى
ويذهب الى المغتاب ويقول ظلمتك فاعف عني فيستحله فان لم يصادفه فليكثر
من الثناء عليه ومن الدعاء له ومن الحسنات حتى اذا نقل بعضها الى ديوان
الثالثة المظلوم بقي له ما يكفيه فهي كفارة الغيبة الافة الثالثة المراء والجدال قال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم من ترك المراء وهو محق بنى له بيت في اعلى الجنة ومن
ترك المراء وهو مبطل بنى له في ربض الجنة وهذا لان الترك على المحق اشق وقال
النبي عليه السلام لا يستكمل العبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وهو محق
وحد المراء هو الاعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ او في
المعنى والباعث عليه تارة الترفع باظهار الفضل وتارة خبث العدوان واما
السبعية التي في الطبع المشوقة الى تنقيص الغير وقهره فالمراء والجدال دلة
تقوية لهذين الخبيثين المهلكين بل الواجب ان يصدق ما يسمعه من الحق ويسكت
عما يسمعه من الخطاء الا اذا كان في ذكره فائدة دينية وكان يسمع منه فيذكره برفق

لا يعنف الآفة الرابعة المزاح والافراط فيه يكثر الضحك ويميت القلب ويورث الضغينة ويسقط
المهابة والوقار قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه فيهوى
بها ابعد من الثريا وقال عليه السلام لا تمار اخاك ولا تمازحه واعلم ان اليسير منه في بعض الاوقات
لا بأس به لا سيما مع النساء والصبيان تطييبا لقلوبهم ونقل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله
لكنه قال اني لامزح ولا اقول الا حقا ويعسر على غيره ضبط ذلك وقد روي انه عليه السلام سابق عائشة
في العدو وقال للعجوز لا تدخل الجنة العجوز اي لا يبقى عجوز في الجنة وقال لصبي يا ابا عمير ما فعل
النغير والنغير ولد العصفور كان يلعب به الصبي وقال عليه السلام لصهيب وهو يأكل
التمر اتأكل وانت رمد فقال انما اكل بالشق الآخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله فهذا وامثاله من المفاكهة
لا بأس بها بشرط ان لا يتخذها عادة الآفة الخامسة المدح كما جرت به عادة الناس عند زيارة
المحتشمين وابناء الدنيا وكما جرت به عادة الناس القصاص والمذكرين يمدحون من يحضر
مجالسهم من الاغنياء وفي المدح ست آفات اربع على المادح واثنتان على الممدوح اما المادح
فالآفة الاولى فيه انه قد يفرط فيه فيذكره بما ليس فيه فيكون كاذبا والثانية انه قد يظهر له من
الحب ما لا يعتقده فيكون منافقا مرائيا الثالثة انه يقول ما لا يحققه فيكون مجازفا كقوله انه عدل
ورع وغير ذلك مما لا يتحقق مدح رجل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلا فقال
ويحك قطعت عنق صاحبك ان كان لا بد من كون احدكم مادحا اخاه فليقل احسب فلانا
ولا ازكي على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك الرابعة انه يفرح الممدوح
به وربما يكون ظالما فيعصي بادخال السرور في قلبه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى
ليغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن رحمه الله من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله تعالى
فالظالم الفاسق ينبغي ان يذم ليغتم به وينبغي في الظلم والفسق واما الممدوح فاحدى الآفتين
فيه انه يحدث فيه كبرا او عجبا وهما مهلكان ولذلك قال قطعت عنق صاحبك الثانية انه يفرح
به فيفتر عن العمل ويرضى عن نفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو مشى رجل الى رجل
مغرور

بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه اما اذا سلم المدح عن هذه الآفات في الممدوح
والمادح فلا بأس وربما ندب اليه قال عليه السلام لو وزن ايمان
[redacted]
لرجح وقال لو لم ابعث [redacted] وقد اثنى على كثير من الصحابة اذ علم ان ذلك لا يزيد في
نشاطهم ولا يورثهم عجبا فصل حق على الممدوح ان يتأمل خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات
الاعمال ويتذكر ما يعرفه من نفسه من القبائح الباطنة لا يشتبه في افكاره وحدوث نفسه بالعرفة
المادح لكف عن المدح وينبغي ان يظهر كراهة المدح ويكره بالقلب واليه الاشارة بقوله
عليه السلام احثوا التراب في وجوه المداحين وقال بعضهم لما اثني عليه اللهم ان عبدك
هذا تقرب الي بمقتك وانا اشهدك على مقته وقال علي عليه السلام لما
اثني عليه قال اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما
يظنون الاصل الثالث الغضب اعلم ان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة
التي تطلع على الافئدة ومن غلب عليه فقد نزع الى عرق الشيطان فانه مخلوق من النار وكسر
شهوة الغضب من المهمات في الدين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس الشديد
بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال عليه السلام الغضب يفسد الايمان
كما يفسد الصبر العسل وقال عليه السلام ما غضب احد قط الا اشفى على جهنم وقال رجل
لرسول الله صلى الله عليه وآله مرني بعمل واقلل فقال عليه السلام ما يبعدني من غضب الله
عز وجل قال ان لا تغضب وقال رجل فقال عليه السلام لا تغضب فاعاد عليه مرارا وهو يقول لا تغضب
وكيف لا يعظم آفة الغضب وهو يحمل في الظاهر على الضرب والشتم واطالة اللسان وفي الباطن
على الحقد والحسد واضمار السوء والشماتة والعزم على افشاء السر وهتك الستر والفرح
بمصيبة المغضوب عليه والغم بمسرته وكل واحد من هذه الخبائث مهلكة فصل عليك في صفة
الغضب وطرفان احدهما كسره بالرياضة ولست اعني بكسره اماطته فانه لا يزول اصله ولا
ينبغي ان يزول بل ان زال وجب تحصيله لانه آلة القتال مع الكفار والمنع من المنكرات وكسر من
الخيرات وهو كالكلب للصائد انما رياضته تأديبه حتى ينقاد للعقل والشرع فيهيج باشارة
العقل والشرع ويسكن باشارتهما فلا يخالفهما كما ينقاد الكلب للصياد وهذا ممكن بالمجاهدة

وهو اعتياد الحلم والاحتمال في
التعرض للمغضبات الثالثة تسكين الغضب عند الهيجان بالكظم ونحوه
عليه علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم انه لا سبب لغضبه الا انه انكر ان يجري الشيء على مراد الله تعالى
لا على مراده وهذا غاية الجهل والاخر ان يعلم ان غضب الله تعالى عليه اعظم من غضبه وان فضل الله
اكثر وكم عصاه وخالف امره فلم يغضب عنه ان خالف غيره فليس امره الزم على عبده واهله ورفقه
من امر الله تعالى عليه واما العمل فهو ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اذ يعلم ان ذلك من
الشيطان فان لم يسكن فليجلس ان كان قائما وليضطجع ان كان قاعدا كذلك ورد الخبر
فاختلاف الحال يؤثر في التسكين فان لم يسكن فليتوضأ قال عليه السلام ان الشيطان
خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ وقال عليه السلام الا ان
الغضب جمرة في قلب ابن ادم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك
شيئا فليلصق خده بالارض وهذا اشارة الى تمكين اعز الاعضاء من ارذل المواضع لتكسر الكبر
فانه السبب الاعظم في الغضب وليعلم انه عبد ذليل فلا يليق به الكبر قال رسول الله صلى الله عليه وآله
ان الرجل ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا وما يملك الا اهل بيته وقال
عليه السلام من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه املأ الله تعالى قلبه يوم القيمة امنا وايمانا وقال
عليه السلام ما من جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ يكظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله تعالى
جوفه ايمانا الفصل الرابع في الحسد وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسد يأكل
الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال عليه السلام ثلث لا ينجو منهن احد الظن والطيرة
والحسد وسأحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت
فلا تبغ وقال عليه السلام دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة
وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي
التي قسمت بين عبادي فاعلم ان الحسد حرام وهو ان تحب زوال النعمة من غيرك او تحب
نزول مصيبة به ولا تحرم المنافسة وهي ان تغبطه وتشتهي لنفسك مثله ولا تحب
زواله منه ويجوز ان تحب زوال النعمة عمن يستعين بها على الظلم والمعصية لانك
لا تحب زوال النعمة انما تحب زوال الظلم وعلامته انه لو ترك الظلم والمعصية لم تحب زوال
نعمته وسبب الحسد اما الكبر واما العداوة واما خبث النفس لانه يبخل بنعمة الله تعالى على عباده

الاصل الرابع

من غير غرض فغرض له فيه فصل اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ومرض القلب لا يداوى الا
بمعجون العلم والعمل فاما العلاج العلمي فهو ان يعلم ان الحسد يضره فلا يضر محسوده بل ينفعه اما انه
يضره فهو انه يبطل حسناته ويعرضه لسخط الله تعالى اذ يسخط قضاء الله تعالى وقسمته
التي قسمها من خزائنه على عباده وهذا ضرره في دينه اما ضرره في دنياه فهو انه لا يزال في
غم دائم وحزن لازم وذلك مراد عدوه منه فان اهم اغراض عدوه واكمل النعمة عليه حزن
حاسده فقد كان يريد المحنة لعدوه فحصلت له والحسود لا يخلو قط عن الغم والمحنة اذ لا
يزال اعداؤه او واحد منهم في نعمة واما انه ينفع عدوه فلان النعمة لا تزول بحسده
وانه تضاعف حسناته اذ تنتقل اليه حسنات الحاسد لا سيما اذا اطلق اللسان فيه فانه مظلوم
من الحاسد فقد طلب الحاسد زوال نعمة الدنيا منه فاضاف اليه نعمة الاخرة وحصل لنفسه
عذاب الاخرة فهو كمن رمى عدوه بحجر فلم يصب عدوه وعاد الى عينه فاعماها وزاد عليه
شماتة عدوه ابليس به فانه فاته النعمة وفاته الرضاء بالقضاء ولو رضي به لكان فيه ثواب
لا سيما اذا حسد على العلم والورع فان محب العالم يعظم ثوابه واما العلاج العملي فهو ان يعرف
حكم الحسد وما يتقاضاه من قول وفعل فيخالفه ويعمل بنقيضه فيثني على المحسود ويظهر الفرح
بنعمته ويتواضع له وبذلك يعود المحسود صديقا له ويتخلص من الحسد ويتخلص من اثمه والمه
ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم فصل لعلك تقول نفسي
لا تطاوعني على التسوية بين عدوي وصديقي بل تكره محنة الصديق دون العدو وتحب نعمة
الصديق دون العدو ولست مكلفا بما لا تطيق فان لم تقدر على ذلك فتخلص من الاثم بامرين
احدهما ان لا تظهر الحسد بلسانك ويدك وجوارحك واعمالك الاختيارية بل تخالف موجبها والثاني
ان تكره من نفسك حبها زوال نعمة الله تعالى عن عبد من عباده فاذا اقترنت الكراهية عن
باعث الدين بحب زوال النعمة الذي اقتضاه الطبع اندفع عنك الاثم وليس عليك تغيير الطبع
فان ذلك لا تقدر عليه في اكثر الاحوال وعلامة الكراهية ان تكون بحيث لو قدرت على ازالة نعمته
لم تقدم على الازالة مع حبك لها ولو قدرت على معونته في دوام نعمته او زيادتها لفعلت مع كراهتك
لذلك فاذا كنت كذلك فلا اثم عليك فيما يتقاضاه طبعك فان الطبع انما ينصرف عنه ذلك في حق
المستهتر بالله الذي انقطع نظره عن الدنيا وعن الخلق بل علم ان المنعم عليه ان كان في النار
فما نفع هذه النعمة وان كان في الجنة فاي نسبة لهذه النعمة الى الجنة بل يرى كل الخلق عباد الله تعالى

راحة و

العدو

فيختصهم لانهم عباده محبوبه وجب ان يظهر اثر نعمة محبوبه على عباده وهذه حالة نادرة لا تدخل تحت
التكليف الاصل الخامس في البخل وحب المال اعلم ان البخل من المهلكات العظيمة قال الله تعالى
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال الله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما
آتيهم الله من فضله الآية وقال الله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل الآية وقال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والبخل فانه اهلك من كان قبلكم وقال صلى الله عليه
وآله وسلم السخاء شجرة تنبت في الجنة ولا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في
النار فلا يلج النار الا بخيل وقال عليه السلام ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع و
اعجاب المرء بنفسه وقال عليه السلام من شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع وقال عليه
السلام لا يجتمع في مؤمن البخل وسوء الخلق فصل اعلم ان اصل البخل حب المال وهو مذموم
ومن لا مال له لا يظهر بخله ولكن يظهر حب المال ورب رجل يتسخى لكنه يحب المال ليتسخى به
فيذكره بالسخاء فذلك ايضا مذموم لان حب المال يلهي عن ذكر الله تعالى ويصرف وجه القلب
الى الدنيا ويحكم علاقته فيها حتى يثقل عليه الموت الذي فيه لقاء الله تعالى قال الله تعالى يا ايها الذين
آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله تعالى وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة و
قال الله تعالى الهيكم التكاثر وقال النبي عليه السلام لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا وقيل للنبي
عليه السلام اي امتك شر قال الاغنياء وقال عليه السلام من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه
اخذ حتفه وهو لا يدري وقال رجل يا رسول الله اني لا احب الموت فقال هل لك مال فقال
نعم قال قدم مالك فان قلب الرجل مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان اخره احب ان يتخلف معه
وقال عليه السلام اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال عليه السلام تعس
عبد الدرهم وعبد الدينار تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش فصل اعلم ان المال ليس
بمذموم من كل وجه فقد قال عليه السلام نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال عليه السلام الدنيا
مزرعة الآخرة وكيف يكون مذموما مطلقا والعبد مسافر الى الله تعالى والدنيا منزل من منازل
سفره وبدنه مركبه ولا يمكنه السفر الا به ولا يبقى البدن الا بمطعم وملبس ولا وصول اليهما الا
بالمال لكن من فهم فايدة المال علم انه انما علف الدابة لسلوك الطريق لم يتوجه عليه ذم

يأخذ منه الا قدر الحاجة فان اقتصر على ذلك سعد به كما قال النبي عليه السلام لعائشة ان اردت
اللحوق فاكتفي من الدنيا بزاد الراكب ولا تخلعي قميصا حتى ترقعيه وقال عليه السلام اللهم اجعل
قوت آل محمد كفافا وان زاد على قدر الكفاية هلك كما قال عليه السلام من اخذ من الدنيا فوق
ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر به وكذلك المسافر اذا اخذ ما يزيد على زاد الطريق مات
تحت ثقله ولم يبلغ مقصد سفره فالزيادة على قدر الكفاية مهلكة من ثلثة اوجه احدها
ان يدعو الى المعاصي فانها تمكن منها ومن العصمة ان لا تقدر وفتنة السراء اعظم من
فتنة الضراء والصبر مع القدرة اشد الثاني ان يدعو الى التنعم بالمباحات لانه
وهو اقل الدرجات فينبت على التنعم جسده ولا يمكنه الصبر عنه وذلك لا يمكن استدامته
الا بالاستعانة بالخلق والتجاء الى الظلمة وذلك يدعو الى النفاق والكذب والرياء والعداوة
والبغضاء وتنشعب منه جملة المهلكات فلذلك قال عليه السلام حب الدنيا راس كل خطيئة
الثالث انه يلهي عن ذكر الله تعالى الذي هو اس السعادة الاخروية اذ يتردد هم القلب
في خصومة الفلاحين ومحاسبة الشركاء والتفكر في تدبير الحذر منهم وتوبيخ الشركاء والمال
وكيفية تحصيله اولا وحفظه ثانيا واخراجه ثالثا وكل ذلك مما يسود القلب ويزيل صفاءه
ويلهي عن الذكر كما قال الله تعالى الهيكم التكاثر الاخرة فصل لعلك تشتهي ان تعرف
مقدار الكفاية وتقول ما من غني الا ويدعي ان ما في يده دون مقدار كفايته فاعلم ان
الضرورة انما تدعو الى المطعم والملبس فقط فان تركت التجمل في الملبس فيكفيك في
السنة ديناران لشتائك وصيفك فتتخذ بهما ثوبا خشنا يدفع عنك الحر والبرد
وان تركت التنعم في مطعمك والشبع من الطعام في جميع اوقاتك فيكفيك في كل يوم مد فيكون
في السنة خمسمائة رطل ويكفيك لادامك انما تتوسع فيه واقتصر على القليل منه بعض
الاوقات تبلغه دنانير على التقريب في السنة على رخاء الاسعار فاذا يبلغ كفايتك خمس
دنانير وخمسمائة رطل وهو القدر الذي تقدره اذا فرضنا نفقة العزب فان كنت
تحتاج لكل واحد منهم مثل ذلك فاذا كنت كسوبا وكسبت في اليوم ما يكفيك ليومك فانصرف
فاشتغل بالعبادة فان طلبت الزيادة خرجت من اهل الدين فان لم تكن كسوبا وكنت مشغولا
بالعلم والعبادة واقتنيت ضيعة تحصل منها هذا القدر دائما فانت من اهل الاقتصاد

ميل بمال

لا سيما في هذه الاعصار التي قست فيها القلوب واستولى عليها الشح وانصرفت الهمم عن تفقد ذوي
الحاجات فالاقتصاد على هذه اولى بغاية التسوية وهذا بشرط ان يكون قصدك ان تتخلص من التو
للجوع والبرد لتطرح الضيعة وتتركها فلا تكون كارها للموت ولا محبا للضيعة بل تكون الضيعة
وهي مدخل طعامك كالخلاء الذي هو موضع فراغك وانما تريده للضرورة وتود لو تخلص
منه لتخرج عن النهي في قوله صلى الله عليه وآله لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا فاذن لك اذا
قصدت الفراغة للاستعانة بها على الدين كنت متنزها عن حب الدنيا فالاقتصار على الاقل
وربما لا يحتمل بعض الاشخاص القناعة بالقدر الذي ذكرناه الا بتعب وشقة ولا حرج في
الزيادة فارى انه على المقتصد من هذا القدر لا يخرج من ابناء الدنيا ولا يخرج من حزب ابناء
الآخرة والمهاجرين الى الله تعالى مادام تقصد بذلك دفع الآلام الشاغلة عن الذكر والعبادة
دون التلذذ والتنعم في الدنيا بافضل من الطعام والملابس والادام لا يبقى بعد
هذا وما الوصية داعية الى الزيادة الا التنعم او التصدق او الاستظهار لنوائب الدهر والمال
آفة اما التنعم فاعراض عن الله تعالى واشتغال بالدنيا واما التصدق فترك المال افضل
منه قال عيسى صلوات الله عليه يا طالب الدنيا لتبر فتركك لها ابر واما
الاستظهار لخوف انه فوائد لا تدري لعله سوء ظن لا اخير له بل ينبغي ان توقع
ذلك بحسن الظن بالله وهو ان تقصد ان تصيب المال آفة من حيث لا يتوقع ليتصدق
ان ينفق للزيادة انها باب لا يحتسب ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
فان فرض على المتوقع خلافه فلا ينبغي ان يعتقد العبد ان سلامته طول عمره عن البلاء
محتوم بل البلاء الذي يصقل القلب ويزكيه ويخلصه من الخبائث كلها ولهذا اوكل بالانبياء
ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل فاتكل على فضل الله تعالى واعلم انه لا يصيبك الا ما فيه خيرك وخير ذلك
فان الله مدبر الملك والملكوت اعلم بمصالح العبد فصل هذا الذي ذكرناه تقريب يمكن الزيادة عليه
والنقصان منه بالاجتهاد في بعض الاشخاص وفي بعض الاحوال ولكن اعتقد قطعا ان المال
كالدواء النافع منه قدر مخصوص والافراط فيه قاتل والقريب من الافراط ممرض ان لم يقتل
فعليك ان تجتهد في التقريب من الضرورة لا في التقريب من الافراط والزيادة فيه فذلك خطر
عظيم وليسع في التقليل الا ان قنعة يسيرة في ايام قلائل ودفع الجزم لا يثقل عليه ان يجوع نفسه لوليمة
الفردوس لعلمه ان اللذة على قدر الجوع فصل لعلك ترغب في معرفة حد البخل اذ الشخص الواحد قد

شك في انه بخيل ام لا ويختلف الناس فيه فاعلم ان حد البخل منع ما يوجبه الشرع او المروة ولا
تظن ان من سلم الى زوجته وقريبه ما فرضه القاضي وضايق بما وراء ذلك في لقمة فليس ببخيل
وان كان من رد الخبز واللحم الى الخباز والقصاب لنقصان قدر منه يسير ليس
ببخيل وان كان له ذلك في الشرع فان حق الشرع في هذه الامور قطع خصومة البخلاء
بتقدير مقدار يطيقه البخيل ولذلك قال الله تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا الا انه
من مراعاة المروة ودفع قبح الاحدوثة وذلك يختلف بالاشخاص وكثرة المال ومن له
مال وامكنه ان يقطع بحوائج عرضه وذمته عن نفسه بقدر يسير ثم لم يفعله فهو بخيل وان لم يكن
ذلك واجبا عليه اذ قال النبي صلى الله عليه وآله ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة والتحقيق فيه ان المال خلق لفائدة
لاجلها امساكه وفي بذلها ايضا فائدة فمهما ظهر له ان فائدة البذل اعظم من فائدة الامساك ثم شق عليه البذل
فهو بخيل وحب المال والمال لا ينبغي ان يحب لذاته بل للفائدة فمصرفه الى اقوى فائدة وحفظ المروة
افضل واقوى من التنعم بالاكل الكثير مثلا فمن حمله البخل وحب المال على ان يجعل اقوى الفايدتين
واولاهما وذلك غاية البخل فان شق عليه البذل فهو بخيل ايضا وان بذل تكلفا الا انه لم يبلغ درجة السخي فلا ينال الا
عن البخل بان لا يثقل عليه بذل المال فيما ينبغي ان يبذل فيه عقلا واما درجة السخي فاعلم انه
ببذل ما يزيد على واجب الشرع والمروة جميعا فصل لعلك تريد ان تعرف علاج البخل من المهلكات في دار الآخرة هو التوهم
ودواؤه معجون مركب من العلم والعمل اما العلم فهو ان يعلم ما في البخل من الهلاك ... منه لبصر فيطلب اهم امور
في الدنيا ويعلم ان المال لا يتبعه الى قبره وانما المال لله تعالى ... ثواب الآخرة اكثر منه مقتضياته
ويعلم ان امساك المال ان كان للتنعم في الشهوات وحسن الاحدوثة وثواب ... لولده بحيث يقدم
الشهوات تجتنبه البهائم وهذه تجتنبه العقلاء وان كان لتركه لولده فكانه ... يستغني
على الله شر ويقطع بعض الجهل كيف وولده ان كان صالحا فالله يكفيه وان كان فاسقا فيستعين
على المعصية ويكون هو سبب تمكنه منها فينصرف هو ينتفع غيره واما العمل فهو ان يحمل نفسه على البذل تكلفا
ولا يزال يفعل ذلك حتى يصير له عادة ومن نوادر حيلته فيه ان يخدعه بحسن الاسم وتوقع المكافات
حتى يرغب في البذل ثم بعد ذلك يتدرج ايضا الى قمع هذه الصفات الاصل السادس الرعونة وحب
الجاه وقال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة

لمنفقين وقال صلى الله عليه وآله وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل
وقال عليه السلام ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب المال والجاه في
دين الرجل المسلم وقال عليه السلام في مدح الخمول رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين
اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم
حوائج احدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيمة على الناس لوسعهم وقال سليم بن حنظلة
بينما نحن حول ابي بن كعب نمشي خلفه اذ رآه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا امير ما تصنع فقال
ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وقال الحسن رضي الله عنه ان خفق النعال خلف الرجل قل ما يثبت
معه قلوب الحمقى وقال الثوري رضي الله عنه والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه فقد
عرفت بهذا مذمة الشهرة والجاه الا ان يشهر الله تعالى عبدا في الدين من غير طلب منه كما شهر الانبياء
والخلفاء الراشدين والاولياء فصل حقيقة الجاه وهو ملك القلوب لتسخر لذي الجاه على حسب ارادته
وتطلق اللسان بالحمد والثناء وتسعى في حاجاته كما ان معنى المال ملك الدراهم ليتوصل بها الى الاغراض
فكذلك معنى الجاه ملك القلوب لكن الجاه احب لان التوصل الى المال ايسر من التوصل بالمال الى
الجاه ولانه محفوظ عن ان يسرق ويغصب او يتعرض للآفة ولانه يسري وينمو من غير تكلف فان من ملك
قلبه باعتقاد التعظيم فلا يزال يثني ويقتنص قلوب سائر الناس لصاحبه وفيه سر آخر وهو ان
الجاه معناه العلو والكبرياء والقهر وهي الصفات الالهية والالهية محبوبة للانسان بالطبع بل هو
الذ الاشياء عنده وذلك لسر خفي في مناسبة الروح للامور الالهية وعنه العبارة بقوله قل الروح من
امر ربي وهو امر رباني فيشتهي من حيث الطبع الاستبداد والانفراد بالوجود وهو حقيقة الالهية
اذ ليس مع الله تعالى موجود بل الموجودات كلها كالظل من نور العزة فلها رتبة التبعية لا رتبة المعية
فليس في الوجود مع الله غيره وكان الانسان يشتهي ذلك بالذات كل نفس ان يقول انا ربكم الاعلى لكن اظهره
فرعون واخفاه غيره لكن ان فاته الانفراد بالوجود فيشتهي ان لا يفوته الاستيلاء على الموجودات كلها
ليتصرف فيها على حسب ارادته وبه الالهية لكن تعذر على الانسان ذلك في السموات والكواكب و
الملائكة والبحار والجبال فاشتهى الاستيلاء عليها بالعلم لان العلم نوع استيلاء فاشتهى ان من
عجز عن وضع الاشياء العجيبة فيشتهي ان يعرف كيفية الوضع وكذلك يشتهي ان يعرف عجائب
البحر وما تحت الجبال ويتصور ان يسخر له الاعيان التي على وجه الارض من الحيوانات والمعادن والنبات
فيجب ان يملكها ويتمولها ويتصرف فيه ويسخر له الانسان فيجب ان يسخره بواسطة قلبه ويملك

بان يعتقد فيه كمال الخصال فان الاجلال يتبع اعتقاد الكمال فلهذا يحب الانسان ان ينتشر جاهه
وينتشر صيته حتى الى البلاد التي يقطع انه لا يطأها ولا يرى اهلها الا ان كل ذلك بناء على صفاء الربوبية
وكل ما صار اعقل كانت هذه الصفة عليه اغلب وشهواته البهيمية فيه اضعف فصل اعلم انك
تقول فاذا كان كذلك فلم كان طلب الرفعة مذموما وهو من نتائج العقل وخواص الروح المناسبة
للامور الربانية فاعلم ان الرفعة الحقيقية طلبها محمود غير مذموم اذ المطلوب الكل هو القرب
من الله تعالى وذلك هو الرفعة والكمال اذ هو عز لا ذل فيه وغنى لا فقر فيه وبقاء لا فناء بعده
ولذة لا كدورة لها وطلب ذلك محمود وانما المذموم طلب الكمال الوهمي دون الحقيقي وانما الكمال
الحقيقي يرجع الى العلم والقدرة والحرية وهي ان لا يكون مقهورا لغيره فلا يتصور للعبد حقيقة
القدرة فان قدرته انما يكون بالمال والجاه وذلك كمال وهمي فانه امر عارضي لا بقاء له ولا في
حال البقاء له بل قيل فيه اشد الفرح عند بعض سرور يتبعه صاحبه انتقالا كيف وهذه القدرة
العارضة مع سرعة انقضائها بالموت وبآفاتها قبله لا تصفو عن الكدورات في توهمه
كما لا فوز بل الكمال في الباقيات الصالحات التي ينال بها القرب من الله تعالى ولا تزول بالموت
بل تتضاعف تضاعفا غير محدود وذلك هو المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى وصفاته وافعاله
وهو العلم بكل الموجودات اذ ليس في الوجود الا الله تعالى وافعاله حتى من ينظر فيها الناظر لا من حيث
انها افعال الله تعالى كالذي ينظر في التشريح لغرض الطب او ينظر في هيئة العالم لمعرفة الا
ستدلال باحكام النجوم فهذا لا قدر له ومن الكمال الحقيقي الحرية وهو انقطاع علاقتك من جميع
علائق الدنيا بل عن كل ما يفارقك بالموت والاقتصار في الالتفات الى الازلي الذي لا بد لك منه وهو
الله تعالى كما اوحى الله تعالى الى داود صلوات الله عليه يا داود انا بدك اللازم فالزم بدك فالعلم والحرية
من الباقيات الصالحات وهما كمالان حقيقيان والمال والبنون زينة الحيوة الدنيا وهما كمالان
وهميان والمنكوسون هم الذين عكسوا الحقيقة فاعرضوا عن طلب الكمال الحقيقي واشتغلوا
بطلب الكمال الوهمي وهم الذين يحترقون عند الموت بنيران الحسرة اذ شهدوا انهم خسروا
الدنيا والآخرة اما الآخرة فانهم لم يطلبوها ولم يحصلوا اسبابها من المعرفة والحرية واما الدنيا
فلانها ودعتهم وانقلبت الى اعدائهم وهم ورثتهم فلا تظنن ان العلم والايمان يفارقك بالموت فالموت

لا ينهدم محل العلم اصلا وليس الموت عدما حتى تظن انك اذا مت عدمت بل معنى الموت قطع
علاقة الروح من البدن الى ان يعاد اليه واذا تجرد عن البدن بقي على ما كان عليه قبل الموت من العلم
والجهل وفهم هذا طويل وتحته اسرار لا يحتملها هذا الكتاب كشفها فصل اذا عرفت حقيقة
الجاه وماهيته وانه كمال وهمي فقد عرفت ان طريق العلاج في قمع حبه من القلب ان تعلم
ان اهل الارض لو سجدوا لك مثلا لما بقي الى مدة قريبة لا الساجد ولا المسجود له كيف وسجود
الدهر عليك بان تسلم لك الملك في محلتك فضلا من قريتك او بلدتك فكيف ترضى ان تترك
ملك الابد والجاه الطويل العريض عند الله تعالى وعند ملائكته بجاهك الحقير المنقص عن جماعة
من الحمقى لا ينفعونك ولا يضرونك ولا يملكون لك موتا ولا حيوة ولا رزقا ولا اجلا فملك القلوب
كملك الاعيان وانت تحتاج منه الى قدر يسير منه لتحرس نفسك عن الظلم والعدوان وعما يشوش
عليك سلامتك وفراغتك التي تستعين بها على دينك وطلبك لهذا القدر مباح بشرط القناعة
بقدر الضرورة كما في المال وبشرط ان لا تكتسبه بالمرايات بالعبادة وذلك حرام كما سيأتي وان
لا تكتسب بالتلبيس بان تظهر عن نفسك ما انت خالي عنه فلا فرق بين من يملك القلوب بالتلبيس
وبين من كان يملك الاموال بالحرام فاذا حصلت الجاه بطريقه واقتصرت على قدر الحاجة تخلصت من الآفات
الثلاثة الا انه في خطر عظيم اكثر من خطر المال لان قليل الجاه يدعو الى كثيره فانه الذ من المال فلذلك
لا يسلم الدين غالبا الا الخامل مجهول لا يعرف كما فهمت ذلك من الاخبار والله اعلم فصل في البواعث
على طلب الجاه وحب المدح فان الانسان يتلذذ به من ثلثة اوجه احدها انه يشعر صاحبه بكمال نفسه
والشعور بالكمال لذيذ لان الكمال من الصفات الالهية والثانية انه يشعر بملك قلب المادح وقيام
الجاه عنده وكونه مسخرا له والثالثة انه يشعر صاحبه بان المادح يفضي الى موجه فينتشر بسببه
جاهه وكذلك اذا صدر المدح من بصير بصفات الكمال واسع الجاه والقدرة في نفسه وكان على
ملأ من الناس تضاعف لذة الجاه وتزول اللذة الاولى بان تصدر من غير اهل البصيرة فانه
لا يشعر بالكمال وتزول الثانية بان تصدر من خسيس لا قدرة له لان قلبه لا يعتد به وتزول الثالثة
بان يمدح في الخلوة لا في الملأ الا من حيث يتوقع انه ايضا ربما يمدح في الملأ واما الذم فانه مكروه
لنقيض هذه الاسباب واكثر الخلق اهلكهم حب المدح وكراهة الذم وتحملهم ذلك على المرايات في فنون
المعصية وعلاج ذلك بان ينظر في اللذة الاولى فانه يمدح بكثرة المال والجاه فيعلم انه كمال وهمي ان و
وهو سبب فوات كمال حقيقي فهو جدير بان يحزن لاجله لا ان يفرح به وان مدح بكمال العلم والورع فينبغي

66

ان يكون فرحه بوجود تلك الصفات ويشكر الله تعالى عليها لا بشكر غيره هذا اذا كان متصفا به وان لم
يكن متصفا به ففرحه به حماقة كفرح من يثني عليه غيره ويقول ما اطيب العطر الذي في احشائك و
امعائك وهو يعلم ما فيها من الاقذار والانتان وبهذا يعلم حال من يفرح بالمدح بالورع والزهد
والعلم وهو يعلم من باطن نفسه انه خال عنه فاما اللذة الثانية والثالثة وهو لذة الجاه عند
المادح وغيره فعلاجه ما ذكرناه في حب الجاه الاصل السابع حب الدنيا واعلم ان حب الدنيا
راس كل خطيئة وليس الدنيا عبارة عن المال والجاه فقط بل هما من حظوظ الدنيا وشعبتان
من شعبها وشعب الدنيا كثيرة ودنياك عبارة عن حالتك قبل الموت وآخرتك عبارة عن
حالتك بعد الموت وكل ما لك فيه حظ قبل الموت فهو من دنياك الا العلم والمعرفة والحرية وما يبقى
معك بعد الموت فانها ايضا لذيذة عند اهل البصائر ولكنها ليست من الدنيا وان كانت في الدنيا
وهذه الحظوظ الدنيوية تتفاوت وتتعلق بما فيه حظ وتتعلق باعمالك المتعلقة باصلاحها فهي ترجع الى
اعيان موجودة والى حظك منها والى شغلك في اصلاحها اما الاعيان فهي الارض وما عليها قال الله
تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا ومطلوب الآدمي من الارض اما عينها
فللمسكن والحرث واما نباتها فللتداوي والاقتيات واما معادنها فللنقود والاواني والآلات واما
حيواناتها فللمركب والمأكل واما الآدميون فيها فللمنكح والاستسخار وقد جمع الله تعالى في قوله زين للناس
حب الشهوات من النساء الآية واما حظك منها فقد عبر القرآن الكريم عنه بالهوى فقال ونهى
النفس عن الهوى وقال الله تعالى مفصلا له انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة الآية وذلك يندرج
فيه جميع المهلكات الباطنة من الكبر والغل والحسد والرياء والنفاق والتفاخر والتكاثر وحب والتفاخر
الدنيا وحب الثناء وهي الدنيا الباطنة واما الاعيان فهي الدنيا الظاهرة واما شغلك في اصلاحها
فهي جملة الحرف والصناعات التي الخلق مشغولون بها وقد نسوا انفسهم ومبدأهم ومعادهم
لاستغراقهم باشغالها وانما نشأ عليهم العلاقتان فان علاقة القلب بحب حظوظها وعلاقة البدن بشغل
اصلاحها فهذه هي حقيقة الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة وانما خلقت لتتزود منها الى الآخرة
لكنهم لكثرة اشغالها وفنون شهواتها انستهم الحق سفرهم ومقصدهم فتقيدوا عليها همتهم فكانوا
كالحاج في البادية يشتغل بتعهد الناقة وعلفها وتسمينها فيتخلف عن الرفقة حتى تفوته الحج

بتعهد نظر فربه بازماندن

من تهلكه السباع الضارية. فصل هذه الدنيا المذمومة المهلكة هي بعينها مزرعة الآخرة فحق من
عرفها اذ يعرف انها منزل لا السائرين الى الله تعالى وهي كرباط على الطريق اعدّ فيها العلف و
الزاد واسباب السفر فمن تزود منها للآخرة واقتصر منها على قدر الضرورة التي ذكرناها من
المطعم والملبس والمنكح وسائر الضرورات فقد حرث وبذر وسيحصد في الآخرة ما زرع ومن
عرج واشتغل بلذاتها هلك ومثال الخلق فيها كمثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى
جزيرة فامرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وخوفهم المقام واستعجال السفينة فتفرقوا
فيها فبادر بعضهم وقضى حاجته ورجع الى السفينة فوجد مكانا خاليا واسعا ووقف بعضهم
فنظر الى ازهار الجزيرة وانوارها وطرائف احجارها وعجائب غياضها ونغمات طيورها فرجع
الى السفينة فلم يجد الا مكانا ضيقا حرجا واكبّ بعضهم على تلك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها
فلم يسمح نفسه الا بان يستصحب شيئا منها فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزادته الحجارة ثقلا
وضيقا فلم يقدر على رميها ولم يجد لها مكانا فحملها على عنقه وهو يتأسف باعبائها وتوغل بعضهم في الغياض
ونسي المركب واشتغل بالتفرج في تلك الازهار والتناول من تلك الثمار وهو في تفرجه غير خال
من خوف السباع والحذر من السقطات والنكبات فلما رجع الى السفينة لم يصادفها فبقي على
الساحل فافترسته السباع ومزقته الهوام فهذه صورة اهل الدنيا بالاضافة الى الدنيا والآخرة
فتاملها واستخرج وجه الموازنة فيها ان كنت ذا بصيرة. فصل من عرف نفسه وعرف ربه وعرف
الدنيا وعرف الآخرة شاهد بنور البصيرة وجه عداوة الدنيا للآخرة اذ ينكشف له قطعا ان لا سعادة
في الآخرة الا لمن قدم على الله عارفا به محبا له فان المحبة لا تنال الا بالمعرفة وان المعرفة لا تنال
الا بدوام الطلب والذكر ولا يتفرغ لهما الا من اعرض عن اشغال الدنيا ولا يستولي المعرفة والحب
على القلب ما لم يفرغ من حب غير الله تعالى ففراغ القلب عن غير الله ضرورة اشتغاله بحب الله تعالى
ومعرفته ولن يتصور ذلك الا لمعرض عن الدنيا قانع منها بقدر الزاد والضرورة فان كنت
من اهل البصيرة فقد صرت من اهل الذوق والمشاهدة وان لم تكن كذلك فكن من اهل التقليد
والايمان وانظر الى تخويف الله اياك بالكتاب والسنة وقد قال الله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا
وزينتها الآية وقال تعالى من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك
بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة وقال عز اسمه فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا الآية ولعل
ثلث القرآن في ذم الدنيا وذم اهلها وقال النبي صلعم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال

عليه السلام الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون وقال عليه السلام ان
الله عز وجل لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه لم ينظر اليها منذ خلقها وقال عليه السلام من اصبح
والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء والزم قلبه اربع خصال هما لا ينقطع وشغلا لا يتفرغ منه
ابدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال ابو هريرة قال رسول الله صلعم
يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعا قلت نعم فاخذ بيده الى مزبلة فيها رؤوس اناس وعذرة
وخرق وعظام وقال يا ابا هريرة هذه الرؤوس كانت تحرص كحرصكم وتأمل آمالكم ثم هي اليوم عظام
بلا جلد ثم هي صائرة رمادا وهذه العذرة الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها
ثم قذفوها في بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم
فاصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها اطراف
البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك وقال عليه السلام ليجيئن اقوام يوم القيامة واعمالهم
كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون و
يصومون ويأخذون هنية من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه وقال عيسى عليه السلام
لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد وقال نبينا صلعم
احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وقال يحيى عم يا معشر الحواريين ارضوا
بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا وقال ايضا للحواريين
لاكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا
والآخرة وروي ان عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوزة شوهاء
عليها من كل زينة فقال لها كم نكحت فقالت اني لا احصيهم فقال يطلقوك او ماتوا عنك
فقالت لا بل قتلت كلهم فقال عيسى عليه السلام بؤسا لازواجك الباقين كيف
لا يعتبرون بازواجك الماضين. فصل اعلم ان من ظن انه يأتي الدنيا بدينه ويخلص عنها
بقلبه فهو مغرور وقال النبي صلعم مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي
يمشي في الماء ان لا يبتل قدماه وكتب علي عليه السلام الى سلمان الفارسي رضي الله عنه مثل
الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك
منها

منها وضع عندك يحيى بها لما انقبضت مخافة افتقادها وكن آنس ما تكون بها احذر ما تكون منها فان محبها
كلما اطمأن منها الى سرور اشخصته عنه الى مكروه وقال عيسى عليه السلام مثل الدنيا مثل شارب
ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله واعلم ان الطمأنينة الى الدنيا مع تيقن انه
راحل عنها في غاية الحماقة بل مثل الدنيا مثل دار هيأها صاحبها وزينها للضيافة الواردين
والصادرين فدخل واحد داره فقدم اليه طبقا من ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويلحقه
لا ليتملكه فجهل رسمه وظن انه وهب ذلك له فلما تعلق به قلبه استرجع منه فضجر وتوجع ومن كان
عالما برسمه انتفع به وشكره ورد الطبق بطيبة قلب وانشراح صدر فكذلك سنة الله في الدنيا فانها
دار ضيافة على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها ما ينتفعون به كما ينتفع بالعارية ثم يتركونها
لمن يلحق بعدهم بطيبة نفس من غير تعلق القلب بها الاصل الثامن في الكبر قال الله تعالى كذلك
يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال الله فبئس مثوى المتكبرين وقال النبي ع قال الله تعالى
العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال النبي ع لا يدخل الجنة
من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر وقال عليه السلام يحشر الجبارون والمتكبرون
يوم القيمة في صور الذر يطأهم الناس لهوانهم على الله عز وجل وقال عليه السلام لبلال ان في
جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله عز وجل ان يسكنه كل جبار فاياك يا بلال ان تكون ممن
يسكنه وقال عليه السلام اللهم اني اعوذ بك من نفخة الكبر وقال عليه السلام لا ينظر الله تعالى الى
من جر ثوبه خيلاء وقال عليه السلام من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله تعالى وهو عليه غضبان
وقال عليه السلام في فضيلة التواضع ما زاد الله تعالى عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله
تعالى وقال عليه السلام طوبى لمن تواضع في غير مسكنة واوحى الله تعالى الى موسى ع انما اقبل صلوة
من تواضع لعظمتي ولم يتعظم على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن
الشهوات من اجلي وقال نبينا عليه السلام اذا تواضع العبد لله رفعه الله الى السماء
السابعة وقال عليه السلام ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله وقال
عليه السلام انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه
فصل حقيقة الكبر ان يرى نفسه فوق غيره في صفات الكمال فيحصل فيه نفخة وهزة تنشأ
من هذه الرذيلة العقيدة ولذلك قال النبي ص اعوذ بك من نفخة الكبر ولذلك استأذن
بعضهم عمر ليعظ الناس بعد الصبح فقال لا اني اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا ثم هذه

النفخة يصدر منها افعال على الظاهر كالترفع في المجالس والتقدم في الطرق والنظر بعين التحقير
والغضب اذا لم يبدأ بالسلام وقصر في حوائجه وتعظيمه وبحمله على ان يأنف اذا وعظ ويعنف
اذا وعظ وعلم وجحد الحق اذا ناظر وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير وانما اعظم الكبر
حتى قال عليه السلام لا يدخل في الجنة من في قلبه مثقال ذرة لان تحته ثلثة انواع من الخباثة العظيم اولها
انه منازعة الله تعالى في خصوص صفته اذ الكبرياء رداؤه كما قال فان العظمة لا يليق الا به فمن اين
تليق العظمة بالعبد الذليل الذي لا يملك من امر نفسه شيئا فضلا من امر غيره الثانية ان يحمله
على جحد الحق وازدراء الخلق قال النبي ص في بيان الكبر الكبر من سفه الحق وغمص الناس والانفة
من الحق يغلق باب السعادة وكذا استحقار الخلق قال بعضهم ان الله تعالى خبا ثلثا في ثلث خبا
رضاه في طاعته فلا تحقرن شيئا منها لعل رضاء الله فيه وخبا سخطه في معصيته فلا تحقرن شيئا
منها صغيرة كانت او كبيرة لعل سخط الله فيها وخبا ولايته في عباده فلا تحقرن احدا منهم
فلعله ولي الله الثالثة انه يحول بينه وبين جميع الاخلاق المحمودة لان المتكبر لا يقدر ان يحب للناس
ما يحب لنفسه ولا يقدر على التواضع وعلى ترك الانفة والحقد والغضب ولا يقدر على كظم الغيظ
وقبول النصح وعلى ترك الرياء وبالجملة فلا يبقى خلق مذموم الا ويضطر المتكبر الى ارتكابه ولا خلق محمود
الا ويضطر الى تركه فصل العلاج الجملي لقمع رذيلة الكبر ان يعرف الانسان نفسه فان اوله نطفة
مذرة واخره جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة ويفهم قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره
من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره فليعلم انه خلق من كتم العدم ذاته
لم يكن شيئا مذكورا ولا شيء اقل من العدم ثم خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة
ليس له سمع ولا بصر ولا حيوة ولا قوة ثم خلق له ذلك كله وهو بعد على غاية النقصان يستولي
عليه الامراض والعلل وتتضاد فيه الطبائع فيهدم بعضها بعضا يمرض كرها ويجوع كرها و
يعطش كرها يريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان ينسى الشيء فيذكره ويكره الشيء فينفعه
ويشتهي الشيء فيضره ولا يأمن في لحظة من ان يختلس روحه او عقله او صحته او عضو
من اعضائه ثم اخره الموت والتعرض للعقاب والحساب فان كان من اهل النار فالخنزير خير
منه فمن اين يليق به الكبر وهو عبد مملوك ذليل لا يقدر على شيء قال الحسن البصري لبعض
من يتبختر في مشيته ما هذه مشية من في بطنه خرء وكيف يليق الكبر بمن يغسل القذر في كل يوم
بيده مرتين وهو حامل لها على الدوام فصل علاج الكبر على التفصيل بالنظر الى ما به التكبر وهو اربع

خصال الاول العلم قال النبي صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء وقال عليه السلام لا تكونوا من جبابرة العلماء فلا
يفي علمكم بجهلكم وقلما يخلو العالم عن آفة الكبر فانه يرى نفسه فوق الناس بالعلم الذي هو شرف
وفضيلة عند الله تعالى سنكشف بان يرى نفسه عند الله تعالى افضل من غيره وتارة في الدنيا
بان يرى حقه واجبا على الناس ويتعجب منهم ان لم يتواضعوا له وهذا بان يسمى جاهلا اولى لان العلم
الحقيقي ما يعرف به ربه ونفسه وخطر خاتمته وحجة الله عليه قال ابو الدرداء رضي الله عنه من ازداد
علما ازداد وجعا وقال تعالى لنبيه عليه السلام واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال عليه السلام
يكون قوم يقرؤون القرآن فلا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم
منا ثم التفت وقال اولئك منكم ايها الامة اولئك هم وقود النار ومن هذا اشتد حذر السلف
حتى انه ام حذيفة مرة بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما او لتصلن وحدانا اني رأيت في نفسي
انه ليس في القوم افضل مني وينبغي ان يتذكر الانسان انه كم من مسلم نظر الى عمر قبل اسلامه فاستحقره
ثم كانت خاتمته كما كانت وذلك المسلم العياذ بالله ارتد والعياذ بالله بعده فكان المتكبر
من اهل النار والمتكبر عليه من اهل الجنة وما من عالم الا ويتصور ان يختم له بالسوء ويختم
له بالسوء ويختم للجاهل بالسعادة فكيف يكون التكبر مع معرفة ذلك وقد قال عليه السلام
يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف
به اهل النار ويقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه فاي
عالم سمع مثل ذلك ثم لا يشغله خوفه عن التكبر وقد قال الله تعالى في بلعام بن باعورا وهو من اكابر
العلماء فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث الآية لانه اخلد الى الشهوة وقال الله تعالى لعلماء
اليهود كمثل الحمار يحمل اسفارا فينظر في الاخبار التي وردت في علماء السوء حتى يغلب كبره خوفه
وانما يتعجب الكبر هذا من اشتغل بعلوم غير نافعة في الدين كالجدل واللغة وغيرهما او من
اشتغل بالعلم وهو خبيث الباطن فازداد خبثه به السبب الثاني الورع والعبادة ولا يخلو المتعبد
في باطنه عن كبر حتى تنتهي الحماقة ببعضهم الى ان يحمل مصايب الناس ونسبتهم على كرامته
لمن اذاه فلو مات او مرض قال قد رأيتم ما فعل الله تعالى به وربما يقول عند الايذاء سيرون ما يجري
عليه وليس يدري الاحمق ان جماعة من الكفار ضربوا الانبياء واذوهم ثم تنعموا في الدنيا فلم ينتقم منهم
بل ربما اسلم بعضهم فسعد في الدنيا والآخرة فكانه يرى نفسه افضل من الانبياء عليهم السلام
ومصيبة اخس من الكفار وحق العابد اذا نظر الى عالم ان يتواضع له لجهله وان نظر الى فاسق

فيقول لعل فيه خلقا باطنا يستره معاصيه الظاهرة ولعل في باطني حسدا او رياء او خبثا خفيا
يمقتني الله تعالى عليه فلا يقبل اعمالي الظاهرة فان الله تعالى ينظر الى القلوب لا الى الصور ٧٧
ومن الخبث الباطن الكبر اذ روي ان رجلا من بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل
لكثرة فساده جلس الى عابد بني اسرائيل وقال لعل الله يرحمني ببركته فقال العابد
في نفسه كيف يجلس معي مثل هذا الفاسق وقال له قم عني فاوحى الله تعالى الى نبي زمانه
مرهما ليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وروي ان رجلا وطئ على رقبة
عابد من بني اسرائيل وهو ساجد فقال له ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله اليه ايها
المتألي علي بل لا يغفر الله لك فالاكياس يحذرون من ذلك ويقولون ما كان يقوله
عطاء السلمي رحمه الله مع شدة ورعه كان اذا هبت ريح او صاعقة يقول ما يصيب
الناس كل ذلك الا بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا وقال بعضهم في عرفات انا ارجو
الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر كيف من يخلي العمل والورع يخاف على نفسه وبعض
من تكلف اعمالا الظاهرة لعلها لا يخلو عن الرياء والآفات ثم يمن على الله تعالى بعمله السبب
الثالث الكبر بالنسب وعلاجه ان ينظر في نفسه فان اباه نطفة قذرة وجده التراب ولا
اقذر من النطفة ولا اذل من التراب ثم المتفخر بالنسب يفتخر بخصال غيره ولو نطق اباؤه لقالوا
من انت تفعل وما انت الا دودة من بول من ارتكبه خصلة ولذلك قيل لئن فخرت بآباء ذوي
نسب لقد صدقت ولكن لبئسما ولدوا ولهم كيف يتكبر بنسب ذوي الدنيا ولعلهم صاروا حممة
في النار يودون لو كانوا خنازير وكلابا وتخلصوا مما هم فيه وكيف يتكبر بنسب اهل الدين وهم في
انفسهم ما كانوا يتكبرون وكان شرفهم بالدين ومن الدين التواضع وكان يقول احدهم ليتني كنت
تبنة وليتني كنت طائرا اكلا وقد شغلهم خوف العاقبة عن الكبر مع عظم علمهم وعملهم فكيف
يتكبر بنسبهم من هو عاطل عن خصالهم السبب الرابع الكبر بالمال والجمال والاتباع والتكبر بها
جهل فانها امور خارجة عن الذات اعني المال والاتباع وكيف يتكبر بخصلة يسبق اليها السارق
والغاصب وكيف يفتخر بالجمال وحمى تشوهه بقذرة والجدري يزيله بل لو تفكر الجميل في اقذار
باطنه لادهشه ذلك عن تزيين ظاهره ولو لم يتعهد الجميل بدنه اسبوعا بالغسل والتنظيف
لصار اقذر من الجيفة من نتن النكهة والصنان ورائحة القذرة وكراهية الوسخ والمخاط
والغمص فمن اين للمزبلة ان يفتخر بجماله والانسان بالحقيقة مزبلة فانه منبع الاقذار والنجاسة

الاصل التاسع العجب

الاصل التاسع العجب قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وقال تعالى يحسبون انهم يحسنون

صنعا وقال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى
متبع واعجاب المرء بنفسه وقال ابن مسعود رضي الله عنه الهلاك في اثنتين القنوط والعجب وانما ٧۶
جمع بينهما لان القانط لا يطلب السعادة لقنوطه والمعجب لا يطلب السعادة لظنه انه قد ظفر بها وقال
عليه الصلاة والسلام لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اعظم من ذلك العجب العجب وقيل لعائشة متى تكون
الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن ونظر رجل الى شخص منصور وهو يطيل الصلوة ويحسن
العبادة فلما فرغ قال لا يغرنك ما رايت فان ابليس عبد الله مع الملائكة ثم صار الى ما صار
اليه فصل حقيقة العجب استعظام النفس وخصالها التي هي من النعم والركون اليها مع نسيان
اضافتها الى المنعم والامن من زوالها فان انضاف اليه ان راى لنفسه عند الله حقا ومكانا سمي
ذلك ادلالا ففي الخبر ان صلوة المدل لا ترتفع فوق راسه ولكن الكبر يستدعي متكبرا عليه والعجب
مقصور على الانفراد اما من راى نعمة الله على نفسه بعلم او عمل او غيره وهو خائف على زواله وفرح
بنعم الله تعالى عليه من حيث انه من الله فليس بمعجب بل المعجب الآمن وينسى الاضافة الى المنعم فصل
العجب جهل محض فعلاجه العلم المحض فانه اذا اعجب بقوة او جمال او نسب مما ليس يتعلق باختياره فهو
جهل اذ ليس ذلك اليه وينبغي ان يتعجب بما اعطاه ذلك من غير استحقاق وينبغي ان يتفكر في ان زوال
ذلك مخوف على القرب بادنى مرض وضعف وان اعجب بعلم وعمل وما يدخل تحت اختياره فينبغي ان يتفكر
في تلك الاعمال بماذا تيسرت وانه لا تتيسر الا بعضو وقوة وارادة ومعرفة وان جميع ذلك من خلق الله
واذا خلق الله العضو والقدرة وسلط الدواعي وصرف الصوارف كان حصول الفعل ضروريا فهو
ليس للمضطر ان يعجب بما يحصل منه اضطرارا وهو مضطر الى اختياره فانه يفعل ان شاء ولكن ان شاء
الله شاء وان لم يشأ لم يشأ خلقت فيه المشية قال الله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله فمفتاح العمل
الجزاء المنبعث عن انضرام الدواعي الصادرة مع كمال القدرة والاعضاء وكل ذلك بيد الله تعالى ارايت لو كان
بيد ملك مفتاح خزانة فاعطاك اياه فاخذت منها اموالا اتعجب بجوده اذ اعطاك المفتاح بغير
استحقاق او بكمالك في اخذه واي كمال في الاخذ بعد التمكين فصل من العجائب ان يعجب العاقل بعلمه
وعقله حتى يتعجب ان افقره الله تعالى واغنى بعض الجهال ويقول كيف وسع النعمة على جاهل وحرمني
فيقال له كيف رزقك العلم والعقل وحرم الجاهل فهذه عطية ~~جعلها خصصها~~ فهذه عطية منه انجعلها
سببا لاستحقاق عطية اخرى بل الوجه لا يبعد جمع العقل والغنى وحرم الجاهل عنهما جميعا كان ذلك
اولى بالتعجب وما يعجب العاقل منه الا كمعجب من اعطاه الملك فرسا ثم اعطى غيره غلاما فيقول كيف يعطي
الغلام لفلان والفرس لم يعط خادما ناصاحب الفرس وانما صار صاحب الفرس بعطائه فيجعل عطاءه سببا

اعطاء الفضل
استحقاق عطاء آخر وهو عين الجهل بل العاقل يكون ابدا متعجبا من فضل الله تعالى وجوده من حيث
العلم ووفقه للعبادة من غير تقدم استحقاق منه وحرم غيره ذلك وسلط عليه دواعي الفساد وانتزع ٧۴
اليه بصرف دواعي الخير عنه وذلك بغير جريمة سابقة منه واذا شاهد ذلك تحقيقا غلب عليه الخوف اذ
يقول قد انعم علي في الدنيا من غير وسيلة وخصني به من غيري فمن يسلي ان يعذب ويسلب النعم ايضا بعد
بظهور جناية وسبب فماذا امن ان كان ما افاضه علي من النعم مكرا واستدراجا كما قال الله تعالى فتحنا عليهم
ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وقال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون الاصل
الثاني في الرياء قال الله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون الذين هم يراؤن وقوله تعالى
انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا الآية وقال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا
ولا يشرك الآية اراد به الاخلاص وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قيل وما هو قال
الرياء يقول الله تعالى يوم القيمة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فانظروا هل
تجدون عندهم الجزاء وقال عليه السلام في حديث طويل يقال للقارئ والعالم والمنفق اذا قال فعلت يقال
كذبت اردت ان يقال فلان عالم او شجاع او جواد فيذهب به الى النار وقال عليه السلام استعيذوا بالله
من جب الحزن قيل وما هو قال هي في جهنم اعد للقراء المرائين وقد قال تعالى من عمل لي عملا اشرك
فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال صلى الله عليه وآله لا يقبل الله عملا
فيه مثقال ذرة من الرياء وقال عليه السلام ان ادنى الرياء الشرك وقال عليه السلام اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه ولحيته ويمسح شفتيه لكيلا يرى الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف عن
شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق ولهذا قال عمر لرجل طاطا
رقبته يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلوب وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان المرائي ينادى يوم القيمة بأربعة اسماء يا مرائي يا غادر يا فاجر يا خاسر اذهب فخذ اجرك ممن
عملت له فلا اجر لك عندنا وقال قتادة رحمه الله اذا راى العبد يقول الله تعالى انظروا الى عبدي يستهزئ
بي وقال الحسن رحمه الله صحبت اقواما ان كان احدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت
اصحابه وما يمنعه منها الا الشهرة فصل حقيقة الرياء طلب الرياء المنزلة والمنزلة في قلوب الناس بالعبادات
واعمال الخير وما يرائي به ستة اصناف الاول الرياء من جهة البدن وهو اظهار النحول والصفار
ليظن به السهر والصيام واظهار الحزن ليظن به شدة الاهتمام بامر الدين واظهار شعث الشعر
ليظن به انه شدة استغراقه بالدين ليس يتفرغ لنفسه واظهار ذبول الشفتين ليستدل به على صومه
وخفض الصوت ليستدل به على ضعفه من شدة المجاهدة الثاني الرياء بالهيئة كحلق الشارب وطرق

الرأس في المشي والهدو في الحركة وابقاء اثر السجود على الوجه وتغميض العينين ليظن انه في الوجد والمكاشفة
او غايص في الفكر الثالث الرياء بالثياب كلبس الصوف والثوب الخشن وتقصيره الى قريب من
الساق وتقصير الكمين وترك الثوب مخرقا ووسخا ليظن انه مستغرق الوقت عن الفراغ له ٧٥
ولبس المرقعة والسجادة ليظن انه من الصوفية مع افلاسه عن حقايق التصوف ولبس الدراعة
والطيلسان وتوسيع الاكمام ليظن انه عالم والتقنع فوق العمامة بازار ولبس الجورب ليظن انه
متقشف لشدة ورعه من غبار الطريق ثم منهم من يطلب المنزلة في قلوب اهل الصلاح فيلازم الثوب
الخلق ولو كلف لبس ثوب جديد حسن مما يباح في الشرع ولبسه السلف لكان عنده كالذبح اذ يخاف
ان يقول الناس قد بدا له من الزهد ومنهم من يطلب المنزلة عند السلاطين والتجار ولو لبس خلقان
الثياب لازدروه ولو لبس فاخر الثياب لم يعتقدوا زهده فيطلب المرقعات المصبوغة والفوطة
الرقيقة والاصواف الرقيقة ثيابهم في القيمة والنفاسة كثياب الاغنياء وفي اللون والهيئة كثياب الخشن
الصلحاء ولو كلفوا ان يلبسوا الخشن لكان عندهم كالذبح خيفة عن السقوط عن اعين الاغنياء ولو كلفوا
لبس الخز والقصب والدبيقي وما يباح لبسه وقيمته دون قيمة ثيابهم لاشتد عليهم خوفا عن سقوط
منزلتهم عن قلب الصلحاء اذ يقولون بدا له من الزهد الرابع الرياء بالقول كرياء اهل الوعظ والتذكير
وتحسين الالفاظ وتسجيعها والنطق بالحكمة والاخبار وكلام السلف مع ترقيق الصوت واظهار
الحزن مع الخلو عن حقيقة الصدق والاخلاص في الباطن ليظن انه به ذلك وكادعاء حفظ حديث ولقاء
الشيوخ والمبادرة الى الحديث انه صحيح او سقيم ليظن به غزارة العلم وتحريك الشفتين بالذكر والامر
بالمعروف بمشهد الناس مع خلو القلب عن التفجع بالمعصية وكاظهار الغضب عن المنكرات والاسف
على المعاصي مع خلو القلب عن التالم به الخامس الرياء بالعمل كتطويل القيام وتحسين الركوع والسجود
واطراق الراس كما وقلة الالتفات والتصدق والصوم والحج والاخبات في المشي وارخاء الجفون
مع ان الله تع يعلم من باطنه انه لو كان خاليا لما فعل شيئا من ذلك بل تساهل في الصلوة وتسارع في المشي
وقد يفعل ذلك في المشي فاذا استشعر باطلاع غيره يعود الى السكينة كي يظن به الخشوع السادس
الرياء بكثرة التلامذة والاصحاب وكثرة ذكر الشيوخ ليظن انه لقي شيوخا كثيرة وكمن يحب ان
يزوره العلماء والسلاطين ليقال انه ممن يتبرك به فهذه مجامع ما يرائي به في الدين فطلب الجاه
ماله وكل ذلك حرام بل هو من الكباير واما طلب المنزلة في قلوب الناس بافعال ليست من العبادات
واعمال الدين فليست بحرام ما لم يكن فيه تلبيس كما ذكرناه في طلب الجاه فاهل الدنيا قد يطلبون الجاه بكثرة

المال والغلمان وحسن الثياب الفاخرة وحفظ الاشعار وعلم الطب والحساب والنحو واللغة وغير ٧٦
ذلك من الاعمال والاحوال ولم يجر ذلك ما لم ينتسب الى الابتداء بالتكبر والى اخلاق اخر مذمومة وانما
استقصينا اقسام ما به الرياء لانه اغلب اخلاق الذميمة على النفوس ومن لا يعرف الشر ومواقعه لا
يمكنه ان يتقيه فصل الرياء على درجات خفية منها ان يلبس في الملا غير ما يلبس في الخلوة و
كالذي ينفق في الضيافات وعلى الاغنياء والامراء الا ليعتقد انه سخي لا ليعتقد انه صالح ورع فذلك
ليس بحرام فان تملك القلوب كتملك الاموال في القليل منه صلاح والكثير منه يلهي عن ذكر الله تعالى
كالكثير من المال ومهما انصرفت الهمة الى سعة الجاه فيجر ذلك الى الغفلة والمعاصي فيكون محذورا
لذلك لا لنفسه واما اظهار الشمايل التي ذكرنا ليعتقد الناس فيه الدين والورع حرام لشيئين احدهما
انه تلبيس اذا اراد ان يعتقد الناس انه مخلص مطيع لله محب وهو بخلافه فالتلبيس ممقوت عند
الله ولو سلم الرجل الى جماعة دراهم يخيل اليهم انه يجود عليهم بها وانما هي ديون لازمة عصى به لتلبيسه
وان لم يطلب به ان يعتقد صلاحه لان تملك القلوب بالتلبيس حرام الثاني انه اذا قصد بعبادة الله
خلق الله فهو مستهزئ ومن وقف بين يدي ملك في معرض الخدمة وليس غرضه ذلك بل غرضه ملاحظة
عبد من عبيد الملك او جارية من جواريه فانظر ماذا يستحقه من النكال لاستهزائه بالملك فكذا اذا
قصد العباد بالعبادة فقد ظن ان عباد الله اقدر على نفعه وضره من الله تع اذ عظمة العبادة وقلبه بنعمه
دعته الى ان يتجمل عندهم بعبادة الله تع ولهذا سمي الرياء الشرك الاصغر ثم يتزايد الاثم بتزايد
فساد القصد والنية اذ من المرائين من لا يطلب الا مجرد الجاه ومنهم من يطلب ان يودع الودايع
ويوقف عنده الاوقاف ومال الايتام ليختزن منها وذلك اخبث لا محالة ومنهم من يرائي ليقصده
النساء والصبيان ليتمكن من الفجور او ليكثر عنده المال ليصرفه الى الخمر والملاهي وهذا هو الاعظم
اذ جعل عبادة الله تع وسيلة الى مخالفته والعياذ بالله فصل يعظم الرياء ويتغلظ اثمه بسبب اختلاف
الغرض الباعث عليه فيتغلظ ايضا بما به المراءات وبقوة قصد الرياء اما ما به المراءاة فهي على ثلثة
درجات اغلظها ان يرائي باصل الايمان كالمنافق يظهر انه مسلم ولم يسلم بقلبه وكالملحد ومعتقد الاباحة
يظهر انه مستديم الاسلام وقد انسل باطنه الثانية الرياء باصل العبادات كمن يصلي ويخرج الزكوة
بحيث يرى الناس والله يعلم من باطنه انه لو خلا بنفسه لم يفعل ذلك الثالثة وهي ادناها ان لا يرائي
بالفرايض بل بالنوافل كالذي يكثر النافلة ويحسن هيئة الفريضة ويخرج الزكوة من اجود ماله

نعم يحج او يصوم يوم عرفة وعاشوراء والله يعلم من باطنه انه لو خلا بنفسه لم يفعل شيئا من ذلك وهذا
(ايضا حرام) وان كان لا ينتهي شدة العقوبة فيه الى حد الرياء بالاصول واما تغليظه بدرجات القصد
فهو انه قد يتجرد قصد الرياء حتى يصلي مثلا بغير طهارة لاجل الناس ويصوم ولو خلا بنفسه لافطر وقد
ينضم اليه قصد العبادة ايضا وله ثلث احوال احدها ان تكون العبادة باعثة مستقلة ولو خلا بنفسه لكن
زاده رؤية غيره ومشاهدته نشاطا وخف عليه العمل بسببه فارجو ان لا يحبط ذلك القدر عمله بل
ينفع عبادته ويثاب عليها ويعاقب على قصده الرياء او ينقص من ثوابه الثانية ان يكون قصد العبادة
ضعيفا بحيث لو انفرد عن الناس ما استقل بالحمل على العبادة فهذا لا ينفع عبادته والقصد الضعيف
لا ينفي عنه شدة المقت الثالثة ان يتساوى القصدان بحيث يستقل كل واحد بالحمل لو انفرد او لا
ينبعث الفعل باحدهما بل بالمجموع فهذا قد اصلح شيئا وافسد مثله بل الاكثر منه فالغالب انه لا يسلم راسا
على السوية يحتمل ان يقال اذا تساقط القصدان فاحدهما كفارة للآخر وقوله تعالى انا اغنى الاغنياء عن
الشرك يدل على انه لا يقبله ولا يثيبه عليه اما انه يعاقبه عليه ففيه نظر فالاغلب عندي والعلم عند الله
انه لا يخلو عن اثم وعقاب. فصل اعلم ان بعض الرياء جلي وبعضها اخفى من دبيب النمل اما الجلي فما
يبعث على العمل حتى لولاه لم يرغب على العمل واخفى منه ان لا يستقل بالحمل ولكن يخفف العمل ويزيد في نشاطه
واخفى منه ان لا يزيد نشاطه كالذي يتهجد كل ليلة فاذا كان عنده ضيف زاده نشاطه واخفى منه ان لا يوجب
نشاطه ولكن لو اطلع غيره على تهجده قبل فراغه او بعد فراغه فرح به ووجد في نفسه هزة وذلك يدل على
ان الرياء كان مستكنا في باطن الفؤاد استكنان النار تحت الرماد حتى ترشح منه السرور عند الاطلاع
وقد كان غافلا عنه قلبه واخفى منه ان لا يسر بالاطلاع لكن يتوقع ان يبدأ بالسلام ويوقر ويتعجب ممن
يستبعد المولا مساهمته في المعاملة ولا يحترمه وذلك يدل على انه يمن على الناس بعمله فكانه يتوقع احترامهم
وتوقيرهم لعبادته مع اخفائه عنهم وامثال هذه الخفايا لا يخلو عنها الا الصديقون ويتبع ذلك انه
يخاف منه احباط العمل نعم لا باس ان يفرح باطلاع غيره عليه اذا كان فرحه بالله تعالى من حيث
اظهاره منه الجميل او ستره منه القبيح مع انه قصد سترهما جميعا فيفرح بلطف صنع الله تعالى وكذلك
يفرح لانه يبشره بانه حيث احسن ستره في الدنيا فكذلك يفعل به في الآخرة او يفرح ليقتدي به
من يراه او يطيع الله بحمده له عليه وعلامته هذا ان يفرح ايضا اذا اطلع على غيره ممن يحب قدوته
على عبادة غيره ومن اجل خفايا ابواب الشر باعث شدة استيلائه على الباطن احتشم اولو الحزم
فاخفوا عباداتهم وجاهدوا انفسهم وقال علي عليه السلام ان الله تعالى يقول للقراء يوم القيامة الم يكن
يرخص عليكم في الشرا او لم تكونوا تبتدءون بالسلام الم تكن تقضى لكم الحوائج لا اجر لكم فقد استوفيتم
اجوركم فاجتهد ان اردت الخلاص ان يكون الناس عندك كالبهائم والصبيان فلا تفرق في عبادتك بين

بعضها اخفى

ضعيف

وجدهم وعدمهم وعلمهم به او غفلتهم عنه او يقنع بعلم الله تعالى وحده ويطلب الاجر منه فانه لا يقبل الا
الخالص فكيف لا تحترز عن فاسد تنفق احوج اوقاتك اليه. فصل لعلك تقول لا اقدر على انفكاك الرياء
الخفي كما وصفته فان قدرت على الجلي فهل تنفق عبادتي مع ذلك فاعلم ان وارد الرياء
لا يخلو اما ان يرد مع اول العمل او في دوامه او بعد الفراغ اما ما يقارن الابتداء فيبطله ويمنع
انعقاده ان صار باعثا مستقلا او شريكا في الحمل على العمل بل اول الوقت مثلا فاظن والعلم عند الله تعالى
ان اصل الصلوة تصح وانما يفوته فضيلة المبادرة ويعصي بقصد المراياة به ولكن يسقط الفرض عنه
واما ما يرد في دوام الصلوة ان ابطل باعثه فيبطل صلوته مثاله ان يحضر في اثناء الصلوة نظارة او
يتذكر شيئا نسيه ولو خلا القطع لكنه اتم حياء من الناس فهذا لا يسقط الفرض عنه لان النية قد
انقطعت وانقطع باعث الصلوة اما اذا لم تنقطع نيته لكن صار مغمورا مغلوبا كما لو حضر قوم فغلب
عليه الفرح باطلاعهم وانغمر باعث العبادة فغالب الظن انه ان انقضى ركن ولم يعاوده الباعث الاصلي
فسدت صلوته لانا نستصحب نية البداية بشرط ان لا يطرأ ما هو اقوى ابتداء بالمنع وان لم تغمر باعث
العبادة لكن حصل مجرد سرور ولم يؤثر في العمل بل في تحسين الصلوة فغالب الظن ان الصلوة لا
تفسد بل تؤدي الفرض اما ما يطرأ بعد الصلوة من ذكر وسرور بما اداه فلا ينعطف على ما مضى
ولكن يعصي به ويأثم ويكون عقابه بقدر قصده واظهاره وتحدثه بها اظهارا له ان دعته ذكر العبادة اما با
لتصريح واما بالتعريض فهو فيئ يدل على ان الرياء كان خفيا في باطنه. فصل اذا عرفت حقيقة الرياء
وكثرة مداخله فعليك بالتشمير لمعالجته وعلاجه دفع الاسباب الباعثة عليه وهي ثلثة حب المدح وخوف
الذم والطمع اما حب المدح فكمن يهجم على صف القتال ليقال انه شجاع او يظهر العبادات ليقال
انه ورع فعلاجه ما ذكرناه في علاج حب الجاه وهو ان يعلم انه كمال وهمي لا حقيقة له وعلاجه في الرياء خاصة
ان يقرر في نفسه ما فيه من الضرر فان الفعل وان كان لذيذا فاذا علم ان فيه سما سهل تركه فليقرر على
نفسه ما فيه من الضرر انه ينادى يوم القيامة على رؤس الخلائق يا فاجر يا غادر يا مرائي اما استحييت بالله واخبث
العباد وتحببت الى العباد بالتقرب تحببت الى الله وطلبت رضاهم بسخط الله اما كان احد اهون عليك
من الله تعالى فلو لم يكن الا هذا الخزي والخجلة لكان كافيا في المنع عنه كيف وقد انضم اليه الشقوة واحباط
العمل وانه ربما ترجح كفة السيئات بعد ان قاربت كفة الحسنات فيكون سبب هلاكه وليقرر
على نفسه ان رضا الناس غاية لا يدرك ومن طلب رضا الناس بسخط الله تعالى سخط الله عليه فكيف
يترك رضا الله بما لا يطمع في حصوله اما الباعث الثاني وهو الخوف من ذمهم فليقرر على نفسه ان

روز قيامت

ذمهم لم يضره ان كان محمودا عند الله تعالى ولم يتعرض لذم الله ومقته خوفا من ذم الخلق ويكفيه ان الناس لو علموا
ما في باطنه من قصد الريا لمقتوه وان الله الآن يكشف سره حتى يعرف نفاقه فيمقته الناس ايضا بعد ان
مقته الله تعالى ولو اخلص واعرض بقلبه عنهم وجرد نظره الى الله تعالى لكشف لهم اخلاصه له فاحبوه
واما باعث الطمع فيدفعه بان يعلم ان ذلك امر موهوم وفوات رضاء الله تعالى ناجز ويعلم ان الله تعالى هو
المسخر للقلوب وان من طمع في الخلق لم يخلو عن الذل والمهانة والمنة ومن اعرض بالكلية عن الريا اعرض قلب
عن الطمع لطمع في الخلق كفاه الله تعالى فاذا احضر في قلبه نعيم الآخرة والدرجات الرفيعة وعلم ان ذلك يفوت بالريا
اعرض قلبه عن الخلق واجتمع همه وفاضت عليه انوار الاخلاص وايده الله تعالى بمعونته وتوفيقه فصل لعلك
تقول اني قررت هذه الكلمة على نفسي فنفر عن الريا قلبي ولكن ربما هيج علي وارد الريا بغتة في بعض العبادة
عند اطلاع الخلق فما العلاج عند هجومه فاعلم ان اصل هذا العلاج ان تخفي عبادتك كما تخفي فواحشك ففيه السلامة
روي ان بعض اصحاب ابي حفص الحداد ذم الدنيا واهلها فقال له اظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه لا
تجالسنا بعد هذا واخفاء العبادة انما يشق في البداية فاذا صار عادة الف الطبع لذة المناجات في
الخلوة ومهما هيج وارد الريا فعلاجه ان تجدد على قلبك ما رسخ فيه من قبل من المعرفة بالنفس بمقت الله تعالى
مع تجدد سقطك ومقتك حتى تنبعث منه كراهية لداعية الريا ثم الشهوة تدعو الى اجابة الريا
بتحسين العمل والفرح بعد الكراهة تدعو الى رده والاعراض عنه وتكون الغلبة للاقوى فان قويت في الكراهة
حتى منعك من الركون اليه واستمررت على حالتك التي كنت عليها فلم تزد ولم تنقص ولم تتكلف اظهار الفضل وابداء
فقد اندفع عنك الاثم ولم تتكلف اكثر من ذلك فاما دفع الخواطر ودفع الطبع عن الميل الى قبول الناس لا يدخل
تحت التكليف وانما منتهى التكليف الكراهية والاباء عن اجابة الداعية فصل يجوز اظهار الطاعات لاجل
اقتداء الناس وترغيبهم اذا صحت النية ولم يكن فيها شهوة خفية وعلامته ان يقدر ان الناس لو اقتدوا
باحد اقرانه وكفي مؤنة الترغيب واخبر بان اجره في الاسرار كاجره في الاظهار فلا يرغب في الاظهار فان
كان ميله الى ان يكون هو المقتدى به اكثر ففيه داعية الريا لانه ان كان يطلب سعادة الناس وخلاصهم
فقد حصل ذلك بغيره ولم يبق الا الاظهار بنفسه وكذلك يجوز كتمان المعاصي والذنوب ولكن بشرط ان لا
يكون غرضه ان يعتقد فيه الورع بل لا يعتقد فيه الفسق ولانه يسر بفرحه باستتار معاصيه وحزنه بانكشافها
اما فرحه بستر الله عليه واما فرحه لموافقته امر الله تعالى فان الله تعالى يحب الكتمان وينهى عن المجاهرة بها
واما لانه يكره ان يذم فيتأذى به اذ التأذي بذم الناس ليس بحرام بل هو موجب الطبع وانما الحرام
الفرح بمدح الناس اياه بالعبادة فان ذلك كاخذ الاجر على العبادة واما لانه يخاف ان يقصد
بسوء اذا عرفت معصيته واما لانه يستحي من ظهورها والحيا غير الريا ولكن قد يمتزج به واما ترك

مرة بعد اخرى حتى يسهل عليك البذل في محله وان غلب التبذير فلا تتكلف الامساك حتى يصير عادة
فيسهل عليك الامساك في محله وكذلك في خلق الكبر وساير الاخلاق وقد ذكرنا ذلك في كتاب رياضة
النفوس على التفصيل وينبغي ان تعلم ان من يبذل تكلفا فليس بسخي وان من يتواضع تكلفا فهو
ثقيل على نفسه وهو عاطل عن خلق التواضع بل الخلق عبارة عن هيئة النفس يصدر
عنها الفعل بسهولة وعادة من هذا ان البخيل قد يبذل وان السخي قد يمسك فلا تنظر
الى الفعل بل الى الهيئة الراسخة التي تصدر عنها الافعال بيسر من غير تكلف واعلم
ان تفاوت الناس في الحسن الباطن كتفاوتهم في الحسن الظاهر ولم يسلم الحسن المطلق الا النبي
انما سلم ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اثنى الله تعالى عليه فقال وانك لعلى خلق عظيم وليست الخلقة
موقوفة على الكمال البالغ لكن على ان يكون الميل الى الحسن اكثر فان القبيح المطلق في الظاهر ممقوت
والحسن المطلق معشوق وما بينهما درجات فالقريب من الحسن المطلق السعيد في الدنيا من القريب
الى القبيح المطلق وكذلك يتفاوت سعادة الاخرة بحسب تفاوت حسن الصورة الباطنة فصل
اعلم انك قد تظن بنفسك حسن الخلق وانت عاطل عنه فاياك ان تغتر وينبغي ان تحكم فيه غيرك
فتسأل عنه صديقا بصيرا لا يداهنك وبالجملة اذا نسبك غيرك الى سوء الخلق اوشك ان تكون
كذلك لان اكثر الاخلاق يتعلق بالغير فينبغي ان تنظر لهم من مواقع الغرور فيه ان تتفقد مثلا
فتظن انك تغضب لله تعالى وتظهر الغلظة وتظن انك تظهر للاقتداء وتكف عن الاكل او عن طلب
الدنيا وكظم الغيظ وانما يعرفون عليك ذلك ان تعرف به فيكون الرياء وهو الباعث على الجميع وكذلك
بكثير مواقع الغرور فيه على ما ذكرناه في كتاب الغرور فان هذا الكتاب لا يحتمل استقصاؤه فصل
ينبغي ان تتفقد هذه الاخلاق من قلبك فتبتدئ بالاهم فالاهم فتقبل على اغلب هذه الصفات فتكسرها
على التدريج فاظن ان الاغلب عليك حب الدنيا وساير المعاصي والاخلاق الذميمة تتبعها فلا يمكنك
الخلاص من حب الدنيا الا بان تطلب خلوة خالية وتتفكر في الدنيا فانها خسيسة بسبب اقبالك على الدنيا و
اعراضك عن الاخرة ولا تجد له سببا الا الحمق والجهل والغفلة فان اقصى عمرك في الدنيا مائة سنة او هب
سلمنا ان تملكت وجه الارض تسلم لك من المشرق الى المغرب في مائة سنة التي تفوتك بها المملكة في دوب
الاخر لها وهي مملكة الاخرة فان كان لا يدخل في خيالك طول الابد فقدر الدنيا كلها مملوة ذرة وقدر
طائرا ياخذ في كل الف الف سنة حبة واحدة حتى يفنى الذرة ثم لم ينقص من الابد فقدر شيئا لان العاقبة
انقضا لا نهاية لها كما كان قبل ذلك ثم انت تزيد نفسك في ذخر نفقة الاسفار اياما في تجارة او طلب رياسة
وهذا التفضيل الناجز لا يدل شيء موهوم يتحاور كان الموت قبله وربما لا يمهلك ان تظفر بمرادها
توضى بوقته لانك تستحق التعب سنة مثلا بالاضافة الى بقية العمر وجملة عمرك بالاضافة الى الابد اقل

[illegible]

معاشية بالاضافة الى عمرك بل لا اضافة بينهما انتفكر فيه لينكشف جهلك على القلب ولعلك تقول انما
افعل ذلك على توقع العفو فان الله تع كريم رحيم فاقول ولم لا تترك الحراثة والتجارة وطلب المال على توقع
العثور على كنز في خراب فان الله تع كريم ولا ينقص من ملكه شيء لو عرفك في منامك كنزا من الكنوز اى الفلاح
حتى لا تخفه قلت ذلك نادر وهذا داخل في قدرة الله تع فاعلم ان توقع العفو مع خراب الاعمال كان ام
والاخلاق كتوقع كنز في خراب بل ابعد منه وانت وقد سبقك الله تع عليه وقال ان ليس للانسان الا
ما سعى وقال ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض الاية ورغبك عن طلب
الدنيا والمال فقال الله تع وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فما بالك تكذب بكونه في الدنيا ولا كرباد
تشكل عليه ثم تخوض بنفسك بالكر في الاخرة وانت تعلم ان رب الدنيا والاخرة واحد فصل لعلك تقول
عواقب امور الدنيا قد انكشف لي بالعيان والتمكن الله قلبي واما امور الاخرة فلم اتحققها وليس
احد تصديق الحقيقي في قلبه تلبيي فلذلك فترت رغبتي في تدارك الدنيا فقد علاطو معقود بنسبته
ولست اثق به فاقول لو كنت من ارباب البصائر لانكشف لك امور الاخرة صريحا كما انكشف امور الدنيا
واذا لم تكن من اهله فتفكر في اقاويل ارباب البصائر فان الناس في امور الاخرة اربعة اصناف صنف
اثبتوا الجنة والنار كما ورد به الكلام القران وقد سمعنا انواع نعيمها وانكال جحيمها وصنف لم يثبتوا
اللذات والالام الحسية بل اثبتوهما على سبيل التخيل كما في المنام حتى يكون لكل واحد في جنة او نار
من اوجه وزعموا ان ما يشاهد ذلك فيه كما تشهد الحقيقة لان [illegible] النائم كالنائم اليقظان وانما تخلص
عنه بالتنبه وذلك في الاخرة دائم لا انقطاع له وصنف ثالث اثبتوا الالام عقلية ولذات عقلية
وزعموا ان ذلك اعظم من الحسية ومثلوا ذلك باستشعار لذة الملك واستشعار نعم العافان لا
نوال الملك يوفي الالام كثيرة بدنية على ما يظفر به عدوه ويأخذ مملكته ويستسخره مع ان نظف القدح
بقوة البدن وهؤلاء هم اصناف النظار اعنى الاصناف الثلثة وفيهم الانبياء والاولياء والحكماء وكلهم
اتفقوا على اثبات سعادة متوقعة وشقاوة متوقعة كان السعادة لا تنال الا بترك الدنيا والاقبال
على الله ولو مرضت [illegible] من اهل البصيرة في الطب ورايت افاضل الاطباء والمنجمين اقتصر نظرهم
على الطبايع الاربع [illegible] واقوام الروح موقوفا عليها ولم يتفطنوا الحقيقة الروح الالهي الحقيقي
الذي هو العارف بالله تع بل لم يدركوا الا الروح الجسماني الذي هو بخارات انضجتها حرارة القلب
تنتشر في العروق الضوارب الى جميع البدن وتفيد الحس والحركة وهي الروح التي توجد للبهائم
ايضا فاما الروح الخاص للانسان المنسوب الى الله تع حيث قال ونفخت فيه من روحي فلم يتفطنوا
له فظنوا ان الموت عدم وانه يرجع الى فساد المزاج وانه لا حظ لهم ولا يبقى امر بعد اما ان نجعل
غلطهم او نعلم قطعا صحة قولهم فان جوزت خطأهم لزمك الاعراض عن الدنيا بمجرد احتمال الانبياء

والاولياء

والاولياء والحكماء وما لك لو كنت صادق الجوع وظفرت بطعام وعمت بالكل فاخبرك صبي ان فيه
سما وان حية ولغت فيه فاصبت الجوع وتركت الاكل لا انك تقول ان كان كاذبا فلعل تفوتني الا
لذة الاكل وان كان صادقا فقد فقد المالك وهل هذه الاحتمال لا يمكن الصبي عليه فليت شعري
احتمال الخلود في النار كيف يستجري العاقل الصبي عليه وكيف لا يكون كالصبي التام في الحذر منه
حتى نقله انشاء على عليه مع ركاكة عقله فقال زعم المنجم الطبيب والطبيب كلاهما لا يحشر الاموات
قلت اليكما ان صح قولكما فلست بخاسر ان كان قولي فالخسار عليكما وان قلت اني اعلم
ضرورة صدق هؤلاء وان الموت عدم وانه لا عقاب ولا ثواب وان الانبياء والاولياء مفترون
او ملبسون واما الذي انكشف له حقيقة الحق هو الطبيب الجاهل وزعمت اني اعلم ذلك كما
اعلم ان الاثنين اكثر من الواحد حتى لا يختلجني فيه ريب فنقول هذا على فساد المزاج وركاكة العقل
والبعد عن قبول العلاج لكن مع هذا يقال لك ان كنت تطلب الراحة في الدنيا فقط فيقتضي حكمك
عقلك ايضا محو هذه الشهوات وكسرها فان الراحة في الحرية والخلاص من اسر الشهوات لا في
اتباعها فانها اذا تسلطت على النفس فهي الالام ناجزة تحمل النفس الى احتمال كل ذل ومشقة وما
المستريح في الدنيا الا الاتقياء والزهاد فيها واما طالبها فلا يزال منها في امر الاخرة على تجشم والنى
ما يعده افات الدنيا على ما يعنى فيا ايها الاحمق المغرور تنبه لنفسك بما ذكرته بعد حين الحمو
وشغلك بنا الذين اذ كلوا وتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون القسم الرابع في الاخلاق القسم الرابع
المحمودة وهي ايضا عشرة اصول الاصل الاول التوبة فانها مبدا طريق السالكين ومفتاح الاصل الاول
سعادة المريد قال الله تع ان الله يحب التوابين وقال الله تع وتوبوا الى الله جميعا وقال
النبي صلعم التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال عليه السلام لله اشد فرحا
بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع
راسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش
او ما شاء الله تع قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت فوضع راسه على ساعده
ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده وعليها زاده وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من بتوبة
هذا براحلته وزاده رواه البخاري فصل حقيقة التوبة الرجوع عن طريق البعد الى طريق
القرب ولكن لها ركن وسبب وكمال اما سببها فهو الايمان ومعناه سطوع نور المعرفة
على القلب حتى يتضح فيه ان الذنوب سموم مهلكة فيشتعل منه نور الخوف والندم وينبعث
من هذه النار صدق الرغبة في التلافي والحذر اما في الحال فبترك الذنوب واما في
الاستقبال فبالعزم على الترك واما في الماضي فبالتلافي على حسب الامكان وبذلك يحصل الكمال

فصل اذا عرفت حقيقة التوبة انكشف لك انها واجبة على كل واحد وفي كل حال ولذلك قال الله تعالى
وتوبوا الى الله جميعا فخاطب الجميع مطلقا اما وجوبها فلان معناه معرفة كون الذنوب مهلكة والانبعاث
لتركها وهو جزء من الايمان اعني هذه المعرفة فكيف لا تجب واما وجوبها على كل واحد فهو ان الانسان
مركب من صفات بهيمية وسبعية وشيطانية وربوبية حتى يصدر من البهيمية الشهوة والشره
والفجور ومن السبعية الغضب والحسد والعداوة والبغضاء ومن الشيطانية المكر والحيلة
والخداع ومن الربوبية الكبر والعز وحب المدح والاستيلاء واصول هذه الاخلاق هذه الاربع وقد
عجنت في طينة الانسان عجنا محكما لا يكاد يتخلص منها وانما ينجو من ظلماتها بنور الايمان المستفاد
من العقل والشرع فاول ما يخلق في الآدمي البهيمية فيغلب عليه المكر والخداع اذ تدعوه
الشهوة والشره في الصبي ثم يخلق فيه السبعية فيغلب عليه المعاداة والمنافسة ثم يخلق فيه الشيطانية
فيغلب عليه المكر والخداع اذ تدعوه البهيمية والسبعية الى ان يستعمل كياسته في حصول قضاء الشهوة
وتنفيذ الغضب ثم يظهر فيه بعد ذلك صفات الربوبية وهو الكبر والاستيلاء وطلب العلو ثم يخلق
بعد ذلك العقل الذي به يظهر نور الايمان وهو من حزب الله تعالى وجنود الملائكة وتلك الصفات من
جنود الشيطان وجنود العقل يكمل عند الاربعين ويبدو اصله عند البلوغ واما سائر جنود الشياطين
يكون قد سبق الى القلب قبل البلوغ واستولى عليه والفته النفس واسترسلت في الشهوات
متابعة لها الى ان يرد نور العقل فيقوم القتال والتطارد بينهما في معركة القلب فان ضعف
جند العقل ونور الايمان ولم يقو على ازعاج جنود الشيطان فتبقى جنود الشيطان مستقرة
كما سبق الى النزول اولا وقد يسلم للشيطان مملكة القلب وهذا القتال ضروري في فطرة الآدمي
اذ لا تنتج خلقة الولد ما لا تنتج له خلقة الانبياء وانما حكى لك حال آدم عم لتعتبر به ان ذلك
كان مكتوبا عليه وهو مكتوب على جميع اولاده في القضاء الازلي الذي لا يقبل التبديل فاذا
لا يستغني احد عن التوبة فصل واما وجوبها في كل حال فلان الانسان لا يخلو في جميع احواله
عن ذنب في جوارحه او في قلبه ولا يخلو عن خلق من الاخلاق الذميمة مما يجب تزكية القلب عنه فانه
مبعد عن الله والاشتغال باماطته توبة لانه رجوع من طريق البعد الى طريق القرب فان خلا
عن جميع ذلك فلا يخلو عن غفلة عن الله وذلك ايضا طريق البعد ويلزمه الرجوع عنه بالذكر
ولذلك قال الله تعالى واذكر ربك اذا نسيت فان كان حاضرا على الدوام وانى يتصور هذا
فلا يخلو عن ملازمة مقام نازل عن المقامات الرفيعة وراءه وعليه ان يترقى منه الى ما فوقه ومهما
ترقى منه استغفر عن مقامه الذي خلفه لانه تقصير بالاضافة الى ما ادركه وذلك لا نهاية له فلذلك

قال عليه السلام انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله تعالى في اليوم والليلة سبعين مرة ولاجل ذلك كان توبته
فمن الآن توبة العوام عن الذنوب الظاهرة وتوبة الصالحين عن الاخلاق الذميمة الباطنة وتوبة المتقين
عن مواقع الريبة وتوبة المحبين عن الغفلة المفتتية للذكر وتوبة العارفين عن الوقوف على مقام يتصور
ان يكون وراءه مقام اذ المقامات في القرب من الله لا نهاية لها فتوبة العارف لا نهاية لها ايضا فصل التوبة
اذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة ولا يخفى عليك ذلك ان فهمت معنى القبول ونعني القبول
ان يحصل في قلبك استعداد القبول لتجلي انوار المعرفة وانما قلبك كالمرآة تحجبه عن التجلي كدورات
الشهوات والرغبة فيها ويرتفع من كل ذنب ظلمة اليه ومن كل حسنة نور اليه فالحسنات تمحق على النفس
قال النبي عم اتبع السيئة الحسنة تمحها وشبه التوبة الى القلب شبه الصابون الى الثوب ولابد وان يزول
منه الوسخ اذا استعمل فيه على وجهه ومن تاب فان شككت في قبول التوبة لانه ليس يستيقن تمام شروطها
كان من شرب المسهل لا يستيقن حصول الاسهال لانه ليس يتحقق وجود تمام الشرائط في ادويته ولو
تصورت ان يعلم ذلك لتصور ان يعلم القبول في حق الشخص المعين ولكن هذا انما في الاعيان لا شك في ان
التوبة في نفسها طريق الوصول والقبول لا محالة فصل علاج التوبة حل عقدة الاصرار فانه لا مانع منها سوى
الاصرار ولا حامل عليه سوى الغفلة والشهوة وذلك مرض في القلب وعلاجه كعلاج امراض البدن لكن
هذا المرض اكثر من مرض الابدان لثلاثة اسباب الاول انه مرض لا يعرف صاحبه انه مرض فهو كبرص
على وجه من لا مرآة له فانه لا يعالجه لانه لا يعرفه ولو اخبره غيره ربما لم يصدقه والثاني ان عاقبته هذا
المرض غير مشاهدة الانسان لم يجربها فلذلك تراه يتكل على عفو الله تعالى ويجتهد في علاج مرض البدن بغاية
الجهد والثالث وهو الداء العضال فقد الاطباء فان الطبيب هو العالم العامل وقد مرض العلماء فما
نظرهم الى الكف عن تحذير الخلق من الدنيا لا ينكشف فضحهم فافتضحوا لما اكبوا على الاقبال
على الدنيا والتحاسد والتكالب عليها فبعد السبع الدواء وانقطع الدواعي استقل الاطباء يفتنون
الشفاء فليتهم اذ لم يصلحوا لم يفسدوا ولو سكتوا وما نطقوا بل انهم كل واحد منهم كانه صخرة في فم
الوادي لا هي تشرب ولا تترك الماء لشربه غيرها وجملة القول في علاجه ان ننظر في سبب الاصرار
وهو يرجع الى خمسة اسباب اولها ان العقاب الموعود ليس بنقد والطبع مستحمق على الموجود
محقق في الحال وعلاجه ان يتفكر ليعلم ان ما هو آت قريب وان البعيد ما ليس بآت وان الموت
اقرب الى كل احد من شراك نعله فما يدريه لعله في آخر ايامه او في آخر سنة من عمره ثم يتفكر انه كيف
يتعب في الاسفار ويركب الاخطار خوفا من الفقر في الاستقبال والثاني ان اللذات والشهوات
اخذت بمخنقه في الحال فلا يقدر على قلعها وعلاجه ان يتفكر انه لو ذكر له طبيب نصراني ان شرب
الماء البارد يضره ويسوقه الى الموت فعالوا الاشياء بقدوة كيف تركه فليعلم انه اذا كان يشفق عليه

ان الله تعالى ورسوله اصدق من الطبيب النصراني والخلود في النار اشد من الموت بالمرض وليقرر على نفسه
انه اذا كان يشق عليه ترك اللذات اياما قلائل فكيف لا يشق عليه ملابسة النار والحرمان عن الفردوس
ونعيمه ابد الدهر الثالث انه يسوف بالتوبة يوما فيوما فعلاجه ان يتفكر ويعلم ان بناء خطر السعادة
والشقاوة على ما ليس اليه جهل فمن اين يعلم انه يبقى الى ان يتوب ان اكثر صياح اهل النار من التسويف
لانهم سوفوا حتى فاجاهم مرض ساقهم الى الموت كيف وانما يسوف لانه يعجز عن قمع الشهوة في الحال
فان كان ينتظر يوما يسهل فيه قمع الشهوة فهذا يوم لم يخلق اصلا بل مثاله مثال من احتاج الى قلع شجرة فعجز
عنها لضعفه وقوة رسوخ الشجرة فيؤخرها الى السنة القابلة وهو يعلم ان الشجرة تزداد كل يوم رسوخا
وقوته تزداد كل يوم قصورا ونقصانا وذلك غاية الجهل الرابع ان يغتر بالعفو والكرم وذلك غاية
الحمق ابرزه الشيطان في معرض الدين قال رسول الله صلعم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق
من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الخامس ان يكون والعياذ بالله شاكا في امر الآخرة وقد ذكرنا علاجه في
خاتمة الاخلاق المذمومة فصل التوبة عن الذنوب كلها مهمة واجبة وعن الكبائر اهم والاصرار
على الصغيرة ايضا كبيرة فلا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع رجوع واستغفار ومواظبة الصغائر عظيم التاثير
في تسويد القلب وهو كتواتر قطرات الماء على الحجر فانه يحدث فيها حفرة لا محالة مع لين الماء وصلابة
الحجر ويعظم الصغيرة باسباب احدها ان يستصغره العبد ويستهين به فلا يغتم بسببها قال بعضهم
الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا الثاني السرور بها والتبجح بسببها والاعتداد
التمكن منها نعمة حتى ان المذنب ليتبجح ويقول اما رايتني كيف شتمته وكيف مزقت عرضه وكيف خدعته في المعاملة
وذلك يعظم الداء ويرسخ تسويد القلب الثالث ان يتهاون بستر الله تعالى عليه ويظن ان ذلك لكرامته عند
الله تعالى ولا يدري انه ممقوت وقد امهله ليزداد اثما فيكون في الدرك الاسفل من النار الرابع ان يجاهر بالذنب
ويظهره او يذكره بعد فعله ففي الخبر كل الناس معافى الا المجاهرون الخامس ان يصدر الصغيرة من
عالم يقتدى به فذلك يعظم لانه يبقى بعد موته وطوبى لمن مات وماتت معه ذنوبه وويل لمن تبقى سيئته فقد يعذب وربما
يعذب على مائة الى يوم القيمة وحكي ان بعض علماء بني اسرائيل تاب عن ذنوبه وبدعته فاوحى الله تعالى الى نبي
زمانه ان قل له لو كان ذنبك فيما بينك وبيني لغفرته لك ولكن كيف بمن اضللت من عبادي فادخلتهم النار وعلى
الجملة فلا اعتماد على التوبة الا الخوف الصادر عن البصيرة والمعرفة فلنذكر فضيلة الخوف الاصل الثاني
في الخوف وقد جمع الله للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وناهيك به فضلا فقال الله تعالى هدى
ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال الله تعالى رضي الله عنهم
ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقال النبي صلعم راس الحكمة مخافة الله تعالى وقال عليه السلام من خاف الله تعالى خافه

كل شيء

كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء وقال عليه السلام قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدي خوفين
ولا اجمع له امنين فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيمة واذا خافني في الدنيا امنته يوم القيمة فصل اعلم ان
حقيقة الخوف هو تالم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد يكون ذلك الخوف من جريان
الذنوب وقد يكون الخوف من الله تعالى بمعرفة صفاته التي توجب الخوف من الله تعالى لا محالة وهذا اكمل واتم
لان من عرف الله تعالى خافه بالضرورة ولذلك قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقد اوحى
الله تعالى الى داود عليه السلام خفني كما تخاف السبع الضاري ولذلك قال عليه السلام انا اخوفكم لله تعالى
واعلم ان الواقع في مخالب السبع انما لا يخافه اذا لم يعرف السبع فان من علم السبع ان من صفته ان يهلكه
ولا يبالي به وان تركه لم يكن لرقته عليه وشفقته له فانه احقر عنده من ان يشفق عليه فلا بد انه يخاف ولله
المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم ولكن من عرف انه لو اهلك العالمين لم يبال ولم ينقص شيء من ملكه قل فمن
يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا وكم اهلك من عباده
في الدنيا وعرضهم لانواع العذاب ولم ياخذه رقة وشفقة فان ذلك محال عليه فلا بد وان يخاف فمن عرفه
بالجلال والقدرة والاستغناء تورث الهيبة بالضرورة وهذا اكمل انواع الخوف وافضلها فصل علاج
الخوف تحصيله على مرتبتين احدهما معرفة الله تعالى فانها توجب الخوف بالضرورة فان الواقع في مخالب السبع
لا يحتاج الى علاج لكن في ان كان يعرف السبع ومن عرف جلال الله تعالى واستغناءه وانه خلق الجنة وخلق
لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وانفذت كلمته بالسعادة والشقاوة في حق كل واحد صدقا وعدلا
وان ذلك لا يتصور تغييره ولا يصرفه عن تنفيذ قضائه الازلي صارف وهو لا يدري ما الذي سبق له القضاء
في حقه ولا يدري ما الذي يختم له به واحتمل عنده ان يكون قد قضي له الشقاوة الابد فهذا لا يتصور ان لا يخاف
واما من عجز عن حقيقة المعرفة فعلاجه النظر الى الخائفين ومشاهدة احوالهم وسماع ذلك فان اخوف
خلق الله الانبياء والاولياء والعلماء واهل البصيرة واغبط الخلق امنا الغافلون الاغبياء والذين لا يفيد نظرهم
الا الى السابقة ولا الى الخاتمة ولا الى معرفة جلال الله تعالى وهذا كما ان الصبي لا يخاف الحية ما لم ينظر الى ابيه
يخافها ويهرب منها وتنتفض فرائصه اذا راها فينظر اليه فيقلده ويشتد خوفه واذا لم يعرف بالحقيقة
صفة الحية فهو قال عليه السلام ما جاءني جبرائيل قط الا وهو يرعد فرقا من الجبار وقيل لما ظهر على ابليس
ما ظهر طفق جبرائيل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فاوحى الله اليهما ما لكما تبكيان قالا يا رب
ما نامن من مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تامنا مكري وقيل لما خلق الله تعالى النار طارت افئدة
الملائكة عن اماكنها فلما خلق بنو آدم عليه السلام عادت وكان ابراهيم صلوات الله عليه يسمع وجيب قلبه
في الصلوة من مسيرة ميل وبقي داود عليه السلام اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه حتى نبت المرعى
من دموعه وقال الصديق لطائر ليتني مثلك يا طائر ولم اخلق وقالت عائشة وددت لو اني كنت نسيا منسيا وقال

ابو ذر رضي الله عنه وددت لو اني شجرة تعضد وقد حكينا احوال الخائفين في كتاب الخوف فليتأمل العاجز عن
ذروة المعرفة احوال الانبياء والاولياء والعارفين ليعلم انه احق بالخوف منهم واذا تأمل ذلك بالحقيقة
غلب خوفه فصل الخوف سوط يسوق العبد الى السعادة ولا ينبغي ان يفرط بحيث يورث القنوط فذلك
مذموم بل اذا غلب ينبغي ان يمزج بالرجاء ثم ينبغي ان يغلب الخوف الرجاء ما دام العبد مقارفا للذنوب
فاما المطيع المتجرد لله تعالى فينبغي ان خفت ان اكون ذلك الرجل ولو نودي ليدخلن النار جميع الخلق الا
رجل واحد لرجوت ان اكون ذلك الرجل فاما اذا قارب الموت فالرجاء وحسن الظن ينبغي ان يغلب قال عليه
السلام لا يموتن احدكم الا وهو حسن الظن بربه والرجاء يخالف التمني فان من لا يتعهد الارض ولا يبث البذر
ثم ينتظر الزرع متمني مغرور وليس براج انما الراجي من تعهد الارض وسقاها وبث البذر وحصل كل ما
يتعلق باختياره ثم بقي يرجو ان يدفع الله تعالى الصواعق والقواطع وان يمكنه من الحصاد بعد الانماء ولذلك
قال الله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله الاية وبالجملة
فثمرة الرجاء الترغيب في الطلب وثمرة الخوف الترغيب في الهرب ومن رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا
هرب منه واقل الخوف ما يحمل على ترك الذنوب والاعراض عن الدنيا وما لا يحمل على ذلك فهو حديث نفس
وخواطر لا وزن لها فضيلة الزهد قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم
فيه ورزق ربك خير وابقى وقال الله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث
الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وقال الله تعالى في حق قارون فخرج على قومه في زينته قال الذين
يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم ثم قال وقال الذين اوتوا العلم
ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا فبين ان الزهد من ثمرات العلم وقال النبي صلعم من اصبح وهمه
الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب
له ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي
راغمة ولما سئل النبي عم عن قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل
صدره ضيقا حرجا وعن معنى الشرح قال عم ان النور اذا دخل القلب انشرح الصدر
وانفسح فقيل وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والا
ستعداد للموت قبل نزوله وقال عم استحيوا من الله حق الحياء قيل انا نستحيي قال تبنون ما لا
تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون وقال عم من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة في قلبه فانطق بها
لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما الى دار السلام وقال عم لا يستكمل العبد حقيقة

الأصل الثالث

ان يتكافى خوفه ورجاؤه قال عمر لو نودي ليدخل الجنة جميع الناس الا رجل واحد لخفت

الايمان

اذ كل مغرور يشعر في نفسه ان لا علاقة لقلبه مع الدنيا وعلامة ذلك ان لا يورث التفرقة بعيان يسرق جميع ماله او يسرق
مال غيره فما دام يورث التفرقة فهو مشغول به فصل كمال الزهد هو الزهد في الزهد بان لا يعتقد به ولا يراه منتسبا لان
من ترك الدنيا وظن انه شيء فقد عظم الدنيا اذ الدنيا عند ذوي البصائر لا شيء ومثل صاحبها كمن منعه عن دار الملك
كلب على بابه فالقى اليه لقمة خبز وشغله به ودخل دار الملك وجلس على سرير الملك فالشيطان كلب
على باب الله تعالى والدنيا كلها اقل من لقمة بالاضافة الى الملك اذ اللقمة الزهد باعتبار الباعث عليه ثلث
درجات احديها ان يكون باعثه الخوف من النار وهذا زهد الخائفين افضل منها على الخوف لان الرجاء تقتضي
المحبة الثالثة وهي اعلاها ان يكون الباعث عليه الترفع عن الالتفات الى سوى الحق تنزيها للنفس عن الالتفات
بما سوى الله تعالى وهذا زهد العارفين وهو الزهد المحقق وما قبله معاملة اذ يميل صاحبها عن شيء عاجلا الى عاجل في
عنه اضعافه آجلا فصل الزهد باعتبار ما فيه من الزهد على درجات كماله الزهد في كل ما سوى الله تعالى في الدنيا
والاخرة ودونها الزهد في الدنيا خاصة دون الاخرة ثم يدخل فيه كل ما فيه حظ وتمتع في الدنيا من مال وجاه وتنعم ودون
ذلك ان يزهد في المال دون الجاه او في بعض الاشياء دون بعض وذلك ضعيف لان الجاه الذ واشهى من
المال فالزهد فيه اهم فصل الزهد ان تنزوي عن الدنيا طوعا مع القدرة عليها اما ان انزوت الدنيا عنك
وانت راغب فيها فذلك فقر فليس بزهد ولكن للفقر ايضا فضل على الغنا لانه منع عن التمتع بالدنيا فانها
فصاعدا فضل ممن تمكن من الدنيا والتمتع بها حتى الفها واطمأن اليها ولم يتجاف قلبه عنها انقطع عليه
الالم والحسرة عند الموت لكون الدنيا كانها جنته وكونها كانها سجن للفقير اذ يشتهي الخلاص من الالام فيها
والفقر من اسباب السعادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه
الطعام والشراب وقال صلى الله عليه واله وسلم يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائها بخمسمائة عام
وقال عليه السلام خير هذه الامة فقراؤها وقال صلى الله عليه واله وسلم اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار
الصالحين واذا رايت الغنا مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى عليه السلام يا رب من احباؤك
من خلقك حتى احبهم لاجلك قال كل فقير فقير واعلم ان الفقير اذا كان قانعا بما اعطي غير شديد
الحرص على الطلب فدرجته قريب من درجة الزاهد قال النبي صلى الله عليه واله وسلم طوبى لمن هدي للاسلام
وكان عيشه كفافا وقنع به وقال عليه السلام الفقراء الصبراء هم جلساء الله تعالى وقال عليه السلام
احب العباد الى الله تعالى الفقير القانع واوحى الله تعالى الى اسماعيل صلوات الله عليه اطلبني عند المنكسرة
قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وعلى الجملة انما يعظم ثواب الفقر عند القناعة والصبر والرضا
والصبر على الفقر مبدا الزهد ولا يتم هذه المقامات الا بالصبر فلنذكره

الاصل الرابع

الاصل الرابع في الصبر قال الله تعالى
واصبروا ان الله مع الصابرين وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم

ورحمة واولئك هم المهتدون وقال الله تعالى ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال الله تعالى
وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فذكر الله في القرآن
الصبر في نيف وسبعين موضعا وقال النبي صلعم الصبر نصف الايمان وقال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة
الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار وقال الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل
النبي صلعم مرة عن الايمان فقال هو الصبر وقال عيسى عم انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون فصل في
حقيقة الصبر ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى وهو من خاصية الآدمي الذي كالمركب من شعب
ملكية وبهيمية لان البهيمة لم يسلط عليها الا دواعي الشهوة والملائكة لم يسلط عليهم الشهوة بل
جردت للشوق الى مطالعة جمال الحضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها فهم يسبحون الليل
والنهار لا يفترون فليس فيهم داعية الشهوة فلا يتصور الصبر لملك ولا لبهيمة بل الآدمي سلط
عليه جندان يتطاردان احدهما من حزب الله تعالى وملائكته وهو العقل وبواعثه والثاني من جنود الشيطان
وهي الشهوة ودواعيها وعند البلوغ يظهر باعث الدين والعقل اذ يحمل على النظر الى العواقب ويتوقى
بقتال جنود الشيطان فان ثبت باعث الدين في مقابلة باعث الهوى حتى غلبه فقد حصل مقام الصبر اذ لا معنى
للصبر الا معنى تعارض الباعثين على التناقض وذلك كالصبر على شرب الدواء البشع اذ يدعو اليه العقل
ويمنع منه دواعي الشهوة وكل من غلبته شهوته لم يقوم عليه ومن غلب عقله شهوته فصبر على مرارته لينال
الشفاء وشطر الايمان انما يتم بالصبر ولذلك قال النبي صلعم الصبر نصف الايمان لان الايمان يطلق على المعارف والاعمال
جميعا وسائر الاعمال من طرق الكف والاقدام والترك والتخلية لا يتم الا بالصبر لان جملة اعمال الايمان على خلاف
باعث الشهوة فلا يتم الا بثبات باعث الدين في مقابلته ولهذا قال النبي صلعم الصوم نصف الصبر لان الصبر
تارة يكون في مقابلة دواعي الشهوة وتارة يكون في مقابلة دواعي الغضب والصوم هو كسر لداعية الشهوة
فصل في الصبر له ثلاث درجات بحسب ضعفه وقوته الدرجة العليا ان تقمع داعية الهوى بالكلية حتى لا تبقى لها
قوة للمنازعة ويتوصل اليها بدوام الصبر وطول المجاهدة وهم الذين قيل فيهم ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا واياهم ينادي يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية الدرجة السفلى
ان يعجز عن داعية الهوى فتسقط منازعة باعث الدين ويغلب الهوى ويسلم القلب لجند الشيطان
وهم الذين قيل فيهم ولكن حق القول مني لاملأن جهنم الآية وعلامته شيئان احدهما ان يقول
انا مشتاق الى التوبة ولكنها تعذرت علي فلست اطمع فيها فهذا هو القانط وهو الهالك الثاني
ان لا يبقى فيه شوق الى التوبة ولكن يقول الله كريم رحيم وهو مستغن عن توبتي ولا تضيق الجنة الواسعة
سعته والمغفرة الشاملة عني وهذا المسكين قد صار عقله اسير شهوته فلا يستعمل الا في استنباط

[illegible]

حيل قضاء الشهوة فصار عقله كمسلم اسير بيد الكفار يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها على
العنق والظهر الى بيعتهم وانظر كيف يكون حال العبد اذا اخذ اولاد الملك وسلمه الى اخس اعدائه حتى استرقه
والسخرة وفي مثل حاله يكون قدوم هذا الغافل المنهمك على الله تعالى نعوذ بالله منه الدرجة الوسطى ان لا يفتر
على المحاربة ولكن يكون الحرب بينهما سجالا تارة له اليد وتارة عليه اليد وهؤلاء من الذين خلطوا عملا صالحا
وآخر سيئا الآية وعلامته هذه انه يترك من الشهوات ما هو اضعف ويعجز عما هو اغلب وربما يغلبها في بعض
الاوقات دون بعضه وهو في جميع الاحوال متحسر على عجزه ومتشمر للمعاودة الى مجاهدته وقتاله وذلك هو
الجهاد الاكبر ومنها اتقى وصدق بالحسنى فسنيسره الله تعالى لليسرى وبالجملة فقد قصر عن البهيمة التي لم [illegible]
بقوة علمه شهوته وفارق بالعقل وحرم عنه البهيمة ولذلك قال الله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل الآية فصل اعلم
ان الحاجة الى الصبر عامة في جميع الاحوال لان جميع ما يلقى العبد في هذه الحيوة لا يخلو عن نوعين فانه اما ان يوافق هواه
او يخالفه فان وافق هواه كالصحة والسلامة والثروة والجاه وكثرة العشيرة فما احوجه الى الصبر عليها فانه ان لم يضبط
نفسه طغى واسترسل في التنعم واتباع الهوى ونسي المبدأ والمنتهى ولذلك قالت الصحابة بلينا بفتنة السراء فلم
نصبر ولذلك قيل يصبر على البلاء كل مؤمن ولا يصبر على العافية الا صديق ومعنى الصبر عليها ان لا يركن اليها
ويعلم ان كل ذلك وديعة عنده تسترجع على القرب وان لا ينهمك في الغفلة والتنعم ويؤدي حق شكر النعمة
[illegible] الثاني ما يخالف الهوى وذلك اربعة اقسام القسم الاول الطاعات والنفس تنفر عن بعضها
بحكم الكسل كالصلوة وعن بعضها بالبخل كالزكوة وعن بعضها بهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة
من الشدائد ويحتاج المطيع الى الصبر في ثلاثة احوال احدها اول العبادة بتصحيح الاخلاص والصبر عن شوائب
الرياء ومكايد الشيطان ومكايد النفس وغرورها الثانية حالة العمل كيلا يتكاسل عن تحقيق آدابه وفروضه
وسننه ويدوم على شرط الادب مع حضور القلب ونفي الوسواس الثالثة بعد الفراغ وهو ان يصبر عن
ذكره وافشائه للتظاهر به رياء وسمعة وكل ذلك من الصبر الشديد على النفس القسم الثاني المعاصي وقد قال
النبي صلعم المجاهد من جاهد هواه والمهاجر من هجر السوء والصبر عن المعاصي لا سيما عن معصية صارت
عادة مألوفة اذ يتظاهر فيه على باعث الدين جندان جند الهوى وجند العادة فان انضم الى ذلك سهولة
فعله وخفة المؤنة فيه لم يصبر عنها الا صديق وذلك كمعاصي اللسان فانها هينة سهلة وذلك كالغيبة
والكذب والمراء والثناء على النفس ويحتاج في جميع ذلك الى انواع الصبر القسم الثالث ما لا يرتبط با
ختيار العبد ولكن له اختيار في دفعه وتداركه كالاذى الذي يناله من غيره بيد او لسان فالصبر على ذلك
بترك المكافاة تارة يجب وتارة يستحب قال بعض الصحابة ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على
الاذى وقال الله حكاية عن بعض عباده ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الله
ودع اذاهم وتوكل على الله وقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك القسم الرابع

ما لا يدخل او لسوا اخره تحت الاختيار كالمصائب بموت الاعزة وهلاك الاموال والمرض وذهاب بعض الاعضاء وكـ
انواع البلاء والصبر عليه من اعلى المقامات قال ابن عباس رضي الله عنه الصبر في القرآن على ثلثة مقامات صبر على
الفرائض فله ثلث مائة درجة وصبر على محارم الله تعالى فله ست مائة درجة وصبر على المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسع
مائة درجة قال النبي صلعم قال الله تعالى اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما
خيرا من دمه فان ابرأته فلا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال النبي صلعم قال الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة
في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا
وقال عليه السلام من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك وقال عليه السلام انتظار الفرج
بالصبر عبادة فقد عرفت انك لا تستغني عن الصبر في جميع الاحوال ولهذا قيل انه نصف الايمان وشطره الآخر فيما يتعلق
بالاعمال وهو الشكر فقد قال عليه السلام الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وهذا باعتبار النظر الى الا
والتعبير بالايمان عنها الاصل الخامس في الشكر وقد قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور وقال لئن شكرتم لازيدنكم
قال اشكروا لي ولا تكفرون وقال سبحانه وسيجزي الله الشاكرين وقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال عليه السلام الطاعم
الشاكر منزلته منزلة الصائم الصابر وكان عليه السلام يبكي في تهجده فقالت عائشة وما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا وقال عليه السلام ينادى يوم القيمة ليقم الحمادون فيقوم زمرة فينصب
لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال وقال عليه السلام الحمد رداء الرحمن

والاصل الخامس

فصل اعلم ان الشكر من المقامات العالية وهو اعلى من الصبر والخوف والزهد وجميع المقامات التي سبق ذكرها لانها ليست
مقصودة في انفسها وانما تراد لغيرها فالصبر يراد لقمع الهوى والخوف سوط يسوق الخائف الى المقامات المقصودة
والزهد هرب من العلائق الشاغلة عن الله تعالى واما الشكر فمقصود في نفسه ولذلك لا ينقطع في الجنة وليس فيها
توبة وخوف وصبر وزهد والشكر دائم في الجنة ولذلك قال الله تعالى وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وتعرف
ذلك بان تعرف حقيقة الشكر وانه ينتظم من علم وحال وعمل اما العلم فهو الاصل ويثمر الحال والحال يثمر العمل فهذه
ثلثة اركان الاول العلم بالنعمة والمنعم وهو العلم بان النعم كلها من الله تعالى وهو متفرد بجميعها والوسائط
كلهم مسخرون مقهورون وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد فانهما داخلان فيه بل الرتبة الاولى في معارف
الايمان التقديس ثم اذا عرف ذاتا مقدسة وعرف انه لا مقدس الا واحد وهو التوحيد ثم اذا علمت
ان كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد والكل نعمة منه فاحمده وهو الحمد والى هذا الترتيب الاشارة
بقول النبي صلعم من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله
ثلثون حسنة وهو لان التقديس والتوحيد داخلان في الحمد وزيادة فهذه الدرجات باداء هذه المعارف
واما حركة اللسان فقليل الجدوى بلا معرفة او تجرد بلا اعتقاد في القلب فان انضم اليه الغفلة كان اخس
اثره وتمام ذلك انك اذا اعتقدت ان لغير الله تعالى دخلا في النعمة الواصلة اليك لم يصح حمدك ولم يتم شكرك
وشكرك لله وكنت كمن يخلع عليه الملك ويفرح بان لعناية الوزير دخلا في خلعة الملك او في ايصالها اليه او في

تيسيرها فكل ذلك اشراك في النعمة وتوزيع لفرحك بالنعمة عليهما نعم لو رأيت الخلعة الواصلة اليك
بتوقيع الملك بقلمه فذلك لا ينقص من شكرك لانك تعلم ان القلم مسخر له لا دخل له في النعمة بنفسه ومسلوب
لا يلتفت قلبك الى الفرح بالقلم والشكر له وكذلك فلا يلتفت الى الخازن والوكيل اذ تعلم انهما مضطران
الى العطاء بعد الامر مسخران لا مدخل لهما بانفسهما في النعمة وكذلك من انفتح بصيرته علم ان الشمس
والقمر والنجوم مسخرات بامر الله تعالى كالقلم والكاغذ والحبر في التوقيع وان قلوب الخلق خزائن الله تعالى ومفا
تحها بيد الله تعالى فيفتحها بان يسلط عليها دواعي جازمة قاطعة حتى يعتقدوا ان خيرهم في البذل فلا يقدر احد
ذلك لا يستطيع ترك البذل فيكون مضطرا الى الاختيار لما سلط عليه من دواعي الاعتقاد فانه لا يعطيك واحد
شيئا الا لغرض نفسه ليستفيد به في الآجل ثوابا او في العاجل ثناء وذكرا او غير ذلك فما لم يعلم ان منفعته في
منفعتك فلا يعطيك فاذا ليس هو منعما عليك لانه سعى لنفسه انما المنعم من سخره عليك وسلط هذه
الدواعي عليه وقرر في نفسه ان خيره منوط بالايذاء والانعام فان عرفت الامور كذلك كنت موحدا وتصورت منك
الشكر بل هذه المعرفة هي عين الشكر قال موسى عليه السلام في مناجاته الهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف
شكرك فقال علم ان ذلك مني فكان معرفته ذلك شكرا الركن الثاني من الشكر الحال المستمدة من اصل
في المعرفة وهي الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والاجلال ومن يرسل اليه بعض الملوك فرسا فيتصور ان يفرح
به من ثلثة اوجه من حيث انه ينتفع بالفرس او من حيث يستدل به على عناية الملك بشانه وانه سينعم عليه
بما هو اعظم منه او من حيث ان الفرس يكون مركبه حتى يسافر الى حضرة الملك ويخدمه والاول ليس من الشكر في
شيء فانه فرح بالنعمة لا بالمنعم والثاني داخل في الشكر ولكنه ضعيف بالاضافة الى الثالث فكمال الشكر ان يكون
الفرح بما يفتح الله تعالى من نعمة لا بالنعمة من حيث انها نعمة بل بها من حيث انها وسيلة اليه اذ بنعمته تتم الصالحات وعلامة
هذا انه لا يفرح بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى بل يغتم به ويفرح بما يعينه على الله تعالى عنه من شغل الدنيا وفضولها فهذا
كمال الشكر فمن لم يستطع فعليه بالثاني اما الاول فخارج بالنعمة لا بالمنعم وليس ذلك من الشكر في شيء الركن الثالث
العمل وذلك بان يستعمل نعمه في محابه لا في معاصيه وهذا لا يقوم به الا من عرف حكمة الله تعالى في جميع خلقه وانه لماذا خلق
كل شيء وشرح ذلك يطول وقد ذكرنا منه طرفا في الاحياء وجملته ان يعلم مثلا ان عينه نعمة منه فشكره ان يستعملها في
مطالعة كتاب الله تعالى وكتب العلم ومطالعة السموات والارض ليعتبر بها ويعظم خالقهما وان يستر كل عورة
يراها من المسلمين ويستعمل اذنه في سماع الذكر وما ينفعه في الآخرة ويعرض عن الاصغاء الى الهجر والفضول
ويستعمل اللسان في ذكر الله تعالى والحمد لله واظهار الشكر منه دون الشكوى ومن سئل عن حاله واخبر بشكر
فان شكى فهو عاص لانه شكاية من ملك الملوك الى عبد ذليل لا يقدر على شيء وان شكر فهو مطيع واما شكر
القلب فاستعماله في الفكر والذكر والمعرفة واضمار الخير للخلق وحسن النية وكذلك في اليد والرجل وسائر الاعضاء
والاموال وذلك تمام الانجبر فصل اعلم انا تمكين من كمال الشكر من شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه

من كل شيء حكمة وسره ومحبوب الله تعالى فيه ومن لم ينكشف له ذلك فعليه باتباع السنة وحدود الشرع فتحتها
اسرار الشكر وليعلم انه لو نظر الى غير محبوبه مثلا فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس وكل نعمة لا يتم النظر نور الشمس
الا بها فان الابصار انما يتم بالعين ونور الشمس انما يتم بالسموات فكانه كفر انعم الله تعالى في السموات والارض
وقس على هذا كل معصية فان الاثم انما يتمكن بالاسباب ومن عرف وجود جميعها خلق السموات والارض ولهذا غور عظيم
يعمق الشرح فيه في كتاب الشكر من الاحياء ونكتفي ههنا بمثال واحد وهو ان الله تعالى خلق الدراهم والدنانير
ليكونا حاكمين في الاموال كلها تعدل بهما القيم ولولاهما لتعذرت المعاملات اذ لا يدرى كيف تشترى الثياب
بالزعفران والدواب بالاطعمة فانه لا مناسبة بينهما وانما تتبين نسبتهما بهما ومن كنزهما كان في ربح المالية وسعادة يتقوم الروح بهما
هذه النقدان فمن كنزهما كان كمن حبس حاكما من حكام المسلمين حتى تعطلت الاحكام ومن اتخذ منهما آنية كان
كمن استعمل حاكما من حكام المسلمين في الحياكة والفلاحة التي يقوم عليها كل احد حتى تتعطل الحكم وذلك اشد من
الحبس فمن ازال عنهما مقصودهما وجعلهما مقصود تجارة بالمصارفة بين جنسيهما وربح عليهما كمن شغل الحاكم عن الحكم و
اتخذه سخرة لنفسه ليحتطب له ويحتشي ويكنس له القبوة وكل ذلك ظلم وتغيير لحكمة الله تعالى في خلقه وعباده
ومعاداة الله تعالى في محابه ومن لا ينكشف له بنور البصيرة هذه الاسرار عرف من لسان الشرع صورته بعينه وعذابه
وقيل له الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله الآية وقيل من شرب في اناء من ذهب او فضة
فكانما يجرجر في بطنه نار جهنم وقيل الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس يقوف
فالقاصرون يقفون على الحدود ولا يعرفون السر فيها والعارفون اذا اطلعوا على الاسرار بانفسهم شاهدوا
شواهد الشرع ازدادوا نورا على نور والعميان الجاهلون يحرمون الوقوف على الحدود والوقوف على
الاسرار جميعا فلا هم كالعبيد انقيادا ولا كالاحرار كراما وهم الذين قال الله تعالى فيهم ولكن حق القول مني لاملأن
جهنم والناس اجمعين وقال الله تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى وقال
ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا
قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وآيات الله تعالى حكمة في خلقه وفي الغيب الى
الخلق على لسان الانبياء فقد علمت من جملة الشريعة من اولها الى اخرها وما من حد من حدود الشرع
الا وفيه خاصية وحكمة يعرفها من يعرفها وينكرها من جهلها وشرح ذلك يطول فليطلب من كتاب
الشكر فلا تتصور تمام الشكر الا ممن قام لله وحده مخلصا لا داعية فيه لغير الله فلذلك الاخلاص والصدق
الاصل السادس الاخلاص والصدق اعلم ان للاخلاص حقيقة واصلا وكمالا فاخذه ثلثة اركان واصله
النية اذ فيها الاخلاص وحقيقته نفي الشوب عن النية وكماله الصدق الركن الاول النية وقد قال
الله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ومعنى النية ارادة وجهه
قال النبي صلعم انما الاعمال بالنيات الحديث وقال عليه السلام ان الملائكة ترفع صحيفة عمل العبد فيقول

الله تعالى القوها فانه لم يرد بها وجهي واكتبوا له كذا وكذا فيقول الملائكة انه لم يعمل منها شيئا فيقول
الله تعالى انه نواه انه نواه وقال عليه السلام الناس اربعة رجل اتاه الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله
فيقول رجل لو اتاني الله تعالى مثل ما اتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر سواء ورجل اتاه الله مالا ولم
يؤته علما فهو يخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو اتاني الله تعالى مثل ما اتاه لعملت كما يعمل فهما في الوزر
سواء وقال عليه السلام من غزا وهو لا ينوي الا عقالا فله ما نوى وروي ان رجلا في بني اسرائيل مر
بكثبان من رمل في ايام قحط فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس
فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان الله تعالى قبل صدقتك وشكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو
كان طعاما فتصدقت به وقال عليه السلام اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في
قيل النار ما بال المقتول قال اراد قتل صاحبه وقال عليه السلام ~~اذا التقى المسلمين~~ من تزوج امرأة
على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق فصل حقيقة
النية هي الارادة الباعثة للقدرة المنبعثة عن المعرفة وبيانه ان جميع اعمالك لا تتم الا بعلم وارادة
وقدرة والعلم يهيج الارادة والارادة باعثة للقدرة والقدرة خادمة للارادة بتحريك الاعضاء
مثاله انه خلق فيك شهوة الطعام الا انها قد تكون فيك راكدة كانها نائمة فاذا وقع بصرك على طعام
حصلت المعرفة بالطعام فانبعثت الشهوة للطعام فانبعثت اليد اليه وانما انبعثت بالقوة
التي فيها المطيعة لاثارة الشهوة وانبعثت الشهوة بحصول المعرفة المستفادة من
طليعة الحس وكما خلق فيك شهوة الى الاشياء الحاضرة خلق فيك ايضا ميل الى اللذات
الآجلة فتنبعث ذلك الميل باشارة المعرفة الحاصلة من العقل والقدرة ايضا تخدم هذا
الميل بتحريك الاعضاء فالنية عبارة عن الميل الجازم الباعث للقدرة والذي يغزو مع
يكون الباعث له ميل الى المال فهو ذو نيتين فاذا النية عبارة عن الارادة الباعثة ومعنى
اخلاصها تصفية الباعث عن الشوب فصل اذا حصل العمل بباعث النية والعمل والنية
بهما تمام العبادة والنية احد جزئي العبادة لكنها خير الجزئين لان الاعمال بالجوارح
ليست مرادة الا لتأثيرها في القلب يميل الى الخير وينفر عن الشر فيتفرغ للذكر والفكر
الموصلين له الى الانس والمعرفة اللذين هما سبب سعادته في الاخرة فليس المقصود بالعمل
من وضع الجبهة على الارض وضع الجبهة على الارض بل خضوع القلب ولكن القلب يتأثر بأعمال
الجوارح وليس المقصود من الزكوة ازالة الملك بل ازالة رذيلة البخل وهو قطع علاقة القلب

من المال وليس المقصود من التضحية لحومها ولا دماؤها ولكن استشعار القلب للتقوى بتعظيم شعائر الله
تعالى والنية عبارة عن نفس ميل القلب الى الخير فهو متعلق بمعرفة المقصود فهو خير من عمل الجوارح الذي
الغاية منه سراية اثره الى محل المقصود وهو القلب ولذلك يتوقع عمل القلب دون الجوارح نوعا
فهو وعمل الجوارح دون حضور القلب فهو لا اثر له ومثلهما في هذا مثل المعدة مما يصل من الادوية
بالشرب اليها انفع لا محالة مما تطلى بها ظاهر الصدر الساري اليها اثرها وكذلك اذا لم يسر
اثر الطلاء الى المعدة كان باطلا وبهذا التحقيق يعرف سر قوله صلى الله عليه وآله المؤمن نية خير
من عمله فصل اذا عرفت فضل النية وانها تحل حرفة المقصود ويتوسع فيها فاجتهد ان تستكثر
من النية في جميع اعمالك حتى تنوي بعمل واحد نيات كثيرة ولو صدقت رغبتك اهتديت لطريقه فيكفيك
مثل واحد وهو ان الدخول في المسجد والقعود فيه عبادة واحدة ويمكن ان ينوي فيه ثمانية امور اولها
ان تعتقد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زايره الثانيها الغية المرابطة لقوله تعالى وصابروا
ورابطوا قيل ومعناه انتظار الصلوة بعد الصلوة ثالثها الاعتكاف ومعناه كف السمع والبصر
السمع والبصر والاعضاء عن الحركات المعتادة فانه نوع صوم قال صلى الله عليه وآله وسلم رهبانية امتي
القعود في المساجد رابعها الخلوة ودفع الشواغل للزوم السر للفكر في الآخرة وكيفية الاستعداد
لها وخامسها التجرد للذكر او سماعه او اسماعه لقوله عليه السلام من غدا الى مسجد يذكر الله تعالى او
يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى سادسها ان يقصد افادة علم وتنبيه من يسيء الصلوة ونهيا
عن منكر وامر بمعروف حتى ينتشر بسببه خيرات فيكون شريكا فيها وسابعها ان يترك الذنوب حياء
من الله تعالى بان يجلس في بقعة يستحيي منه ان يقارن ذنبا وثامنها ان يستفيد اخا في الله فان
ذلك غنيمة وذخيرة لدار الآخرة والمسجد معشش اهل الدين المحبين لله وفي الله وقس على هذا
سائر الاعمال فباجتماع هذه النيات تزكوا الاعمال وتلتحق باعمال المقربين كما انه بنقيضها يلتحق باعمال
للشياطين كمن يقصد من القعود في المسجد التحدث بالباطل والتفكه باعراض الناس ومجالسة اخوان
اللهو واللعب وملاحظة من يجتاز فيه من النسوان والصبيان او مناظرة من يناظره من الاقران على
سبيل المراياة والمباهاة وافتضاض قلوب المستمعين لكلامه فيجرح بمراده وكذلك لا ينبغي ان يغفل
في المباحات عن حسن النية ففي الخبر ان العبد ليسأل يوم القيمة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن
فتات الطين باصبعه وعن لمسه ثوب اخيه ومثال النية في المباحات ان من يتطيب يوم الجمعة يمكنه
ان يقصد التنعم بلذته او التفاخر باظهار ثروته او التزين للنساء او اخدان الفساد فيعصي وان ينوي
اتباع السنة وتعظيم بيت الله تعالى واحترام يوم الجمعة ودفع الاذى عن غيره بدفع الرائحة الكريهة و
ايصال الرائحة اليهم بالرائحة الطيبة وحسم باب الغيبة اذا شموا منه رائحة كريهة والى الفريقين

الاشارة بقوله عليه السلام من تطيب في الله جاء يوم القيمة وريحه اطيب من ريح المسك
ومن تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة فصل اعلم ان النية
لا تدخل تحت الاختيار فلا ينبغي ان تغتر فتقول ليلي كذا او بلسانك نويت من القعود
في المسجد كذا وتلقى انك قد نويت اذ عرفت من قبل ان النية هي انبعاث المحرك الذي
لولاه لم يتصور وجود العمل النية المجلة كقول القائل نويت ان احب فلانا واعشقه و
اعظمه او نويت ان اعطش او اجوع واشبع فان لكل هذه دواعي وصوارف
ولتحققها اسباب لا يتصور حصولها دون اسبابها وقول القائل نويتها دون تحققها
حديث نفس لا نية كمن وطي لغلبة شهوة الوقاع من ان يقول نويت الوطي
لحيازة الولد وتكثير عدد من به المباهاة بل لا تظفر بانبعاث هذه النيات من قلبك
الا اذا قوي ايمانك وتمت معرفتك بحقارة الحظوظ العاجلة وعظم ثواب الآخرة
حتى اذا غلب ذلك عليك انبعثت منك الرغبة ضرورة في كل ما هو وسيلة الى ثواب
الآخرة فان لم ينبعث فلا نية لك ولمثل هذا توقف السلف في جملة من الخيرات حتى روي
ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال ليس تحضرني النية وقيل لطاوس ادع
لنا فقال حتى اجد له نية وقال بعضهم انا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد
ومن عرف حقيقة النية وعلم انها روح العمل فلا يتعاطى عملا لا روح له ويتحقق ان المباح
قد يصير من العبادة اذا حضرت فيه النية كما في النية في الاكل والشرب للتقوي على عبادة الله تعالى
وليس تنبعث نية الصوم في الحال فالاكل اولى ومن مل العبادة وعلم انه لو نام لعاد نشاطه
فالنوم افضل له بل لو علم مثلا ان الترفه بدعابة وحديث مباح في ساعة يرد نشاطه فذلك افضل
له من الصلوة مع الملال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا وقال ابو الدرداء
رضي الله عنه اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو فيكون ذلك عونا لي على الحق وقال علي كرم الله وجهه
روحوا القلب فانها اذا اكرهت عميت وهذه دقايق يستقلها الظاهريون من الفقهاء
كما يستقل الطبيب الضعيف معالجة المحرور باللحم والى ذلك قد يؤدي مرة ليعيد قوة المريض
الضعيف حتى يحتمل الدواء النافع بعده الركن الثاني في اخلاص النية و قد قال الله
تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء وقال الا لله الدين الخالص
وقال الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الله

الاخلاص سرٌّ من سري استودعته قلب من احببتُ من عبادي وقال صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ رضي الله عنه
اخلص العمل يجزيك القليل منه وقال عليه السلام ما من عبد يخلص العمل اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه
فصل حقيقة الاخلاص تجرد الباعث الواحد ويضاده الاشراك وهو ان تشترك البواعث وكل
ما يتصور ان يمازجه غيره فان صفى عن كل ما يشوبه منه يسمى خالصا وقد عرفت ان النية هي الباعث
فمن لا يعمل الا للرياء فهو مخلص ومن لا يعمل الا لله فهو مخلص ولكن خصص الاسم باحد الباعثين بالعادة كما
ان الالحاد فانه ميل ولكن خصص بالميل الى الباطل وزوال الاخلاص بشوائب الرياء قد ذكرناه ولكن قد
يزول ايضا باغراض فان الصائم قد يقصد مع العبادة ان ينتفع بالحمية الصالحة الحاصلة بالصوم
وقد يقصد المعتق بالعتق ان يتخلص من مؤنة العبد وسوء خلقه والحاج يحج ليصح مزاجه بحركة السفر او
يهرب من مشقة تعهد العيال او من ايذاء الاعداء او من التبرم بالمقام مع الاهل والمتعلم يتعلم العلم ليسهل
عليه طلب المعاش او يكون عزيزا محروسا بعز العلم عن الظلم او يكتب مصحفا ليجود خطه او يحج ماشيا ليخفف
مؤنة الكراء او يتوضأ ليتنظف او يتبرد او اغتسل لتطيب رائحته او اعتكف ليخف عليه
كراء المسكن او صام ليخفف عن نفسه تعب الطبخ وشغل الطعام او يتصدق ليرفع عن نفسه ابرام
السائل او يعود مريضا ليعاد اذا مرض فهذه الاغراض قد يتجرد وقد تشوب قصد العبادة شوبا خفيا
فاذا خطر شيء من هذه الاغراض في الفعل فقد ذهب الاخلاص وذلك عسير جدا ولذلك قال بعضهم
في اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن ذلك عزيز وقال ابو سليمان الداراني رحمه الله طوبى لمن صحت
له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى وكان معروف الكرخي رحمه الله يضرب نفسه ويقول يا نفسي
اخلصي تخلصي فصل اعلم ان امتزاج هذه الشوائب على مراتب فانها قد تغلب وقد تكون
مغمورة وقد تكون مساوية لقصد العبادة فلا تخفى احتمال النواسخ في الباعثات فيما ينبغي تمحض من ارادة
وجه الله تعالى فعله ثواب بقدر ذلك الثواب والباقي لا ثواب عليه اما اذا كان في عبادة امر بان
يخلصها لله تعالى فهو مخوف فان كان المشوب غالبا بطلت العبادة وان كان مساويا او مغلوبا بطل الاخلاص
ولكن هل يتوقف انعقاد العبادة وحصول اصلها على انتفاء الشوائب كلها فيه نظر اشرنا اليه في الرياء
ويطلب استقصاؤه من كتاب الاحياء الركن الثالث الصدق وهو كمال الاخلاص قال الله تعالى
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى
يكتب عند الله صديقا وقال الله تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا ويكفي بفضيلة
الصدق ان يدرك به فضيلة الصديقين واعلم ان للصدق مراتب ستة من بلغ في جميعها رتبة
الكمال استحق اسم الصديق اولها الصدق في القول في جميع الاحوال ما يتعلق بالماضي والمستقبل
والحال ولهذا الصدق كمالان احدهما الحذر عن المعاريض ايضا فانه ولو كان صدقا في نفسه
فيفهم خلاف الحق والمحذور من الكذب تفهيم خلاف الحق اذ يكتسب القلب صورة معوجة

كاذبة

كاذبة بازاء كذب اللسان واذا مال وجه القلب من الصحة الى الاعوجاج لم يتجل الحق له على الصحة حتى
لا يصدق رؤياه ايضا والمعاريض لا توقع في هذا المحذور لانه صدق في نفسه لكن توقع في المحذور
الثاني وهو تجهيل المعنى فلا ينبغي ان يفعل ذلك الا لغرض صحيح وكماله الثاني ان يراعي الصدق
في الفاظه مع الله تعالى فاذا قال وجهت وجهي وفي قلبه في تلك الحالة شيء سوى الله تعالى فهو كاذب
واذا قال اياك نعبد وهو مع ذلك عبد الدنيا او النفس او غيره لم يمكنه تحقيق صدق هذه الكلمة في
النية ولذلك قال عيسى صلوات الله عليه يا عبيد الدنيا وقال نبينا عليه السلام تعس عبد الدينار
وعبد الدرهم الصدق الثاني في النية وهو ان يتمحض فيه داعية الخير فاذا كان شوب
فقد فات الصدق يقال هذا صادق الحموضة وصادق الحلاوة اذا كان محضا فيرجع هذا
المعنى الى نفس الاخلاص الصدق الثالث في العزم فان العبد قد يعزم على التصدق ان رزق
مالا وعلى العدل ان رزق الولاية وعزمه تارة يكون مضعفا بتردد وتارة يكون جزما قويا لا تردد
فيه فالجزم القوي يسمى عزما صادقا كما وجده عمر رضي الله عنه من نفسه حيث قال لان اقدم فيضرب عنقي
احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر رضي الله عنه ودرجات عزم الصديقين في القوة قد تتفاوت
حتى وانتهاؤه ان ينتهي الى الرضا بضرب الرقبة دون تحقيقه الصدق الرابع في الوفاء في العزم فان
النفس قد تسخو بالعزم اولا ولكن عند الوفاء ربما تتوانى عن كمال التحقيق لان المؤنة في العزم هينة
والمشقة في التحقيق ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال ومنهم من عاهد
الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الى قوله فاعقبهم نفاقا ومعناه استواء الصدق الخامس
في الاعمال بان يكون بحيث لا تدل على شيء من الباطن الا والباطن متصف به ومعناه استواء السريرة
والعلانية فالماشي على هيئة السكون ويدل بحكمه على انه ذو وقار في باطنه فان لم يكن كذلك في الباطن و
قد التفت قلبه الى ان يخيل الى الناس انه ذو وقار فذلك رياء وان لم يلتفت الى الخلق قلبه ولكن
غافل فهذا ليس برياء ولكن يفوت به الصدق ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اجعل سريرتي خيرا
من علانيتي واجعل علانيتي صالحة وقال عبد الواحد كان الحسن البصري رحمه الله اذا امر بشيء كان من اعمل
الناس به واذا انهى عن شيء كان من اترك الناس به ولم ار احدا قط اشبه سريرته بعلانيته منه
الصدق السادس وهو اعلى ابواب الصدق في مقامات الدين كالخوف والرجا والحب والرضا
والتوكل وغيرها فان لهذه المقامات اوائل يطلق الاسم بها ولها حقائق وغايات اذ يقال هذا
هو الخوف الصادق وهي الشهوة الصادقة ولذلك قال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون وقال الله تعالى ولكن البر من آمن بالله ورسوله

ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون وقال الله تعالى ولكن البر والتقوى الذين صدقوا فهذه
درجات الصدق فمن تحقق في جميعها فهو صديق ومن انتصب من بعضها فرتبته بقدر صدقه
ومن جملة الصدق تحقق القلب بان الله تعالى هو الرزاق وعقد التوكل فلنذكره الاصل
السابع في التوكل وقال الله تعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون فقال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مؤمنين وقال ان الله يحب المتوكلين وقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال اليس الله بكاف عبده
وقال ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق وقال عم
لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال من
انقطع الى الله كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله
اليها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا الى الصلوة ويقول هذا
امرني ربي وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة
للتقوى **فصل** حقيقة التوكل عبارة عن حالة تصدر عن التوحيد ويظهر اثرها على الاعمال
فهي ثلثة اركان المعرفة والحال والعمل الركن الاول المعرفة وهي الاصل واعني بها التوحيد
فانه انما يتوكل على الله من لا يرى سواه تعالى وكمال هذه المعرفة يترجم قولك لا اله الا الله وحده لا
شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اذ فيه ايمان بالتوحيد وبكمال القدرة والجود والحكمة الذي يستحق
بها الحمد فمن قال ذلك صادقا مخلصا فقد تم توحيده وثبت في قلبه الاصل الذي منه منبعث حال
التوكل واعني بالصدق فيه ان يصير معنى هذا القول وصفا لازما لذاته غالبا على قلبه فلا يتسع لتقدير
غيره **فصل** هذا التوحيد له لبان وقشران فطبقاته اربع كالجوز له لب ثم الدهن لب لبه
والقشر العليا قشر قشره فالقشرة الاولى القول باللسان فقط والثانية الاعتقاد بالقلب
جزما وهو درجة عوام الخلق ودرجة المتكلمين اذ لا يتميزون عن العوام الا بمعرفة الحيلة
في دفع تشويش المبتدعة عن هذه الاعتقادات الثالثة وهي اللب ان ينكشف بنور الله حقيقة
هذا التوحيد وسره بالحقيقة وذلك بان يرى الاشياء الكثيرة ويعلم انها بجملتها صادرة
عن فاعل واحد على الترتيب وذلك بان يعرف سلسلة الاسباب وكيفية تسلسلها وارتباط
اول السلسلة بمسبب الاسباب وصاحب هذا المقام بعد في تفرقة لانه يرى الافعال وكثرتها
وارتباطها بالفاعل الاخير وهي لب اللب ان لا يرى في الوجود الا واحدا ويعلم ان الموجود
بالحقيقة واحد وانما الكثرة فيه في حق من تفرق نظره كالذي يرى من الانسان مثلا يده ثم رجله
ثم بدنه ثم وجهه ثم راسه فيتفرق عليه كثرته فان راى الانسان جملة واحدة لم يخطر بباله الاعداد
بل كان كمن ذكر الشيء الواحد فكذلك الموحد لا يفرق نظره بين السماء والارض وسائر الموجودات

الاصل السابع

فيقول

قشران ثم

بل يرى الكل في حكم الشيء الواحد وهذا الغور يستدعي كشفه تطويلا فاطلب في كتاب التوحيد والشكر
من كتب الاحياء لتقف على تلويحات منه والغرض ان التوحيد انما يتبع في هذا التوحيد وذلك بان
يصير مستغرقا بالواحد الحق حتى لا يلتفت قلبه الى غيره ولا الى نفسه فان نفسه من حيث هي نفس غير الله
تعالى وان لم يتحقق له معنى الغيرية بنظر اخر واعتبار على وجه اخر **فصل** حقيقة التوكل انما
تستدعي توحيد الفعل ولا تستدعي التوحيد الاخير توحيد الذات بل التوكل يجوز ان يرى الكثرة والاسباب
والمسببات ولكن ينبغي ان يشاهد ارتباط السلسلة بمسببها وعندي ان ذلك يتضح عليك فيما لا يدخل فيه
اختيار الادميين فانك ان رايت المطر سببا في النبات فتعلم ان المطر مسخر بواسطة الريح والابخرة والجبال
وكذلك الجبال جمادات مسخرة الى ان ينتهي الى الاول لا محالة ان كنت لا تتوقف عند الوسائط فلا
يحزنك ذلك وانما الذي يخفى عليك افعال الادميين فانك تتوقع من المعطي طمعا فانما يعطيني باختياره
ان شاء اعطى وان شاء منع فكيف لا اراه فاعلا وانما مثلك في الالتفات اليه مثل النملة ترى سواد الخط
على البياض يحصل من حركة القلم فتضيف ذلك الى القلم اذ حدقتها الصغيرة لا تمتد الى الاصبع ومنها
الى المعرفة اليد ومنها الى القدرة المحركة لليد ومنها الى الارادة التي القدرة مسخرة لها ومنها الى
المعرفة التي يتوقف انبعاث الارادة والجزم بها عليها ومنها الى صاحب القدرة والعلم والارادة فكذلك
انت تضيف افعال العباد الى ارادتهم ومعرفتهم وقدرتهم اذ ليس عندك نظر الى العلم الذي به تنزل
المعرفة في الواح القلوب ومنه الى الاصابع التي يقلبها الى قلوب العباد ومنها الى القادر الذي
اليد التي بها خمرت طينة ادم ومنها الى القدرة التي بها يتحرك اليد لتخمير الطينة ومنها الى القادر الذي
منه يبدو واليه يعود وذلك لانك لا تعرف معنى قوله عليه السلام ان الله خلق ادم على صورته ولا معنى قوله
خمرت طينة ادم بيدي ولا معنى قوله علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فانك لا تعرف قلما الا من قصب
ولا يدا ولا اصابع الا من لحم وعظام ولا صورة الا الالوان والاشكال فان انكشف لك ذلك عرفت
انك اذ رميت ما رميت ولكن الله رمى حيث سلط عليك دواعي جازمة ومعرفة حاكمة على القطع
بان كذا مصلحة الرمي فلا جرم انبعثت القدرة التي انت مخلوقها خادمة للارادة والمعرفة خادمة
بالتمييز والاضطرار وعلمت انك مضطر الى عين الاختيار فتفعل ان شئت ذلك وتشاء اذا شاء
الله شئت ام ابيت وهذا الان فيه سر تحركت قاعدة الجبر والاختيار ويوهم تناقض التوحيد
وتحليل الشرع وقد شرحناه في كتاب التوحيد والتوكل والشكر من كتب الاحياء فاطلبه منه ان كنت
من اهله **فصل** لا يكفي الايمان بتوحيد الفعل الا بالعالم في اثارة التوكل حتى ينضاف اليه
الايمان بالرحمة والجود والحكمة اذ به يحصل الثقة بالوكيل الحق وهو ان تعتقد جزما او ينكشف لك
بالبصيرة ان الله لو خلق الخلائق كلهم على عقل اعقلهم بل على اكمل ما يتصور ان يكون عليه حال

العقل ثم زادهم اضعاف ذلك علماً وحكمة ثم كشف لهم عواقب الامور واطلعهم على اسرار الملكوت
ولطايف الحكمة ودقايق الخير والشر ثم امرهم ان يدبروا الملكوت لما دبروه باحسن مما هو عليه (الملك)
ولم يمكنهم ان يزيدوا عليها او ينقصوا منه جناح بعوضة ولم يستصوبوا البتة دفع مرض وعيب
ونقص وفقر وضر وجهل وكفر ولا ان يغيروا ما قسمه الله من رزق واجل وقدرة وعجز
وطاعة ومعصية بل شاهدوا جميع ذلك عدلاً محضاً لا جور فيه وحقاً صرفاً لا نقص فيه واستقامة
تامة لا تطرق عيب فيها ولا تفاوت بل كل ما يرون نقصاً فيرتبط بكمال آخر اعظم منه وما
ظنوه ضرراً فتحته نفع اعظم منه لا يتوصل الى ذلك النفع الا به وعلموا قطعاً ان الله تعالى حكيم
جواد رحيم لم يبخل على الخلق اصلاً ولم يدخر في اصلاحهم امراً وهذا الآن بحر آخر في المعرفة تحرك
امواجه سر القدر الذي منع من ذكره الا يشعرون ويتحير فيه الاكثرون ولا يقوله الا العالمون
ولا يدرك تاويله الا الراسخون وانما حظ العوام ان يعتقدوا ان كل ما يصيبهم لم يكن (كلما يصيبهم)
ليخطئهم وما يخطئهم لم يكن ليصيبهم وان ذلك واجب الحصول بحكم المشية الازلية وانه لا راد
لحكمه ولا معقب لقضائه بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما امرنا الا واحدة
كلمح بالبصر الركن الثاني حال التوكل ومعناه ان تكل امرك الى الله تعالى وتثق به بقلبك وتطمئن
بالتفويض نفسك ولا تلتفت الى غيره اصلا ويكون مثالك مثال من وكل في خصومته في مجلس
القاضي من علم انه اشفق الناس عليه واقواهم على كشف الباطل وادفعهم به واحرصهم عليه فانه يكون
ساكناً في بيته مطمئن القلب غير متفكر في حيل الخصومة وغير مستعين باحاد الناس لعلمه بان وكيله
حسبه وكاف في غرضه وانه لا يغادر غيره فمن تحققت معرفته بان الرزق والاجل والخلق والامر
بيد الله تعالى وهو متفرد به لا شريك له وان جوده وحكمته ورحمته لا نهاية لها ولا يوازيها
رحمة غيره وجوده اتكل قلبه بالضرورة عليه وانقطع نظره عن غيره فان لم يستطع فلا يكون ذلك
الا لاحد امرين احدهما ضعف اليقين لما ذكرناه وضعف اليقين انما يكون لتطرق شك
اليه او لعدم استيلائه على القلب فان الموت يتيقن لا شك فيه ولكنه اذ لا يستولي على القلب
فهو كشك لا يقين فيه الامر الثاني ان يكون القلب في الفطرة ضعيفاً جباناً فالجبن والجراة
فطريان والجبن يوجب كون النفس مطيعة للاوهام التي لا تشك في بطلانها حتى قد يخاف
الانسان ان يبيت مع الميت في فراش او في بيت مع علمه بان الميت لا يتحرك وانما قدرته
عليه لحكم تطلعه ان تنقلب القلم في يده حية وهو لا يخاف من ذلك بل قد يشتد العقل بالقذرة فيتقذر

علم

عليه ثيابه ولو مع علمه بان تشبيه كاذب ولكن ذلك لجبن النفس وطاعة الاوهام فلا يخلو الانسان عن شي
منه وان ضعف فكذا لا يبعد ان يحصل اليقين بالتوحيد بحيث لا يختلجه ريب ومع ذلك فينبغي القلب الى
الاسباب فصل اذا عرفت ان التوكل عبارة عن حالة القلب في الثقة بالوكيل الحق وقطع الالتفات
الى غيره فاعلم انه فيه ثلث درجات احداها ما ذكرناها وهي كالثقة بالوكيل في الخصومة
بعد اعتقاد كماله في الهداية والقدرة والشفقة والثانية وهي اقوى منها ان تضاهي حالة (وهي ان)
حال الصبي في ثقته بامه وفزعه اليها في كل ما يصيبه فذلك لثقته بشفقتها وكفايتها
وكلمة في توكله فانه يعرف توكله فانه ليس يحصله بفكر وكسب وان كان لا يخلو توكله عن نوع تبين
ادراكه اما التوكل على الوكيل بالخصومة فكان المكتسب بالتكلف والنظر الثالثة وهي الاعلى ان يكون بين
يدي الله كالميت بين يدي الغاسل لا كالصبي فانه يفزع بامه ويتعلق بذيلها بل هذا كـ
الصبي علم انه وان لم يفزع بامه فامها تطلبه وان لم يتعلق بذيلها فهي تحمله وان لم يسئلها
اللبن فهي تبتدي بارضاعه فيكون هذا الشخص في حق الله تعالى ساقط الاختيار لعلمه بانه مجري القدر
فلا يبقى فيه متسع لغير الانتظار لما يجري عليه وهذا المقام يابى الدعاء والسؤال ولا يمنع الدعاء
في المقام الثاني والاول ويمنع التدبير في المقام الاخير ويمنع ايضاً في الثاني الا في التعلق بالوكيل
فقط وفي الاول لا يمنع التدبير بالتعلق بغيره ولكن لا يجتنب بالطريق الذي رسمه الوكيل ونبه له وامره
به الركن الثالث في الاعمال وقد يظن الجهال ان شرط التوكل ترك الكسب والتداوي
والاستسلام للمهلكات وذلك خطأ لان ذلك حرام في الشرع والشرع قد اثنى على التوكل
وندب اليه فكيف ينال ذلك بمحظوره وتحقيقه ان سعي العبد لا يعدو اربعة وجوه اما جلب
ما ليس بموجود من المنفعة او حفظ الموجود او دفع الضرر كيلا يحصل او قطعه كي يزول الاول جلب
النافع واسبابه ثلثة اما مقطوع به واما مظنون ظناً غالباً ظاهراً يوثق به واما موهوم
اما المقطوع به فمثل ان لا يمد اليد الى الطعام وهو جايع ويقول هذا سعي وانا متوكل او يريد الولد
ولا يواقع اهله او يريد الزرع ولا يبث البذر وهذا جهل لان سنة الله تعالى لا تتغير وقد عرفت
ان ارتباط هذه المسببات بهذه الاسباب من السنة التي لا تجد لها تبديلا فانما
فيه بامرين احدهما ان تعلم ان اليد والطعام والبذر وقدرة التناول وجميع ذلك من
قدرة المبدع الثاني ان لا يتكل عليها بقلبه بل على خالقها وكيف يتكل على اليد وربما يفلج
في الحال او يهلك الطعام وذلك تحقيق قولنا لا حول ولا قوة الا بالله فالحول هي الحركة والقوة
هي القدرة فاذا كان هذا حالك فانت متوكل وان سعيت واما المظنون فكالاستجحاب

الزاد في البوادي والأسفار فليس تركه شرط التوكل بل هي سنة الأولين بل يكون الاعتماد على فضل الله تعالى
بدفع الشر في ... وإبقاء الزاد والحيوة والقدرة على التناول وإن الموهوبات فيكون الاستقصاء في حيل المعيشة
واستنباط دقائق الأمور فيها وذلك ثمرة الحرص وقد يحمل على أخذ الشبهة وكل ذلك ينافي التوكل
والدليل عليه أن النبي عليه السلم وصف المتوكلين بأنهم لا يكتوون ولا يسترقون ولم يصفهم بأنهم لا يكنون
الأمصار ولا يكتسبون فمما نسبته إلى السبب كنسبة الرقية والكي فتركهما من شرط التوكل الفن
الثاني من تدبير الأسباب الادخار فالمتوكل إن ورث مالا فادخره لسنة فما فوقها أبطل توكله وإن قنع
بقوت يومه وفرق يومه وفرق الباقي فهو المتوكل وإذا ادخر لأربعين يوما قال سهل التستري رحمة
الله عليه بطل توكله فلا ينال المقام المحمود الذي وعد للمتوكلين وقال الخواص رضي الله عنه لا يبطل واتفقوا
على أن الزيادة عليه تبطل التوكل إلا إذا كان معيلا فله أن يدخر قوت عياله لسنة كذلك فعل رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم في حق عياله وفي حق نفسه كان لا يدخر من غداء لعشاء له ولا استثناء طول الأمل ينافي التوكل
ومهما قلت مدة الادخار كانت الرتبة أعظم سنة الله تعالى جارية بتكرر الأرزاق عند تكرار السنة
فالادخار لأكثر من سنة غاية الضعف وليس من التوكل في شيء فأما ادخار الكوز وأثاث البيت وذلك
جائز وذلك لأن سنة الله تعالى لم تجر بتكررها كتكرر الأرزاق ويحتاج إليها في كل وقت وليس كثوب
الشتاء فإنه لا يحتاج إليه في الصيف فادخاره على خلاف التوكل قال عليه السلام في فقير دفن أنه يحشر يوم
القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة فيه كان كالشمس الضاحية كان إذا جاء الشتاء ادخر
حلة الشتاء للصيف الفن الثالث في مباشرة الأسباب الدافعة كالفرار من السبع ومن الجدار
المائل ومجرى السيل ودفع المرض بالأدوية وذلك له أيضا درجات فاستنبطها بالقياس على ما
ذكرناه تعرف تمامه في الإحياء فصل اعلم أن ترك الادخار محمود لمن غلبت يقينه وقوي قلبه
وأما الضعيف الذي يضطرب قلبه لو لم يدخر ولم يتفرغ للعبادة فالأفضل له أن يدع طريق المتوكلين ولا
يحمل نفسه ما لا يطيقه إذ فساد ذلك في حقه أكثر من صلاحه بل يعالج كل واحد على حسب حاله وقوته
وقد ينتهي القوة إلى جواز السفر في البوادي من غير زاد وذلك لمن يصبر عن الطعام أسبوعا
ويقتنع بالحشيش فإن ذلك لا يتعذر غالبا في البادية فأما الضعيف إذا فعل ذلك فهو عاص
ملق نفسه في التهلكة والقوي أيضا إن جوز تحبيس نفسه في كهف جبل ليس فيه حشيش ولا يجتاز به
إنسان وذلك أيضا حرام لأنه خالف سنة الله في خلقه وإنما جاز له ذلك في البوادي لأن سنة
الله جارية بأنها لا تخلو عن الحشيش وقد يختار رجال الآدميون فإنما قوي هكذا هلاكه نادرا
فلم يكن بذلك عاصيا فمن أن ينظر في البادية متكلا على اللطف بمنع الدعوة وغير قاصر النظر على
الأسباب الجلية الواضحة الأصل الثامن في المحبة قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقال الله تعالى
قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها
ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم

إذا القي

حتى

حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وقال عليه السلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله
تعالى قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق خالص محبة الله تعالى منعه ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه
من جميع البشر وقال الحسن البصري رحمه الله من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن
لا يلهو حتى يغفل فإذا تفكر حزن فصل اعلم أن أكثر المتكلمين أنكروا محبة الله تعالى وقالوا لو كان لا
لا معنى لها إلا الامتثال لأوامره وإلا فما المحبة به لا يشبه شيئا ولذا ينابيب طلبها بوجه
فكيف يحبه وإنما يتصور أن نحب من هو من جنسنا وهؤلاء محرومون لجهلهم بحقائق الأمور وقد
كشفنا الغطاء عن هذا في كتاب المحبة من كتب الإحياء فطالعها لتصادف فيها أسرارا تخلو الكتب
عنها كلها واقتنع في هذا المختصر بتلويحات وإشارات فصل اعلم أن كل لذيذ محبوب ومعنى كونه محبوبا
ميل النفس إليه فإن قوي الميل يسمى عشقا ومعنى كونه مبغوضا نفور النفس عنه لكونه مؤلما فإن
قوي البغض والنفرة يسمى مقتا واعلم أن الأشياء التي تدركها بحواسك وجميع مشاعرك إما أن تكون
موافقة لك ملائمة وهو اللذيذ أو تكون منافية لك وهو المؤلم أو لا موافقة ولا مخالفة وهو الذي
لا ألم فيها ولا لذة وكل لذيذ محبوب أي للنفس الملتذة ميل لا محالة إليه واعلم أن اللذة تتبع الإدراك
والإدراك إما أن كان ظاهرا وباطنا أما الظاهر فبالحواس الخمس فلا جرم للذة العين في الصور الجميلة
ولذة الأذن في النغمات الموزونة الطيبة ولذة الذوق والشم في الطعوم والروائح الملائمة الموافقة
ولذة حاسة اللمس في جميع ملامسة الناعم اللين وجملة ذلك محبوبة أي للنفس ميل إليها وأما
الإدراك الباطن فهو اللطيفة التي محلها القلب تارة فيعبر عنها بالعقل وتارة بالنور وتارة
بالحس السادس ولا تنظر إلى العادة فتغلط قال النبي عليه السلام حبب إلي من دنياكم ثلث الطيب
والنساء وقرة عيني في الصلوة فتعلم أن الطيب والنساء فيها حظ الشم واللمس والبصر والصلوة لا حظ
فيها للحواس الخمس بل للإدراك السادس الذي محله القلب ولا يدركها من لا قلب له وإن الله يحول بين
المرء وقلبه ومن اقتصرت من لذته على الحواس الخمس فهو بهيمة لأن البهيمة تشاركه فيها وإنما خاصية
الإنسان بالتميز بالبصيرة الباطنة ولذة البصر الظاهر في الصور الجميلة الظاهرة ولذة البصيرة
الباطنة في صور الجميلة الباطنة فصل لعلك تقول ما معنى الصور الجميلة الباطنة فأقول أعني أنك
لا تخش من نفسك حب الأنبياء والعلماء والصلحاء والصحابة ولا تدرك في نفسك تفرقة
بين الملك العالم العادل الشجاع الكريم العطوف على الخلق وبين الظالم الجاهل البخيل الغليظ
الغليظ والمعتدي إذا حكي لك شجاعة علي وسخاوة عثمان وسياسة وصدق أبي بكر الصديق
رضي الله عنهم أجمعين إلا وتجد في نفسك حبا وارتياحا وميلا إليهم وإلى كل موصوف بخلال
الكمال من نبي وصديق وعالم وكيف تنكر هذا وفي الناس من يتهدى بنفسه أرباب المذاهب بحبه
حبه لهم على البذل والنفس في الذب ويجاوز ذلك حد العشق وأنت تعلم أن حبك لهؤلاء

وان تاب ها دار

ليس لصورهم الظاهرة فان تكملت ارهقتها تعالم تستحسنها وان استحسنت فلو تشوهت
صورهم الظاهرة وبقيت صفاتهم المعنوية الباطنة لبقي حبك لهم واذا فتشت عن محبوبك منهم
رجع بعد التفصيل الطويل الذي لا يحتمل الكتاب هذا الى ثلث صفات العلم والقدرة والنزاهة عن
العيوب واما العلم فلعلمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وعجائب ملكوته ودقائق شرائع انبيائه واما القدرة
فلقدرتهم على انفسهم بكسر شهواتها وحملها على الصراط المستقيم وقدرتهم على العباد بسياستهم وارشادهم
الى الحق واما النزاهة فلسلامة بواطنهم من خبث الرذيل والبخل والحسد وخبائث الاخلاق واجتماع
كمال العلم والقدرة مع حسن الاخلاق وهو حسن الباطن وهي الصورة الباطنة التي لا تدركها البهيمة
ومن في شكلها بالبصر الظاهر ثم اذا احببتهم لاجل هذه الصفات وعلمت ان النبي صلى الله عليه
وآله وسلم كان اجمع منهم لهذه الخصال لكان حبك له اشد بالضرورة فارفع نظرك الآن من النبي عليه
السلام وخالقه جل وعلا المتفضل على الخلق ببعثته لتعلم ان بعثة الانبياء حسنة من حسناته ثم
انسب قدرة الانبياء وعلمهم وطهارتهم الى علمه وقدرته وقدسه لتعلم ان لا قدوس سوى الواحد
وان غيره لا يخلو عن عيب ونقص بل العبودية اعظم انواع النقص فاي كمال لمن لا قوام له بنفسه ولمن
لا يملك لنفسه موتا ولا حيوة ولا رزقا ولا اجلا واي علم لمن يشكل عليه صفات باطنه في موضعه وصحته بل لا
يعلم جميع جوارحه الباطنة وتفصيلها وحكمتها بالتحقيق فضلا عن ملكوت السموات والارض
وانسب هذا الى العلم الازلي المحيط بجميع الموجودات والمعلومات التي لا نهاية لها الذي لا يعزب
عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض والى قدرة جبار خالق السموات والارض الذي
لا يخرج موجود عن قبضة قدرته في وجوده وبقائه وعدمه وانسب نزاهته من العيوب الى قدسه
لتعلم انه لا قدوس ولا قدرة ولا علم الا للواحد الحق وان غيره القدرة التي اعطاه فلا يحيطون بشيء
من علمه الا بما شاء وما اوتوا من العلم الا قليلا فانظر الآن هل يمكنك ان تنكر ان هذه الصفات
والمحامد محبوبة او تنكر ان الموصوف بكمال الجمال محبوب وانظر كيف تحكم بعد ذلك حبه

فصل ان قدرت بصيرتك الباطنة عن ادراك الجلال والجمال والميل الى مطالعتها والنزوع اليها
والعشق له فلا تقصر عن الميل الى المنعم المحسن اليك ولا تكونن اقل من الكلب فانه يحب صاحبه
الذي يحسن اليه فتامل هذا ايها العاقل هل لاحد احسان اليك سوى الله تعالى وهل لك حظ ولذة
وتنعم في شيء وحرص على نعمة الا وانه تعالى خالقها ومدبرها ومسببها وخالق الشهوة اليها
والتلذذ بها وركبها في اعضائك ولطف صنع الله لك فيها لتحبه باحسانه اليك فتكون
من عوام الخلق الا لم تقدر ان تحبه لجماله وكماله وجلاله كما تحبه الملائكة لذلك امتثل
قوله عليه السلام احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله تعالى وعند هذا
تكون كالعبد السوء يحب ويعمل للاجرة والنفقة فلا جرم يزيد حبك وينقص بزيادة

الاحسان

الاحسان ونقصانه وذلك ضعيف جدا بل الكامل حب الله تعالى لجلاله وجماله ومحامد صفاته التي لا يتصور
ان يشرك فيها ولذلك اوحى الله تعالى الى داود صلوات الله عليه ان اود الاوداء الي من عبدني بغير نوال لكن
ليعطي الربوبية حقها وفي الزبور من اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا لم اكن اهلا ان
اطاع ومر عيسى عليه السلام بطائفة من العباد وقد نحلوا وقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال مخلوقا خفتم
ومخلوقا رجوتم ومر بقوم اخرين كذلك فقالوا نعبده حبا له وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله ومعكم
امرت ان اقيم

فصل العارف لا يحب الا الله تعالى فان احب غيره فلحبه له تعالى اذ يحب
المحب عبد المحبوب واقاربه وبلده وثيابه وصفته وتصنيفه وكل ما هو منه واليه نسبته وكل ما في الوجود
صنع الله تعالى وتصنيفه وكل عباده فان احب الرسول عليه السلام احب لانه رسول محبوبه وان احب
الصحابة فلانهم محبو رسوله ولانهم محبو الله وعبيده والمواظبون على طاعته وان احب طعامه فلانه
يقوي مركبه الذي به يصل الى محبوبه اعني البدن وان احب الدنيا فلانها زاده الى محبوبه وان احب
النظر الى الازهار والانوار والصور الجميلة فلانها صنعة محبوبه في ايصال علمه وحكمته اليه وهي دلالة
على جلاله وجماله ومدركات لصفات المحامد التي هي محبوبة في ذاتها وان احب المحسن اليه والمعلم علوم
الدين فيحبه لانه واسطة بينه وبين محبوبه في ايصال علمه وحكمته اليه ويعلم انه الذي قبضه ليعلمه
وارشاده والا فقد علم من الله واعظم الخلق احسانا علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وله المنة والفضل
بخلقه وبعثته كما قال الله تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة فما الرسول الا عبد الله مسخر مبعوث محمول على تبليغ الرسالة بالاضطرار وكذلك قال الله تعالى انك لا تهدي
من احببت وتامل سورة الفتح في قوله ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه
كان توابا فقد انزله منزلة النظارة وقال اذا رايت عباد الله يدخلون في دين الله فقل بحمد الله لا بجهدي حتى يقتضي
التسبيح بحمد ربه وان التفت قلبك الى نفسك وسعيك فاستغفره ليتوب عليك واعلم انه ليس لك من الامر شيء
ومن ههنا نظر عمر رضي الله عنه حيث وصل كتاب خالد بعد فتح مكة من خالد سيف الله المسلول على المشركين
الى ابي بكر امير المؤمنين فقال ان نصر الله المسلمين فنظر خالد الى بيتيته هواه الى نفسه وسمى نفسه سيفا مسلولا
على المشركين ولو لاحظ الحق لكان هو يعلم انه ليس ذلك بسيفه ولكن الله تعالى هو الذي شرفه في ارادته بنصرة الاسلام
فيقو بخطرة واحدة وهو خاطر عجيب يقتضيه الله في قلبه كان فيه نفسه ينهزم وينظر الى غيره فيهزم ونعم الله ينظر
خالد ومن هو في مثل حاله انه علامة الاسلام بجراءته وحدة سيفه ويطلع عمر رضي الله عنه ومن هو في مثل حاله
من الصديقين والاولياء على حقيقة الحال ويعلم حاجة خالد رضي الله عنه الى الاستغفار وان يسبح بحمد ربه
اذا راى ذلك كما امر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واذا لا موجب للمحبة الا امران احدهما الجمال
والآخر غاية الجلال والجمال بكمال الجود والحكمة والعلم والقدرة والتقديس من العيب النقص والاحسان

الامنة ولا جلال ولا جمال ولا قدس الا وكل ما في العالم من حسن واحسان فهو حسنة من حسنات جوده ونبوتها
بل احاده خطرة الحيرة يخلقها في قلب المحسن وكل ما في العالم من صورة مليحة وهيئة جميلة تدرك بعين او
او يسمع فاثر من آثار قدرته التي هي بعض معاني جلاله وجماله فليت شعري لمن عرف بالمشاهدة
المحققة والبرهان القاطع جميع هذا كيف يتصور ان يلتفت لما غير الله تعالى او يحب غير الله تعالى
فصل اعلم لذة العارف في الدنيا من مطالعة جمال الحضرة الربوبية اعظم من كل لذة يتصور ان
يكون في الدنيا سوى. وذلك لان اللذة على قدر الشهوة وقوة الشهوة على قدر الملائمة والموافقة مع المشتهى
وكما ان اوفق الاشياء للابدان الاغذية فاوفق الاشياء للقلب المعرفة فالمعرفة غذاء القلب الذي هو المعنى
بالنسبة الروح الرباني الذي قال الله تعالى فيه قل الروح من امر ربي وقال ونفخت فيه من روحي فاضافه
الى نفسه وهذا الروح لا يكون للبهائم ولمن هو في حالتها من الانس بل يختص به الانبياء والاولياء
ولذلك قال الله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه
نورا نهدي به من نشاء من عبادنا فالمعرفة اوفق الاشياء لهذا الروح لان الله وفق لكل شيء
خاصيته فالصوت الطيب لا يوافق البصر بل من خاصيته وخاصية الروح الانساني معرفة
الحقايق وكلما كان المعلوم المعروف اشرف كان العلم به الذ ولا اشرف من الله تعالى ولا اجل منه
معرفته ومعرفة صفاته وذاته وعجايب ملكه وملكوته الذ الاشياء عند القلب لان شهوة ذلك اشد
الشهوات ولذلك يخلق اخرا بعد جميع الشهوات وكل شهوة تاخرت فهي اقوى مما قبلها
واول ما تخلق شهوة الطعام ثم تخلق شهوة الوقاع فيترك شهوة الطعام لاجلها ثم تخلق شهوة
الرياسة والجاه والغلبة مستحقرة فيها شهوة المطعم والمنكح ثم تخلق له شهوة المعرفة التي هي استيلاء
على كل الموجودات فيستحقر ممن يتحمل فيها الجاه والرياسة وهي آخر الشهوات الدنيا والدواعي وكما
ان الصبي ينكر شهوة الوقاع ويتعجب ممن يتحمل مؤنة النكاح ويتعب لاجلها واذا بلغ شهوة
الوقاع اكب عليها واكثر شهوة الرياسة والجاه ولم يبال بفواتها بقضاء شهوة الوقاع
فكذلك المستغرق بشهوة الجاه والرياسة ينكر لذة المعرفة اذ لم تخلق فيه بعد شهوتها وقد تنتهي شدة
النوع فكذلك شهوة على الجاه الى مرض قلب حتى لا يقبل شهوة معرفة الله تعالى اصلا كما يفسد مزاج المريض
فتسقط شهوته للغذاء حتى يموت وقد يشتهي الطين والاشياء المضرة المهلكة وهي تورث
الموت ويبغضها ويبغض اهلها والمقبلين عليها ولا يدرك الا لذة الرياسة والمطعم والمنكح فهؤلاء
الذين لا يقبل العلاج وفي مثلهم قيل انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان تدعهم
الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وفيهم قيل اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون فصل
هذه المعرفة وان عظمت لذتها فلا نسبة لها الى لذة النظر الى جمال الكريم في الدار الاخرة و

وذلك

و وكل ما يتصور في الدنيا لا يمكن الآن كشفه ولا ينبغي ان تفهم من النظر ما فهمه العوام والمتكلمون فتحتاج
في تنزيهه الى الجهة وتشابه فذلك ينظر من اعتقده العقيدة في جبروت عالم الشهادة حتى لم يجاوز الحس
المحسوسات التي هي مدركات البهائم لكن لا ينبغي ان تفهم المعرفة الربوبية تنطبع صورتها وترتيبها العجيب ان و
على ما هو عليه من البهاء والعظمة والجلال والمجد في قلب العارف كما ينطبع مثلا صورة العالم المحسوس
في حواسك فاذا تنظر اليه وان غمضت عينيك فان فتحت العين وجدت الصورة المبصرة مثل الصورة
المتخيلة قبل فتح العين لا تفارقها في شيء الا ان الابصار في غاية الوضوح بالنسبة الى التخيل فكذلك ينبغي
ان تعلم ان في ادراك لا يدخل في الخيال والحس ايضا درجتين متفاوتين في الوضوح غاية التفاوت ونسبة
الثانية الى الاولى كنسبة الابصار الى التخيل فيكون الثاني غاية الكشف فيسمى لذلك مشاهدة ورؤية والرؤية
لم تسم رؤية لانها في العين اذ لو خلقت في الجبهة لكانت رؤية بل لانها غاية الكشف وكما ان تغميض
الاجفان حجاب عن غاية الكشف في المبصرات فكدورات الشهوات وشواغل هذا القالب المظلم حجاب عن
غاية المشاهدة ولذلك قال الرب لن تراني وقال لا تدركه الابصار فاذا ارتفع هذا الحجاب بعد الموت انقلبت
المعرفة بعينها مشاهدة ويكون مشاهدة كل احد على قدر معرفته فلذلك تزيد لذة اولياء الله تعالى في النظر على
لذة غيرهم ولذلك يتجلى الله تعالى لابي بكر خاصة ويتجلى للناس كافة عامة ولذلك لا يراه الا العارفون لان المعرفة
بذر النظر بل هي التي تنقلب مشاهدة كما ينقلب التخيل متصلا فلذلك لا يقتضي مقابلة وجهة وسر هذا طويل
فاطلبه من كتاب المحبة في الاحياء فصل لو كان لك معشوق وانت تراه من ستر رقيق في وقت الاسفار
وفي حالة ضعف العشق وفي حالة اجتمعت عليك تحت ثوبك عقارب وزنابير تلدغك وتشغلك فلا
يخفى ان لذتك من مشاهدته ضعيف فلو اشرقت الشمس دفعة وارتفع الستر الرقيق وانصرفت
عنك العقارب والزنابير وهجم عليك العشق المفرط البليغ فلا نسبة لهذه اللذة العظيمة التي تحصل الآن الى
ما كان قبل ذلك فكذلك فافهم انه لا نسبة للذة النظر الى لذة المعرفة بل هي اعظم منها كثيرا والستر
الرقيق في البدن والعقارب شواغل الدنيا وهمومها وشهواتها وهجوم العشق شدة الشهوة لانقطاع المضعفات
عنها واشراق الشمس هو استعداد حدقة القلب لاحتمال تمام التجلي فانها في هذه الحيوة لا تحتمله كما لا يحتمل
بصر الخفاش نور الشمس فصل اذا ضعفت شهوة معرفة الله تعالى [illegible] الشهوات وانما
خفيت معرفة الله تعالى مع جلائها لشدة ظهورها ومثاله انك تعلم ان اظهر الاشياء المحسوسات
ومنها المبصرات ومنها النور الذي يظهر به الاشياء ثم لو كانت الشمس دائمة لا تغيب ولا يتغير ظل لكنت
لا تعرف وجود النور وكنت تنظر الى الالوان فلا ترى الا الحمرة والسواد والبياض واما النور فلا تدركه [illegible]
الا بان تغيب الشمس او يقع لها حجاب بالظل فتدرك باختلاف الحال بين الظلمة والضياء ان النور
شيء آخر يعرض الالوان فتبصر مبصرة فلو تصور لها غيبة لانوار تصورت حجابه عن بعض الاشيا

لادركت من التفاوت ما تضطر معه الى المعرفة ولكن الموجودات كلها لما تساوت في الشهادة
لخالقها بالوحدانية من غير تفاوت خفي الامر لشدة جلائه ولو تصور انقطاع
آثار قدرته عن السموات والارض لانهدمت وانخسفت وادرك في الحال من التفاوت ما يضطر الى
المعرفة بالقدرة والقادر وهذا مثال لما ذكرناه وتحته اسرار وفيه مواقع اخطار فاجتهد لعلك تقوم على
اسراره ولا ترتبك في مواقع غلط فيه غلط من قال انه في كل مكان وكل من نسبه الى مكان
اوجهة فقد زل وضل ورجع غاية نظره الى التصرف في محسوسات البهائم ولم يجاوز الاجسام
وعلائقها واول درجات الايمان مجاوزتها فبه يصير الانسان انسانا فضلا عن ان يصير مؤمنا
فصل اعلم ان للمحبة علامات كثيرة فيطول احصاؤها ومن علاماتها تقديم امر الله تعالى على هوى النفس
والتوقي بالورع ورعاية حدود الشرع ومن علاماتها الشوق الى لقاء الله تعالى والفتور عن كراهية الموت
الا من حيث يشتاق الى زيادة المعرفة بان لذة المشاهدة بقدر كمال المعرفة فانها بذر المشاهدة
فتختلف لا محالة باختلافها ومن علاماتها الرضا بالقضاء وبمواقع قدر الله تعالى فلنذكر من الرضا
حتى لا يغتر الانسان بما يصادف الانسان في نفسه من خطرات تخطر فيظن انها
حقيقة الحب لله تعالى فان ذلك عزيز جدا الاصل الثالث الرضا بالقضاء قال الله تعالى رضي
الله عنهم ورضوا عنه وكفى قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه
وان رضي اصطفاه وقال عليه السلام اعبد الله بالرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير وقال
عليه السلام لطائفة ما انتم فقالوا مؤمنون فقال عليه السلام ما علامة ايمانكم اي شيء فقالوا نصبر على
البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفي رواية قال حكماء
علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء وفيما اوحى الله تعالى الى داود صلوات الله عليه ما لاوليائي
والهم بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم ان محبتي من اوليائي ان يكونوا روحانيين
لا يغتمون وقال نبينا عليه السلام قال الله تعالى انا الله لا اله الا انا فمن لم يصبر على بلائي ولم يشكر
نعمائي ولم يرض بقضائي فليطلب ربا سواي وقال عليه السلام قال الله تعالى خلقت الخير وخلقت
له اهلا وخلقت الشر وخلقت له اهلا فطوبى لمن خلقته للخير ويسرت الخير على يديه وويل لمن
خلقته للشر ويسرت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف واوحى الله تعالى الى داود صلوات
الله عليه يا داود تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلمت لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم
لما اريد اتعبتك فيما تريد ولا يكون الا ما اريد فصل قد انكر الرضا جماعة وقالوا
لا يتصور الرضا بما يخالف الطبع والهوى يتصور الصبر فقط وهذا خطأ من اهل المحبة ونحن
نحقق لك ان الرضا بالقضاء بما يخالف الطبع والهوى يتصور من ثلاثة اوجه احدها
ان يدهش من شدة الحب واغرق الحب عن الاحساس بالالم وذلك مشاهد في حب

المخلوقين

المخلوقين وفي غلبة الشهوة والغضب حتى ان الغضبان يصيبه الجراحة فلا يحس بها في الحال وحتى ان الحريص
يصيبه شوكة في رجله فلا يحس بها ثم اذا سكن وجده وظهر براده عظم المه واذا تصور هذا في الم يسير
بحب يسير تصور ان يغمر الم كثير بحب قوي بالغ فانه كل واحد من الحب والالم يقبل الزيادة والشدة
وكما يتصور مثل هذا في عشق يرجع الى الميل الى صورة مركبة من لحم ودم مشحونة بالاقذار والخبائث
وانما تدرك بعين ظاهر يغلب الغلط عليها حتى قد ترى الكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فكيف
لا يتصور في ادراك جمال الحضرة الربوبية والجلال الازلي الابدي الذي لا يتصور انقطاعه
ونقصانه المدرك بالبصيرة الباطنة التي هي اصدق واوضح عندنا واهلها من البصر الظاهر ومما
بهذا الاصل قال الجنيد رحمه الله قلت لسري السقطي رحمه الله هل يجد المحب الم البلاء قال لا قلت وان
ضرب بالسيف قال لا وان ضرب سبعين ضربة بالسيف وقال بعضهم احببت كل شيء لحبه حتى لو احب
النار احببت دخول النار وقال عمر بن عبد العزيز ما بقي لي فرح الا في مواقع قدر الله تعالى وضاع لبعض
الصوفية ولد صغير ثلاثة ايام فقيل له لو سألت الله تعالى ان يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد
علي من ذهاب ولدي والوجه الثاني من الرضا ان يحس بالالم ويكرهه بالطبع ولكن يرضى به بعقله وايمانه
لمعرفته بجزالة الثواب على البلاء كما يرضى المريض بالم الفصد وشرب الدواء لعلمه بانه سبب الشفاء
حتى انه ليفرح بمن يهدي اليه الدواء وان كان مبغضا وكذلك يرضى التاجر بمشقة السفر وهو خلاف
طبعه وهذا ايضا شاهد مثله في الاغراض الدنيوية فكيف ينكر في السعادة الاخروية وروي ان
امرأة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت
عن قلبي مرارة وجعه فاما من ايقن ان ثواب البلاء اعظم مما يقاسيه لم يبعد ان يرضى به والوجه الثالث
ان يعتقد ان لله تعالى تحت كل تجربة لطيفة بل لطائف وذلك تخرج عن قلبه لم وكيف حتى لا يتعجب
مما يجري في العالم مما يظنه الجاهل خشونة واضطرابا وميلا عن الاستقامة ويعلم ان تعجبه كتعجب موسى
من الخضر عليهما السلام لما خرق سفينة الايتام وقتل الغلام واعاد الجدار كما في سورة الكهف ولما
كشف الخضر عن السر الذي اطلع عليه سقط تعجبه فكان تعجبه بناء على ما اخفي عنه من تلك الاسرار وكذلك
افعال الله تعالى مثاله ما حكي عن رجل من الاصفياء انه كان يقول في كل ما يصيبه الخيرة فيما قدره الله تعالى
وكان في بادية ومعه اهله وليس له الا حمار يحمل عليه خباءه وكلب يحرسهم وديك يوقظهم فجاء ثعلب
واخذ ديكه فقال الخيرة وجاء ذئب وقتل الحمار فحزن اهله وقال الخيرة ثم اصيب الكلب فمات فقال
خيرة الله فتعجب اهله من ذلك حتى اصبحوا وقد سبي من حولهم واسترقوا اولادهم وكان قد عرف مكان
بعضهم بصوت الديك ومكان بعضهم بنباح الكلب ومكان بعضهم بنهيق الحمار فقال قد رأيتم
ان الخيرة فيما قدره الله تعالى فلو لم يهلكها الله تعالى لهلكتم واهلكنا وروي ان نبيا عليه السلام كان

يستند إلى جبل وكان بالقرب منه عين ماء فجاء إليها فارس فشرب ونسي عندها صرة فيها ألف دينار وجاء
آخر فأخذ الصرة ثم جاء رجل فقير على ظهره حزمة حطب فشرب واستلقى ليستريح فرجع الفارس في طلب
الصرة فلم يرها فأخذ الفقير فطالبه وعذبه فلم يجد عنده فقتله فقال النبي عليه السلام إلهي ما هذا أخذ الصرة ظالم آخر
وسلطت هذا الظالم على هذا الفقير حتى قتله فأوحى الله تعالى إليه اشتغل بعبادتك فليس معرفة أسرار الملك من شأنك
إن هذا الفقير كان قد قتل أبا الفارس فمكنته من القصاص وإن أبا الفارس كان قد أخذ ألف دينار من مال
آخذ الصرة فرددته إليه من تركته فمن تيقن بأمثال هذه الأسرار لم يتعجب من أفعال الله تعالى وتعجب من جهل
نفسه ولم يقل لم وكيف ورضي بما دبره الله تعالى فيه وفي كونه وههنا وجه آخر ينبعث عن المعرفة بكمال الجود والحكمة
وبكيفية ترتيب الأسباب المتوجهة إلى المسببات ومعرفة القضاء الأزلي الذي هو كلمح البصر ومعرفة القدر
الذي هو سبب لظهور تفاصيل القضاء والقدر ترتيب على أكمل الوجوه وأحسنها وليس في الإمكان أحسن منها
وأكمل ولو كان وادخره لكان بخلا يناقض الجود وعجزا يناقض القدرة وينطوي تحت ذلك معرفة
سر القدرة ومن تيقن ذلك لم ينطو ضميره إلا على الرضى فكذلك كل ما يجري من الله وشرح ذلك يطول ولا
رخصة في إفشائه فلنعرض عنه **فصل** لعلك تقول كيف اجتمع بين الرضا بقضاء الله تعالى وبين بغض أهل
الكفر والعصيان وقد تعبدت به شرعا وذلك مراد الله منهم فاعلم أن طائفة من الضعفاء ظنوا أن
ترك الأمر بالمعروف من جملة الرضا بالقضاء وسموه حسن الخلق وهو جهل محض بل عليك أن ترضى وأن تكره
جميعا والرضا والكراهة يتضادان إذا تواردا على شيء واحد من وجه واحد ولا يتضادان في أن يموت عدوك
الذي هو عدو عدوك أيضا فترضاه من حيث إنه عدو عدوك وتكرهه من حيث إنه عدوك فكذلك المعصية لها
وجهان وجه إلى الله تعالى من حيث إنها فعله وقضاؤه ومشيئته فهو من هذا الوجه مرضي به ووجه إلى العاصي من
حيث إنه صفته وكسبه وعلامة كونه ممقوتا من الله تعالى فهو من هذا الوجه مكروه وقد ينبغي من الله
بغض من يبغضه من المخالفين لأمره فيلزمك الرضا بما يقتضيه والامتثال له ولو قال لك محبوبك إني
أريد أن أمتحن حبك بأن أضرب عبدي وأحمله إلى أن يشتمني لتبغضه فهو محبي ومن أحبه
فهو عدوي فيمكنك أن تحب عبده إذا شتمه مع أنك تعلم أن الذي أحوجه إلى الشتم وكان
ذلك مراده فتقول أما فعله الشتم فإني أرضى به من حيث إن تدبيرك فحبك ومرادك
ممن أردت إبعاده وأما شتمه من حيث هو صفته وعلامة عداوته فإني أبغضه لأني أحبك فأبغض
لا محالة من عليه علامة عداوتك وهذه دقيقة تزل فيها الضعفاء فلذلك بيناها فتفطن فيه
فصل كذلك ينبغي أن لا تظن أن معنى الرضا بالقضاء ترك الدعاء بل ترك السهم الذي
أرسل إليك حتى يصيبك مع قدرتك على دفعه بالترس يعني ترك الدعاء بالدعاء المستخرج به من قلبك صفاء
الذكر وخشوع القلب ورقته لتستعد به لقبول الألطاف والأنوار من جملة الرضا بالقضاء إذ
أن يتوصل إلى محبوباته بمباشرة ما جعله سببا له بل ترك الأسباب مخالفة لمحبوبه ومناقضة.

الرضا

الرضا به فليس من الرضا للعطشان أن لا يمد اليد إلى الماء البارد زاعما أنه رضي بالعطش الذي هو
من قضاء الله تعالى بل من قضاء الله ومحبته أن يزال العطش بالماء فليس الرضا بالقضاء ما يوجب
الخروج عن حدود الشرع وسنة الله تعالى أصلا بل معناه ترك الاعتراض على الله تعالى ظاهرا وباطنا مع
بذل الجهد في التوصل إلى محاب الله تعالى من عباده وذلك بحفظ الأوامر وترك النواهي **الأصل السابع**
في ذكر الموت وحقيقته وأحوال العقوبات الروحانية اعلم أن المقامات التي ذكرناها ليست هي
على رتبة واحدة بل بعضها مقصودة لذاتها كالمحبة والرضا فإنهما أعلى المقامات وبعضها مطلوبة
لغيرها كالتوبة والزهد والخوف والصبر فالتوبة رجوع عن طريق البعد للإقبال على طريق القرب والزهد
فراغ عن الشواغل والخوف سوط يسوق إلى ترك الشواغل والصبر جهاد مع الشهوات القاطعة لطريق
القرب وكل ذلك غير مطلوب لذاته بل المطلوب القرب وذلك بالمعرفة والمحبة فإنها مطلوبة لذاتها لا لغيرها
ولكن لا يتم ذلك إلا بقطع حب غير الله تعالى عن القلب فاحتيج إلى الخوف والصبر والزهد لذلك ومن الأمور
العظيمة النفع فيه ذكر الموت فلذلك أوردناه ولذلك عظم الشرع ثواب ذكره إذ به تتنغص الدنيا
وتنقطع علاقة القلب عنها قال الله تعالى قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم وقال النبي
صلى الله عليه وآله أكثروا من ذكر هادم اللذات وقال من كره لقاء الله كره الله لقاءه وقالت عائشة
رضي الله عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة ومر
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمجلس وقد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قيل
وما هو قال الموت وقال عليه السلام لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا
وقال عليه السلام كفى بالموت واعظا وقال عليه السلام تركت فيكم واعظين صامتا وناطقا فالصامت
الموت والناطق القرآن وذكر رجل عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحسن الثناء عليه فقال وكيف كان
صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فإن صاحبكم ليس هناك وقال رجل من الأنصار
يا رسول الله من أكيس الناس وأكرم الناس فقال أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا أولئك هم
الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة **فصل** اعلم أن الموت عظيم هائل وما بعده أعظم
منه وفي ذكره منفعة عظيمة فإنه يبغض الدنيا ويبغضها إلى القلب وبغضها رأس كل حسنة
كما أن حبها رأس كل خطيئة وللعارف في ذكره فائدتان إحداهما النفرة عن الدنيا والأخرى الشوق
إلى الآخرة فإن المحب لا محالة مشتاق ومعنى الشوق في المحسوسات استكمال الخيال بالترائي بالمشاهدة
فإن المشتاق إليه مدرك لا محالة بالخيال وغائب عن الأبصار وأحوال الآخرة ونعيمها وجمال
الحضرة الربوبية مدرك كل ذلك للعارف بمعرفة كأنه ينظر من وراء ستر رقيق في وقت الإسفار
وضعف النور فهو مشتاق إلى استكمال ذلك بالتجلي والمشاهدة ويعلم أن ذلك لا يكون إلا بالموت
فلذلك لا يكره الموت لأنه لا يكره لقاء الله تعالى ولا سبب لإقبال الخلق على الدنيا إلا قلة التفكر

في الموت. وطريق الفكر انه يفرغ الانسان قلبه عن كل فكر سواه ويجلس في خلوة ويبادر ذكر الموت بصميم
قلبه ويتفكر اولا في اخوانه واقرانه الذين مضوا فيتذكرهم واحدا واحدا ويتذكر صورهم واحوالهم وركونهم
الى الجاه والمال ثم يتذكر مصارعهم عند الموت وتحسرهم على فوات العمر وتضييعه ثم يتذكر
في اجسادهم كيف تمزقت في التراب وصارت جيفة يأكلها الديدان ثم يرجع الى نفسه ويعلم انه كواحد
منهم وحاله كحالهم ومصرعه كمصرعهم ثم ينظر في اعضائه وينظر كيف تتمزق والاصابع كيف
يأكلها الديدان والعين كيف تتمزق وتصير جيفة في فيه فاذا فعلت ذلك تنغص عليك
الدنيا وكنت سعيدا اذ السعيد من وعظ بغيره فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ايها
الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب وكأن الحق فيها على غيرنا وجب وكأن الذين نشيع من الاموات
سفر عن قريب الينا راجعون نبوئهم اجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة
وامنا كل جائحة فصل اصل الغفلة عن الموت طول الامل وذلك عين الجهل ولذلك قال عليه السلام
لعبد الله بن عمر اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ
من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله ما تدري ما اسمك غدا وقال عليه السلام اخوف ما اخاف
على امتي خصلتان اتباع الهوى وطول الامل واشترى اسامة وليدة الى شهر بمائة فقال عليه السلام الا
تعجبون من اسامة اشترى الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا
ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي وظننت اني واضعه حتى اقبض
ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بني آدم ان كنتم تعقلون
فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وقال عليه السلام
نجا اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الامة بالبخل والامل وقال عليه السلام
اكلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم قال فقصروا من امالكم واجعلوا آجالكم نصب ابصاركم واستحيوا
من الله حق الحياء فصل اعلم ان العارف الكامل المستهتر بذكر الله تعالى مستغن عن ذكر
الموت بل حاله الفناء في التوحيد لا الالتفات الى ماضي ولا الى مستقبل ولا الى الحال من حيث
انه حال بل هو ابن وقته بمعنى انه كالمتحد بمذكوره لست اقول متحد بالذات فلا تنتقل
فتغلط او تسيء الظن وكذلك يفارقه الخوف والرجاء لانهما سوطان يسوقان العبد الى هذه
الحالة التي هو ملابسها بالذوق وكيف يذكر الموت وانما يراد ذكر الموت لقطع علاقة قلبه
عما يفارقه بالموت والعارف قد مات مرة في حق الدنيا وفي حق كل ما يفارقه بالموت فانه
قد تنزه وتنزه عن الالتفات الى الاخرة ايضا فضلا عن الدنيا وقد تنغص عليه ما سوى الله
تعالى ولم يبق لعين الموت الا كشف الغطاء ليزداد به وضوحا لا ليزداد به يقينا وهو في
قول علي عليه السلام لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فان الناظر الى الغرة من وراء الستر

البناء

لا

لا يزداد برفع الستر يقينا بل وضوحا فقط فاذا ذكر الموت يحتاج اليه من لغلبة التفات الى الدنيا
ليعلم انه سيفارقها فلا يعكف بهمته عليها ولذلك قال عليه السلام ان روح القدس نفث في روعي احبب ما
احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فصل لعلك تشتهي
ان تعرف حقيقة الموت وماهيته ولن تعرف ذلك ما لم تعرف حقيقة الحياة ولن تعرف حقيقة الروح وهي
نفسك وحقيقتك وهي اخفى الاشياء عندك ولا تطمع ان تعرف ربك قبل ان تعرف نفسك اعني بنفسك روحك
التي هي خاصية الامر مضافة الى الله تعالى في قوله تعالى قل الروح من امر ربي وفي قوله ونفخت فيه من روحي
دون الروح الجسماني اللطيف الذي هو حامل قوة الحس والحركة التي تنبعث من القلب وتنتشر في
جملة البدن في تجويف العروق الضوارب فيفيض منها نور الحس البصري على العين ونور السمع على الاذن
وكذلك سائر القوى والحواس كما يفيض من السراج نور على حيطان البيت اذا ادير في جوانبه فان هذا الروح
تشارك البهائم فيها وتنمحق بالموت لانه بخار اعتدل نضجه عند اعتدال مزاج الاخلاط فاذا انحل
سرا المزاج بطل كما يبطل النور الفائض من السراج عند انطفاء السراج بانقطاع الدهن عنه او بالنفخ فيه
وبانقطاع الغذاء عن الحيوان تفسد هذه الروح لان الغذاء له كالدهن للسراج والقتل له كالنفخ
في السراج وهذه الروح التي يتصرف في تعديلها وتقويتها علم الطب ولا تحمل هذه الروح المعرفة والامانة
بل الحامل للامانة الروح الخاصية للانسان وهي الامانة تقلد عهدة التكليف بان تعرضت لخطر الثواب
والعقاب بالطاعة والمعصية وهذه الروح لا تموت ولا تفنى بل تبقى بعد الموت اما في نعيم وسعادة
او في جحيم وشقاوة فانه محل المعرفة والتراب لا يأكل محل الايمان والمعرفة اصلا كما نطقت به الاخبار
وشهدت له شواهد الاستبصار ولم يأذن الشرع في ذكر تحقيق صفته اذ لا يحتمله الا الراسخون
في العلم وكيف يذكر وهو من عجائب الاوصاف ما لا يحتمله اكثر عقول الخلق في حق الله تعالى فلا تطمع
في ذكر حقيقته وانتظر تلويحا يسيرا من ذكر صفته بعد الموت فصل هذه الروح لا تفنى
البتة ولا تموت بل يتبدل بالموت حالها فقط ويتبدل منزلها فترقى من منزل الى منزل و
القبر في حقها اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران اذ لم يكن لها مع البدن علاقة سوى استعمالها
البدن واقتناصها اوائل المعرفة به بواسطة شبكة الحواس فالبدن آلتها ومركبها وشبكتها وبطلان
الآلة والمركب والشبكة لا يوجب بطلان الصائد نعم ان بطلت الشبكة بعد الفراغ
من الصيد فبطلانها غنيمة اذ يتخلص من ثقلها وحملها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
الموت تحفة المؤمن وان بطلت الشبكة قبل الصيد عظمت فيه الحسرة والندامة والالم فلذلك يقول
المقصر رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت بل ان كان قد الف الشبكة واحبها وتعلق

قطعه عنها وحسن صورتها وصنعتها وما يتعلق بها من العذاب صنفان احدهما حسرات
العبد الذي لا تستغني الا بشبكة البدن والثاني زوال الشبكة مع تعلق القلب بها والفه لها
ويؤاسيه امن مبادي معرفة عذاب القبر ان استقصيت حقيقته فقطع فصل لعلك تشتهي
الاستقصاء المفضي الى التحقيق فاعلم ان هذا الكتاب لا يحتمله فاقنع منه بانموذج يسير
مختصرا ان معنى الموت زمانة البدن وانت تعرف ان زمانة اليد خروجها عن طاعتك
مع وجودها فتخصها لبطلان القوة التي بواسطتها تستعمل اليد فهم ان الموت زمانة
مطلقة في جميع الاعضاء ببطلان قواها فيسلب الموت منك يدك ورجلك وعينك وسائر
حواسك وعظم عذابك لغيرك وانت باق اعني حقيقتك التي بها انت انت فانك الآن الا
شان الذي كنت في الصبى ولعله لم يبق فيك شئ من تلك الاجسام شئ بل تحللت كلها وحصل
بالغذاء بدلها وانت انت وجسدك غير ذلك الجسد فان كان ذلك مشوق تستقر فيه الى جوارحك
عظم عذابك لغيرك فكل معشوقك وجميع ملاذ الدنيا مستورة وجميع علائق الدنيا معرفتها لا تتناول الا بالحواس فان فرق
في عذاب العاشق بين ان يحجب عن معشوقه وبين ان ينقد عينه حتى لا يراه فان المهم عدم الرؤية من
احب اهله وماله وعقاره وفرسه وجاريته وثيابه ايام عزاتها سواء سلبت هذه الاشياء عنه او سلب
هو عنها بان يحمل الى موضع آخر وحيل بينه وبينها فالموت يسلبك عن هذه الاشياء ويحول بينك وبينها
فيكون عذابك بقدر عشقك لها والموت يخلي بينك وبين الله تعالى ويقطع عنك هذه الحواس الشاغلة فيكون
لك تنعما بالقدوم على الله تعالى بقدر حبك له وانسك به ولاجل هذا نبهك الله تعالى فقال اما يترك اللازم
فالزم واجمع العلاقات عن نعيم الجنة ان لهم فيها ما يشتهون واجمع العبارات لعذاب الآخرة قوله
وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولا ملذة الا الشهوة ولكن عند مصادفة المشتهي ولا الم الا الشهوة
ولكن عند فوت المشتهي ولا ينبغي ان تغتر الآن وتقول ان كان هذا سبب عذاب القبر فاني قد
امن منه اذ لا علاقة بين قلبي وبين متاع الدنيا فان هولا تدركه الا ان بالحقيقة ما لم تطلع
الدنيا وتخرج عنها بالتخلية فكم من رجل باع جارية على ظن انه لا علاقة بينه وبينها فلما اخذها المشتري
اشتعل في قلبه من نيران الفراق واحترق بها احتراقا ربما القى نفسه في الماء والنار ليقتل نفسه
ويتخلص منها فكذلك يكون حالك في القبر كل ما يتعلق به قلبك في الدنيا ولذلك قال عليه السلام احبب
ما احببت فانك مفارقه ووراء هذا عذاب اعظم منه وهو حسرة الحرمان عن القرب من الله تعالى
والنظر الى وجهه الكريم وينكشف بالموت عظم قدره فانه وان كان لا يعظم قدره عندك
قبل الموت لان الموت سبب الكشف فما لم يمكن المكاشفة قبله كان النوم سبب الانكشاف
فلم يكن المكاشفة قبلك كان النوم سببا لكشف في الغيب بمثال او غير مثال والنوم

اخ الموت ولكنه دونه بكثير فهذا عذابان ينتفعان عن كل ميت كان غير الله احب اليه من الله وكان
انسه بغير الله اكثر من انسه بالله وبهما ضروريان ان عرفت بالحقيقة الروح وبقاءه بعد الموت وحقيقته
يضاده بالطبع وما يوافقه بالطبع فصل لعلك تقول المشهور عند اهل العلم ان الانسان يعدم
بالموت ثم يعود وان عذاب القبر يكون بنيران وعقارب وحيات وما ذكرته يخالف ذلك فاعلم
ان من قال ان الموت معناه العدم فهو محجوب عن حضيض التقليد وعن يفاع الاستبصار جميعا اما حرمانه وذروة
عن ذروة الاستبصار فلا تدركه فلم تستضئ واما حرمانه عن التقليد فلا تعرفه بتلاوة الآيات والاخبار قال
الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله
من فضله الآيات بهذا في الشهداء رواه في الاشقياء فقد ناداهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر
لما قتلوا امكان يقول يا فلان يذكر واحدا واحدا من صناديدهم قد وجدت ما وعدني ربي حقا
فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله اتناديهم وهم اموات فقال عليه السلام والذي نفسي بيده
انتم باسمع لكلامي منهم لكنهم لا يقدرون على الجواب وقال عليه السلام الموت هو القيامة
ومن مات فقد قامت قيامته واراد بهذه القيامة الصغرى والقيامة الكبرى تكون بعدها الح
القيامة الصغرى فان اردته فاطلبه من كتاب الفقر من كتب الاحياء والاخبار في الدلالة على بقاء
ارواح الموتى وشعورهم بما يجري في هذا العالم ايضا كثيرة فصل اما ذكرناه ان المشهور من
عذاب القبر التألم بالنيران والعقارب والحيات فهذا صحيح وهو كذلك ولكني اراك عاجزا عن
فهمه ودركه وحقيقته الا اني انبهك على انموذج منه تشويقا لك الى معرفة الحقائق والتشمر
للاستعداد لامر الآخرة فانه نبأ عظيم انتم عنه معرضون فقد قال عليه السلام المؤمن في قبره في
روضة خضراء قد فسح له قبره سبعين ذراعا ويضيء وجهه حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما
ذا انزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله اعلم عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون قال في
تنينا هل تدرون ما التنين تسع وتسعون حية لكل حية تسعة رؤوس ينفخونه ويلسعونه وينخرون
في جسمه الى يوم يبعثون فانظر الى هذا الخبيث الحديث واعلم ان هذا حق على الوجه الذي يشاهده
ارباب البصيرة ببصيرة اوضح من البصر الظاهر ومن الجاهل ينكره اذ يقول انا انظر في
قبره فلا ارى ذلك اصلا فليعلم الجاهل ان هذا التنين ليس خارجا عن ذات الميت اعني
ذات روحه لا ذات جسده فانه الروح بها التي تتألم وتتنعم بل كان معه قبل موته
متمكنا من باطنه لكنه لم يحس بلدغه لخدر كان فيه لغلبة الشهوات فاحس بلدغه
بلدغه بعد الموت وليتحقق ان هذا التنين بحسب الدنيا مركب من صفاته وعدد
الجاهل

رؤسه بقدر اخلاقه الذميمة وشهواته لمتاع الدنيا واصل هذا التنين حب الدنيا وتتشعب عنه رؤس بعدد
ما يتشعب من حب الدنيا من الحسد والحقد والرياء والكبر والشره والحرص والمكر والخداع وحب
المال والجاه والعداوة والبغضاء واصل ذلك معلوم بالبصيرة وكذلك كثرة رؤسه اللداغة اما
انحصار عدده في تسعة وتسعين انما يوقف عليه بنور النبوة فقط فهذا التنين متمكن في صميم فؤاد
الكافر لا لمجرد جهله بالله بل لما دعوا اليه الكفر كما قال تعالى ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة
وكما قال تعالى اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا الاية وهذا التنين لو كان كما يظنه خارجا من
ذات الميت لكان اهون اذ ربما يتصور ان ينحرف عنه لا بل هو متمكن من صميم فؤاده يلدغه
لدغا اعظم مما تفهمه من لدغ التنين وهو بعينه صفاته التي كانت معه في حيوته كما ان التنين التي
يلدغ قلب العاشق اذا بلغ جاريته هو بعينه العشق الذي كان مستكنا في قلبه مستكنا ان النار
في الحجر وهو غافل عنه فعند انقلب الكامن سبب لذة صار الم وهذا سر قوله عم انما هي اعمالكم
ترد عليكم وقوله تع يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه
امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد وسر قوله تع كلا لو تعلمون علم اليقين لترون
الجحيم ان الجحيم في باطنكم فاطلبوا علم اليقين لتروها قبل ان تدركوها بعين اليقين بل اوضح قوله تع
ويستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ولم يقل انها ستحيط بل قال اي محيطة
وقوله تع انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها ولم يقل يحيط بهم وهي بمعنى قول من قال
ان الجنة والنار مخلوقتان وقد انطق الله لسانه بالحق وهو لا يطلع على ما يقول فان
لم تفهم معنى القران كذلك فليس لك نصيب من القران الا في قشوره كما ليس للبهيمة نصيب
من البر الا في قشوره الذي هو التبن والقران غذاء الخلق كلهم على اختلاف اصنافهم ولكن
اغتذاؤهم به على قدر درجاتهم وفي كل غذاء مخ ونخالة وتبن وحرص الحمار على التبن اشد منه
على الخبز المتخذ من اللباب فانت شديد الحرص على ان لا ترقى درجة البهيمة ولا تترقى الهمة الى
الانسانية بل الى الملكية فدونك والانسراح في رياض القران ففيه متاع لكم ولانعامكم فصل
فان قلت فهل يتمثل هذا التنين تمثلا يشاهده تشاهدها ادراكات البصر ام هو تالم
محض في ذاته كتالم العاشق اذا حيل بينه وبين معشوقه فاقول لا بل يتمثل له حتى يشاهده ولكن
تمثلا روحانيا لا على وجه يدركه من هو بعد في عالم الشهادة اذا نظر في قبره فان ذلك من عالم
الملكوت بل العاشق ايضا قد ينام فيتمثل له حالة في المنام فربما يرى حية تلدغ صميم فؤاده
لانه بعد بالنوم من عالم الشهادة قليلا فيتمثل حق الاشياء تمثلا محاكيا للحقيقة منكشفا

له

له من عالم الملكوت والموت ابلغ في الكشف من النوم لانه اقطع لعلائق الحس والخيال وابلغ في تجريد جوهر
الروح عن غشاوة هذا العالم فلذلك يكون ذلك التمثل تاما متحققا دائما لا يزول فانه لا ينتهي الا
يوم القيامة واعلم ان المستيقظ بجنب النائم ان كان لا يشاهد الحية التي تلدغ النائم فذلك لا يمنع من
وجود الحية في حقه وحصول الالم الذي يلحق به فكذلك حال الميت في القبر فصل لعلك تقول قد ابدعت
قولا مخالفا للمشهور مستنكرا عند الجمهور اذ زعمت ان انواع عذاب الاخرة يدرك بنور البصيرة وان دركه
ادراكه في مجاوزة تقليد الشرع فهل يمكنك ان كان ذلك حصر اصناف العذاب وتفاصيل فاعلم
ان مخالفتي للجمهور لا انكرها وكيف تنكر مخالفة المسافر للجمهور فان الجمهور مستقرون في البلد الذي هو
مسقط رأسهم ومحل ولادتهم وهو المنزل الاول من منازلهم ووجودهم وانما سافر فيها منهم الاحاد واعلم
ان البلد منزل البدن والقالب واما منازل الروح الانسانية عوالم الادراكات والمحسوسات منزلها الاول
والمتخيلات منزلها الثاني والموهومات منزلها الثالث وما دام الانسان في منزله الاول فهو دود او فراش
النار ليس له الا الاحساس لو كان له تخيل وحفظ للمتخيل بعد الاحساس لما تهافتت على مرة بعد اخرى
وقد تاذى بها اولا فان الطير سائر الحيوانات اذا تاذت في موضع بالضرب يفر منه ولم يعاوده لانه
بلغ المنزل الثاني وهو حفظ المتخيلات بعد غيبوبتها عن الحس وما دام الانسان في المنزل الثاني
بعد فهو بهيمة ناقصة انما يحذر اذا يحذر عن شيء تاذى به مرة وما لم يتاذ بشيء فلا يدري انه
يحذر منه وما دام في المنزل الثالث وهو الموهومات فهو بهيمة كاملة كالفرس مثلا فانه قد يحذر
مما يحذر من الاسد اذا رآه اولا وان لم يتاذ به قط فلا يكون حذره موقوفا على ان يتاذى مرة
بل الشاة ترى الذئب اولا فتحذره وترى الجمل البقر وهما اعظم منه شكلا واهول منه صورة ولا تحذر
هما اذ ليس من طبعهما ايذاؤها وهي الى الان تشاركه البهائم بعد هذا يترقى الانسان الى عالم
الانسانية فيدرك اشياء لا تدخل في حس وتخيل ولا وهم ويحذر من الامور المستقبلة ولا يقتصر
حذره على العاجلة اقتصار حذر الشاة على ما تشاهده في الحال من الذئب ومن ههنا الى حقيقة
الانسانية والحقيقة هي الروح المنسوبة الى الله في قوله ونفخت فيه من روحي وفي هذا العالم يفتح
له باب الملكوت فيشاهد الارواح المجردة عن كسوة التلبيس وغشاوة الاشكال وهذا العالم لا نهاية
لها اما عوالم المحسوسات والمتخيلات والموهومات فمتناهية لانها مجاورة الاجسام ومتعلقة بها والاجسام
لا يتصور ان تكون غير متناهية والسير في هذا العالم مثال المشي على الماء ثم يترقى منزله الى
المشي في الهواء ولذلك لما قيل لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان عيسى صلوات الله عليه واله وسلم مشى على الماء

فقال نعم ولو ازداد يقيناً لمشى في الهواء، فالتردد على المحسوسات هو كالمشي على الارض وبينهما وبين
الماء عالم يجري مجرى السفينة وفيها تتولد درجات الشياطين حتى يجاوز الانسان عوالم البهائم
فينتهي الى عالم الشياطين ومنه يترقى الى عالم الملائكة وقد ينزل فيه ويسترق وشرح ذلك يطول
وهذه العوالم كلها منازل في الهدى ولكن الهدى المنسوب الى الرقي لا يوجد في هذا العالم الرابع وهو
عالم الارواح وهو قوله تعالى قل ان الهدى هدى الله ولمقام كل انسان وحده ومنزله في اعلى وانتقل [illegible]
اوراكه وهو معنى قول علي ابن ابي طالب عليه السلام الناس ابناء ما يحسنون فالانسان بين ان يكون دوداً
او حماراً او فرساً او شيطاناً ثم يجاوز ذلك فيصير ملكاً وللملائكة درجات فمنهم الارضية ومنهم
السماوية ومنهم المقربون المترفعون عن الالتفات الى السماء والارض القاصرون نظرهم على جمال
الحضرة الربوبية وملاحظة الوجه خاصة وهم ابداً في دار البقاء اذ ملحوظهم على الوجه الباقي [illegible]
معنى [illegible] كل واعدا ذلك فاني فانياً ومصيره اعني السماء والارض وما يتعلق بهما من المحسوسات
والمتخيلات والموهومات وهو معنى قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
وهذه العوالم منازل سوى الانسان يترقى من حضيض درجة البهائم الى يفاع رتبة الملائكة ثم
يترقى من رتبتهم الى رتبة العشاق منهم وهم العاكفون على ملاحظة جمال الوجه يسبحون
للوجه ويقدسونه بالليل والنهار لا يفترون فانظر الآن الى خسة الانسان وشرفه والى بعد
مراقيه ومعارجه والى انحطاط درجاته فاستعذ وكل الآدميين مردودون الى اسفل السافلين
ثم الذين آمنوا وعملوا الصالحات يترقون منها فلهم اجر غير ممنون وهو ملاحظة جمال الوجه
وبهذا نبههم معنى قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين
ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان فان معنى الامانة التعرض للعهدة والخطر والاخطر
على سكان الارض وهم البهائم اذ ليس لهم امكان الترقي من المنزل الثالث ولا خطر على
الملائكة اذ ليس لهم خوف الانحطاط الى حضيض عالم البهائم وانظر الى الانسان وعجائب
عوالمه كيف يعرج الى السماء العلو رقياً ويهوي الى الارض الحقيرة هوياً فتقلد هذا الخطر العظيم
الذي يتقلده في الوجود بخيرة فيا مسكين كيف تتمدين بطلب الجنة وتخوفني [illegible] الجمهور
من لذة المشهور وهذا كله شهوة وسرور الى الذي يكره من فوق ذلك الذي يشتهيه قلبي
فاطو طومار الهذيان ولا تتصفحني بعد هذا بالشناعة فصل [illegible]
بتفصيل عذاب الآخرة وذكر اصنافه فلا تطمع بالتفصيل فذلك داعية الاعتراض والتطويل

بالمخالفة

واقنع

واقنع بذكر الاصناف فنقول طريقاً لمشاهدة ظهوراً اوضح من العيان ان اصناف عذاب الآخرة
ثلاثة اعني الروحانية منها حرقة فرقة المشتهيات و[illegible] خجلة المفتضحات وحسرة فوات المحبوبات
فهذه ثلاثة انواع من النيران الروحانية تتعاقب على روح من آثر الحياة الدنيا الا ان يتجلى لها
مناسبات آثار الجسمانية فان ذلك يكون في آخر الامر فخذ الآن شرح هذه الاصناف الاول حرقة
فرقة المشتهيات فصورته المستعارة من عالم الحس التخييل التنين الذي وصفنا الشرح وعدد رؤوسه
وهي بعدد الشهوات ورذائل الصفات تلدغ صميم الفؤاد لدغاً مؤلماً وان كان البدن بمعزل عنه
فقدر في عالمك هذا ملكاً مستولياً على جميع الارض متمكناً من جميع الملاذ مستمتعاً بها مستهتراً
باوجه الالوان منها [illegible] مشغوفاً بالامارة واستسخار الخلق بالطاعة مسلطاً فيهم فاخذه
عدوه واسترقه واستعمله على ملأ من رعيته في تعهد كلابه وصار يتمتع بنعمته ويستمتع باهله و
جواريه بين يديه ويتصرف في خزائنه وذخائر امواله فيفرقها على اعدائه ~~وحاشيته~~ فانظر الآن
هل ترى على قلبه تنيناً ذا رؤوس كثيرة تلدغ صميم فؤاده وبدنه بمعزل عنه وهو يريد ان يبتلى
بدنه بامراض وآلام ليتخلص منه فهذا هو تمام التمثيل [illegible] قليلاً من رائحة الحطمة التي فيها نار الله
الموقدة التي تطلع على الافئدة [illegible] جمع مالاً وعدده يحسب ان ماله اخلده واعلم ان عذاب
كل ميت بقدر رؤوس هذا التنين وعدد رؤوسه بعدد المشتهيات فلهذا من كان اقل تمتعه
بالدنيا اقل كان العذاب عليه اخف ومن لا علاقة له مع الدنيا اصلاً فلا عذاب عليه اصلاً الثاني
خزي خجلة المفتضحات فقدر رجلاً خسيساً رذيلاً فقيراً عاجزاً قربه ملك من الملوك ورفعه
وقواه وخلع عليه وسلم اليه بابه ومكنه من دخول حرمه وحجرة خزائنه اعتماداً على امانته فلما عظمت
عليه النعم طغى وبغى وصار يخون في خزائنه ويفجر باهل الملك وبناته وحرمه وهو في جميع ذلك
يظهر الامانة للملك ويعتقد انه غير مطلع على خيانته فبينما هو في غمرة فجوره وخيانته اذ لاحظ
روزنة فرأى فيها الملك مطلعاً عليه منها وعلم ان الملك كان مطلعاً عليه في كل يوم وليلة لكنه
كان يغض عنه ويمهله حتى يزداد خبثاً وفجوراً ويزداد استحقاقاً للنكال ليصب عليه في الآخرة
انواع العذاب فانظر الآن الى قلبه كيف يحترق قبل بدنه بنار الخزي والخجلة وبدنه بمعزل عنه وكيف
يود ان يعذب بدنه بكل عذاب ويكتم فضيحته فكذلك انت تتعاطى في الدنيا اعمالاً وهي
مستحسنة فكذلك لتلك الاعمال ارواح وحقائق خبيثة قبيحة وانت جاهل بها معتقد حسنها فينكشف

لكن في الآخرة حقايقها في صورة الغيبة فتختزي وتخجل خجلة تؤثر عليها الآلام ببدنيتك فان قلت كيف
ينكشف ارواحها وحقايقها فاعلم ان ذلك لا تفهمه الا بالامثال فمن جملته مثلا ان يؤذن المؤذن
في رمضان قبل الصبح فيرى في المنام ان بيده خاتما يختم به افواه الرجال وفروج النساء فيقول له
ابن سيرين هذا رؤيا صادقة انك تؤذن قبل الصبح فتامل الآن انه لما بعد بالنوم قليلا عن عالم الحس
الجسماني انكشف له روح عمله لكن لما كان بعد في عالم التخيل لان النايم لا يزول تخيله غشاوة
الخيال بمثال متخيل يوافي ثم والختم لكنه مثال اول على روح العمل من نشر الاذان لان عالم
المنام اقرب الى عالم الآخرة فالتلبيس فيه اضعف قليلا وليس يخلو عن تلبيس ولاجله يحتاج الى التعبير لو
قال قايل لهذا المؤذن اما تستحيي ان تختم افواه الرجال وفروج النساء لقال معاذ الله ان
افعل هذا فلان اقدم ويضرب عنقي احب الي من ان افعل هذا فهو ينكره لانه يجهله مع انه يعمله ان ام
لان روحه قاصرة عن ادراك ارواح الاشياء وكذلك لو اكلت لحما ميتا على الاعتقاد انه لحم طير
فقال لك قايل اما تستحيي ان تاكل لحم اخيك الميت فلان لقلت معاذ الله ان افعل ذلك ولان
امرت جوعا اصبر على من ذلك فنظرت فاذا لحم اخيك الميت قد طبخ وقدم اليك ولتمن عليك
فانظر كيف تخزى وتفتضح به وبدنك في منزل من الحمد فكذلك يرى المغتاب نفسه في الآخرة
لان روح الغيبة تمزيق اعراض الاخوان والجملة التفكه بها وفي عالم الآخرة ينكشف ارواح
الاشياء وحقايقها وكذلك لو كنت ترمي حجارة الى حايط فقال لك قايل اما تستحي ان
تفعل ذلك والحجارة ترتد من الحايط وتقع في دارك وتصيب حدقة اولادك فتفقد
عينيك احداقهم كلهم لقلت معاذ الله ان افعل ذلك فقال ادخل دارك فدخلت فاذا
هو كذلك فانظر كيف تفتضح وتحرق قلبك تحسرا على عملك الذي ظننته هينا وهو عند
الله عظيم وهذا روح حسدك لا لحسدك فانك تحسده ولا تقدره وينحس عليك اهلك به وتميل
حسناتك الى ميزانه وهي قرة عينيك لانها سبب سعادة الابد فهي اعز من حدقة الولد عينيك
فاذا انكشف لك هذه الروح فانظر كيف تحترق بنيران الفضيحة وبدنك بمعزل عنه
فالقرآن كثيرا ما يعبر عن الارواح فلذلك قال في الغيبة ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا با
فكرهتموه وقال الله تعالى في الحسد يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فيكفيك من الامثلة مثال
الاذان والغيبة والحسد فقس على كل فعل نهاك الشرع عنه فلذلك ليتبع روح الفعل او
حقيقته وحسن ظاهره اي ظاهره حسن للبصر الظاهر وباطنه قبيح للبصيرة الناظرة من مشكاة
نور الله تعالى وعلى هذا اخبر الشرع حيث قال تعرض الدنيا يوم القيامة في صورة عجوزة
شوهاء زرقاء صفتها كيت كيت لا يراها احد الا ويقول اعوذ بالله منها فيقال هذه

دنياكم

دنياكم التي كنتم تتهالكون عليها فيصادفون في نفوسهم من الخزي والفضيحة ما يودون
ان يعروا وان اردت ان تفهم كيفية هذه الخجلة فاسمع حكاية رجل من ابناء الملوك زوج
باجمل امراة من بنات الملوك فشرب تلك الليلة فسكر واخطا باب الحجرة فخرج من الدار في
فراى جماعة نياما فصاح بهم فلم يجيبوه فظن انهم نيام فطلب العروس فراى واحدة نايمة في ثياب
جديدة فظن انها العروس فضاجعها واخذ يقبلها ويغشاها ويجعل لسانه في فيها ويمص ريقها
متلذذا ويمسح بالرطوبات التي تنصب من جميع بدنها على ظن ان ذلك عطرا ادخرته له فلما اصبح
افاق فاذا هو في ناووس المجوس واذا النيام الموتى وهذه عجوزة شوهاء قريبة العهد بالموت
عليها الحنوط وكفنها الجديد مصادف في فمه وانفه من رطوبات ريقها ومخاطها وعلى بدنه
من قاذورات اسافلها فاذا هو من قرنه الى قدمه ممتلئ من قاذوراتها ثم تتفكر في غشيانه
اياها وابتلاعه ريقها تهيج على قلبه من الخزي ما تمنى ان يخسف الله به الارض حتى ينجي
ما جرى عليه ولا يزال يعاود ذكره والابناء اصلا بل يجد نفسه ما عملت من سوء محضرا يود لو ان بينها
وبينه امدا بعيدا وبدنه بمعزل عن هذه المخازي والالام وهو في عذاب دايم في الغشيان والتقبيل
وقد ترى يتحمل المخازي ويحذر ان يطلع عليه احد فيتضاعف ضربه فاذا هو بابيه وجميع حشمه قد جاؤا في
طلبه واطلعوا على جميع مخازيه فهذه حال من تمتع بالدنيا ينكشف له كذلك في الآخرة روحها وحقيقتها
وهي معنى قوله تعالى وحصل ما في الصدور اي يفوض عليه حاصلها اي روحها وحقيقتها ومعنى
قوله تعالى يوم تبلى السراير اي يكشف عن اسرار الاعمال وارواحها القبيحة والحسنة وكما ان الذ الاطعمة
رجيعه اقذر وانتن فالذ تنعمات الدنيا حاصلها وسرها في الآخرة انتن واقبح ولذلك رسول الله قال
الله عليه وآله وسلم الدنيا بالطعام وعاقبتها بالرجيع الصنف الثالث حسرة فوات المحبوب
فقدر نفسك مع جماعة من اقرانك دخلتم في ظلمة فكان فيها حجارة ولا يرى الوانها فقال اقرانك
احمل من هذا ما تطيق فلعله يكون فيها ما تنتفع بها اذا خرجنا من الظلمة فقلت ولا احمل صخورها
التحمل في الحال واكد نفسي فيها وانا لا ادري عاقبتها فما هذا الا جهل عظيم فان العاقل لا يترك
الراحة نقدا بما يتوقعه نسيئة لا يستيقنه فاخذ كل واحد من اقرانك ما اطاق اخذه واعرضت على
ذلك تستجهلهم وتستحمقهم لانهم يتبلون تحت العبائة وتقلد وانت مرفه في الطريق بقصد و ... نفسك
عليهم فلما جاوزوا الظلمة نظروا فاذا هي جواهر ويواقيت بيضا اي كل واحد الآن دينار فاقبلوا
على بيعها وتوصلوا بها الى النعمة واصبحوا ملوك الارض فاخذوك واسترقوك لتعهد دوابهم ليتفقوا
عليك في كل يوم قدر الشبع من فضلات الطعام فكيف ترى اشتعال نيران الحسرة في قلبك و
بدنك بمعزل عنه وكم تقول يا حسرتا على ما فرطت ويا ليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل فنتبع

افيضوا علي افيض عليكم فيقولون لكن هذا حرام عليكما لم تكن تسخر منا وتضحك علينا فلابد وان
نسخر اليوم منكم كما سخرت منا فلا يزال ينقطع نياط قلبك من التحسر ولا ينفعك التحسر ولكن
تتشكى وتقول الموت يخلصني من هذا فاعلم ان حال تارك الطاعات في الاخرة كذلك ينكشف له و
لكن لا مطمع في الموت المخلص بل هي حسرة ابدية دائمة تتضاعف كل يوم وان كان البدن بمعزل
عنه وعند العبارة بقوله تعالى افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين
وذلك لانه يفيض على اهل المعرفة والطاعة من انوار جمال الربوبية ما يحصل به من اللذة مبلغ لا يوازيه
نعيم الدنيا بل يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات كما ورد به الخبر لا بمعنى تضاعف
المقدار بالمساحة بل يتضاعف الارواح كما ان الجوهرة تكون عشرة امثال الفرس لا بالوزن و
المقدار بل بروح المالية اذ قيمتها عشرة امثاله واعلم ان تحريم تلك اللذات وافاضتها عليهم
ليس من جنس تحريم الرجل نعمته على عبده بغضب او باختيار حتى يتصور تغييره بل هو كتحريم الله تعالى
على الابيض ان يكون اسود في حالة البياض وعلى الحار ان يكون باردا في حالة الحرارة وذلك لا
يتصور فيه التبديل بل مثال ذلك ان يقول للعالم الكامل رجل شيخ هرم من الجهال الذي كان
بليدا في اصل الفطرة ولم يمارس قط علما ولم يتعلم لغة افض علي قلبي من دقائق علمك فيقول
ان الله حرمه على الجاهلين معناه ان الاستعداد لقبوله انما يكتسب بذكاء اصلي فطري وممارسة
طريقة للعلم بعد تعلم اللغة والعربية وامور اخر كثيرة وانما بطل الاستعداد وفات استحق لتلك
الافاضة كما تستحيل افاضة الحرارة على البرودة مع بقاء البرودة فلا تظنن ان الله تعالى
يغضب عليك فيعاقبك انتقاما ثم تحدث نفسك رجاء حسن العفو فتقول لم يغضب بي لم تضره
معصيتي بل يلزم العذاب من المعصية كما يلزم الموت من السم واعلم ان هذه الحسرة دائمة
لانه منشأها تضاد صفتين لا يزول تضادهما ابدا مثاله ان الذي يعلق بحبل في عنقه او
طنبه رجله انما يتالم لتضاد الصفتين لا لصورة الحبل والتعليق لكن صفته الطبيعية تطلب
الهوي الى اسفل والمنع المتهيئ بالحبل يمانع الصفة الطبيعية فيتولد الالم فيه من تمانعهما
فكذلك الروح الانسان من الروح الروحاني الالهي باصل فطرته فهو بحكم الطبع حنين
الى العالم العلوي عالم الارواح والمرافقة للملأ الاعلى ولكن اغلال الشهوات وسلاسلها
تجذبها الى اسفل سافلين وهي شهوات الدنيا التي وهي صفة عارضة مخرجة للصفة الطبيعية
ومنعتها عن نيل مقتضاها والالم يتولد من بينهما والنار ايضا انما تؤلم لمضادة فان
الملائم للتركيب ثبات الاتصال والنار تضاد الاتصال بالتفريق بين الاجزاء ولو لم يكن قد
النار وسمعت بان شيئا لطيفا لينا تماس بدنك فيؤلمك لاستنكرته وقلت شيء لا صلابة
له للتماس واعلم ان التضاد مؤلم سواء كان بسبب خارج او داخل فان سم العقرب

يبقى

يبقى في العضو ويؤلم الخلط برودته المضادة لحرارة البدن ولا تظنن ان الالام انما تدخل من خارج
فان قلت ان العقرب لدغت من خارج فاعلم ان الم السن والم العين لا يتقاصر عنه وانما سببه
انصباب خلط داخل مضاد لمزاج العين والسن وليس ذلك باهون من لدغ العقرب والحية واعلم
ان تضاد الصفات في القلب يوم القيامة ايضا لا ينقص عما يؤلم السن والعين ومثاله في اضعف
الصفات ان البخيل المرائي اذا اطلقت منه عطية على الالسن المعنى ان من عنده من يريد ان يوفيه
بالسخاء يتالم قلبه لتضاد صفتين اذ البخل يتقاضاه ان لا يعطي وحب الجاه يتقاضاه ان يعطي
ان يعطي وقلبه بين اثنين الصفتين كشخص يجذبه شخصان فهذا امثال لحسرة الموت وعظمها
بقدر ما ينكشف من جلال الحق الثاني وهو تعلم بالحقيقة في هذا العالم في عالم الكشف وهو مما تعظيم
انتم عنه معرضون واعلم ان هذه الاصناف الخمسة لها ترتيب فالصنف الاول الذي يلقاه الميت
المعذب هو حرقة فرق المشتهيات وذلك حسب تمكن حب الدنيا ولذلك اضيف ذلك الى القبر وانما
هذا عذاب ... الميت في حال فراق ما يلذ به في الدنيا من جاه ومال ومنصب ونعمة
ثم بعد ذلك ينكشف له ارواح الاعمال وحقائقها القبيحة وذلك عند الانتشار التام في الموت
وبعد العهد بقوة صفات الدنيا تكل ... ولكن المعاينة في الموت اشد فهو كالكشف الاول فينكشف عليه
عند ذلك عند خزي الفضيحة ولذلك اضيف هذا الى يوم القيامة لانه واسطة بين منزل القبر وبين دار
القرار ولذلك قال الله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه اي يوم القيامة واما حسرة فوت المحبوب
ستقول عليه آخرا عند القرار في النار فيهما يقول افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله وذلك
لان بعد العهد عن الدنيا ربما يخفف عذاب النزوع عنها وطول العهد بالكشف يوجب خروج
عن خزي الافتضاح فان سورة عذاب الخزي يكون عند هجوم الافتضاح ثم يزول بالف الفضيحة
والخزي ايضا فاما ثم عند فتورهما قليلا تنبعث حسرة الفوت اذ يظهر جلالة الفائت ثم تنتج حسرة
الموت آخرا واشبه ان يكون ذلك لا اخر له وبهذا الحسرة تعرفه قطعا اذا عرفت نفسك وعرفت انك
لا تموت لكن تعمى عينك وتصم اذنك وتفلج اعضاؤك فاما الحقيقة التي انت بها انت فلا تفنى
بالموت اصلا بل يتغير حالك فقط فيبقى معك جميع معارفك وادراكاتك الباطنة وشهواتك
وانما يزيد تعذيبك بفراق ما احببت وافتضاحك بمظهر ما ينكشف في تلك الحال وتحسرك على
فوات ما تعرف عظم قدره بعد الموت لا قبله وهذا الكلام مقدمات العذاب الحسي الذي ورد
ايضا حق وله معان معلوم كما ورد به الشرع فاقنع الان بهذا القدر فان هذا الكلام لا يليق
بمثل هذا الكتاب ولا بد وان يحرك سلسلة الحمق الجاهلين ولكنهم اخس من ان ...

قال الله تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فلنقتصر على هذا
ولنختم باصول الاربعين لنختم به كتاب جواهر القران ومن طلب مزيدا عليه فليطلبه من كتاب ذكر الموت من
كتب الاحياء فالغرض الاظهر من هذا الكتاب التلويحات في التشويق الى الاستقصاء المذكور في ذلك
الكتاب ففيه تنكشف اسرار علوم الدين ولا ينتشر عن طلبة الا مشغوف با[illegible] لا يطلب من العلوم الا ما
يتخذه شبكة للحطام وآلة لكسب الحرام فلا يأنس عليه بذلك الكتاب ولا بما يشبهها اصلا والبتة
خاتمة في مناظرة النفس اعلم انا قد نبهناك في شوقك فان اعرضت عن الاصغاء او اصغيت
بظاهر قلبك كي تصغي الى الكلام الرسمي فقد خبت وخسرت وما ظلمت الا نفسك ومن اظلم ممن ذكر
بآيات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم
وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وان اصغيت اصغاء ذي فطنة وتيقظ
وتحركت تحرك من له قلب عتيد او القى السمع وهو شهيد فاخرج عن جميع ما يصدك عن سلوك صراط
المستقيم وما يصدك عنها الا حب الدنيا والغفلة عن الله تعالى واليوم الآخر واجتهد ان تفرغ قلبك
كل يوم ساعة عقيب صلوة الصبح وذلك عند صفاء الذهن فتتفكر في شانك وتنتظر في مبدا امرك و
معادك وتخاطب نفسك وتقول لها اني مسافر وما [illegible] سعادة الابد ولقاء الله تعالى و
خسراني شقاوة الابد والحجاب عن الله تعالى وراس مالي عمري وكل نفس من الانفاس كنز من الكنوز وجوهرة
من الجواهر يصاد بها سعادة الابد وای كنز اعظم من هذا واذا فني العمر انقطعت التجارة وحصل الياس
وهذا اليوم يوم جديد قد امهلني الله تعالى فيه ولو توفاني لكنت اشتهي ان يرجعني الى الدنيا
لاعمل صالحا فاحسبي يا نفسي انك قد توفيت ورجعت الى الدنيا يوما واحدا واجتهدي في هذا
اليوم الواحد وانظري لنفسك فان لم تمهلي الى الغد فقد استوفيت ربح هذا اليوم ولم تخسري وان
امهلت فاستانفي للغد مثل ذلك ولا تخدعن نفسك بتمني العفو فان ذلك ظن قد يكون
ولا ينفع التحسر ثم هب انه قد عفي عنك اليس قد فاتك ثواب المحسنين و[illegible] بحسرة
وندامة وبلائها فاذا قالت نفسك فماذا اعمل وكيف اجتهد فتقول اتركي ما يفارقك بالموت
والزمي بدلها اللازم وهو الله تعالى واطلبي الانس بذكره فاذا قالت فكيف اترك الدنيا وقد
استحكمت علائقها في قلبي فتقول اقبلي على قطع علائقها من حب المال باطن القلب كما علمناك
في الاصول العشرة من المهلكات فتفتشي عن اغلب علاقة من علائقها من حب مال او جاه
او حب [illegible] او عداوة او شهوة بطن او فرج او غير ذلك من المهلكات فليس الآن فتفكري في عظم
اهلاكها اياك فتنبعث لمجاهدتها ومخالفة مقتضاها او قد تخلصت منها
[illegible] توفيقه ومعونته فتدري انك مريضة العمر في مدة الحيوة وقد انباك طبيب
[illegible] ملاذ الاطعمة فتترك الا الادوية البشعة تنفعك [illegible] تتقرب

بقوله على مرارة الدواء طمعا في الشفاء التي تصبرين على الكد والتعب في السفر الطويل طمعا
في الاستراحة في المنزل فانت مسافرة ومنزلك الآخرة والمسافر لا يستريح ويتحمل التعب والكد فان استراح
انقطع في الطريق وهلك وتقول يا نفسي ما الذي تطلبين من الدنيا ان طلبت المال ووجدته
وجمعت فيكون في اليهود جماعة اغنى منك وان طلبت الجاه وملكت وجهات فيكون في اسلاف
الاتراك [illegible] من يتولى عليك ويكون جاهه اعظم من جاهك فان كنت لا تتركين الدنيا
[illegible] عذابها في الآخرة افلا تتركين عنه للجنة في شركائها اما تعلمين انك لو اعرضت عن الدنيا واقبلت
على الآخرة كنت وحيد الدهر واحد العصر فريد العصر لا يوجد الدين الا قليل نظراؤك ان طلبت
الدنيا كنت في اليهود والحمقى من يسبقك بها فاف لدنيا كان في اليهود من يسبقك بها فتفكري يا نفس
وانظري لنفسك فلا تتركي احدا يغلبك وكذلك القدر لا تزال تناظر نفسك حتى تطاوعك على سلوك
الصراط المستقيم الا ان هذه المناظرة اهم لك اذا كنت عاقلا من مناظرة الحنفية و
الشافعية والمعتزلة وغيرهم فانهم لا تعاديهم وتجادلهم ولا يضرك خطا وهم ولا خطاء غيرهم
ولا هم يقبلون منك ولا انت تقبل منهم الصواب وان صار اظهر من الشمس وعنتهم وتترك
اعدى عدوك بين جنبيك لا تنازعه ولا تناظره بل [illegible] لكن من شهواتها الباطلة
الباطنة فتنبسط بالمكر الدقيق الجليل لقضاء الشهوة هل هذا الا مثل من ادركه الانكاس
على قمة الراس فهل رايت غط رجلا [illegible] تحت ثوبه حيات وعقارب اقبلت عليه لتهلكه
فاخذ المروحة ليدفع الذباب عن وجه غيره رجل يستحق من يفعل ذلك الا الخزي فاعلم ان هذا
حالك في اشتغالك بمناظرة غيرك واعراضك عن رياضة نفسك وفي هذا العرض يكشف
لك روح عملك يوم تبلى السرائر كما ينكشف على كيفية مكاشفات الآخرة باسرار الاعمال و
ارواحها ولم تناظر نفسك مدة طويلة لا تخليك لمناجاة ربك وذكره والاقبال عليه
ثم طريقك مع النفس اذا ما لفتك ان تعوقها بايزجرها وتعلم انها كالكلب لا يتأدب الا
بالضرب وان اردت ان تتعلم طرق مناظرتها ومراقبتها ومحاسبتها ومعاقبتها فاطلبه من
الى سنة والمراقبة فان هذا الكتاب لا يحتمله والله تعالى يوفقنا واياك بفضله وسعة
جوده وكرمه انه على ما يشاء قدير والحمد لمن حق له الحمد وهو المعين وهو وليه والصلوة والسلام على نبينا
وصفيه وعلى آل رسوله والصحابة المتقين والائمة المنيبة على نبيه وتوفيقه على اتمام [illegible]
على كنوز الحكم المعظمة والجواهر الكريمة للامام المسماة للنور الالهي الرباني
عند الله المؤيد بالتوفيقات العرفاني ابي حامد محمد الغزالي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه
فان لم يفعل فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقال عليه السلام اذا حضر العشاء والعشاء فابدؤا بالعشاء
وقال صلعم اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه وعن انس انه لا ياكل وحده وقال صلى الله عليه وآله وسلم كل مما يليك
الا الفاكهة قال صلعم انهشوا نهشا اي الخبز قال صلى الله عليه وآله وسلم اكرموا الخبز فان الله تعالى انزله
من بركات السماء وقال صلعم اذا وقعت لقمة احدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من الاذى ولا يدعها
للشيطان قال صلعم مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا قال عليه السلام الايمن فالايمن قال صلعم من اكل
ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي ولده والدعاء بعد الطعام الحمد لله الذي اشبعنا تتم النعمة
وتنزل البركات اللهم اطعمنا طيبا واستعملنا صالحا قال عليه السلام كل لحم نبت من حرام فالنار اولى
به قال صلعم اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه هذا مما حفظ بالدين لعموم نفعه قال صلعم
اتحدوا وضوءكم جمع الله شملكم قيل المراد ان يجمع الماء والطشت حتى الغسل ولا يصب ماء كل واحد
قال صلعم لا تزال الملائكة تصلي على احدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع قال صلعم اذا
جاءكم الزائر فاكرموه قال صلعم من اطعم ان في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من
باطنها قيل لمن هي قال لمن الان الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال خيركم
من اطعم الطعام وقال صلعم من اطعم اخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار
سبع خنادق ما بين كل خندق مسيرة خمسمائة عام وعن رسول الله انه دخل دار بريرة وهي غائبة
واكل طعامها وكان من صدقة قال لها بلغت الصدقة محلها وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قدموا ما حضر ولا تتكلفوا للضيف ما ليس عندكم قال صلعم من سر اخاه المسلم فقد سر الله عز وجل
قال صلعم فيما رواه جابر عنه من لذذ اخاه بما يشتهي كتب الله له الف الف حسنة ومحي عنه
الف الف سيئة ورفع الف الف درجة واطعمه الله من الثلاث الجنان جنة الفردوس وجنة
عدن وجنة الخلد قال رسول الله صلعم لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من ابغض الضيف فقد
ابغض الله ومن ابغضه الله قال صلى الله عليه وآله وسلم لو دعيت الى كراع لاجبت ولو
... قال عليه السلام من لم يجب الداعي عصى الله ورسوله قال صلى الله عليه وآله وسلم من اكرم اخاه

المؤمن

المؤمن فانما يكرم الله قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا خير فيمن لا يضيف وعن رسول الله صلعم انه سئل
وقالوا ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل السلام وعنه عليه السلام انه سئل عن الحج المبرور فقال
اطعام الطعام وطيب الكلام قال صلعم انه من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس قال صلعم
فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وقال صلعم سيد الادام اللحم قال صلعم ان
من سنة الضيف ان يشيع الى باب الدار قال ابو قتادة قدم وفد النجاشي على رسول الله صلعم
فقام عليه السلام يخدمهم بنفسه فقال له اصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال انهم كانوا لاصحابي مكرمين
واني احب ان اكافيهم قال صلعم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم قال صلعم
الضيافة ثلثة فما زاد صدقة وقال صلى الله عليه وآله وسلم فراش للمرأة وفراش للرجل وفراش
للضيف والرابع للشيطان عن ابراهيم النخعي انه قال الاكل في السوق دناءة اسنده الى النبي صلعم
وقد نقل على ضده عن ابن عمر انه قال كنا ناكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نمشي
ونشرب ونحن قيام وراى بعض مشايخ الموفقين ياكل في السوق

قال سفيان بن عيينة بلغنا عن ابن عباس انه قال لو ان حملة القرآن اخذوه بحقه وما ينبغي لاحبهم الله ولكن
طلبوا به الدنيا فابغضهم الله وهانوا على الناس وروي عن ابي جعفر بن علي عليه السلام في قول الله عز وجل فكبكبوا فيها هم
والغاوون قال قوم وصفوا الحق والعدل بالسنتهم وخالفوه الى غيره عن ابي هريرة من اذى لي وليا
فقد آذنته بالحرب رواه البخاري عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلعم ان من اجلال الله اكرام ذي
الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه واكرام ذي السلطان رواه ابو داود وهو حديث
حسن روى الدارمي باسناده عن عبد الله ابن مسعود قال اقرأوا القرآن فان الله لا يعذب قلبا
وعى القرآن وان هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه فهو آمن ومن احب القرآن فليبشر وعن معاذ بن انس
ان رسول الله صلعم قال من قرأ القرآن وعمل بما فيه البس والداه تاجا يوم القيامة ضوءه احسن من ضوء
الشمس في بيوت الدنيا فما ظنكم بالذي عمل بهذا رواه ابو داود وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى
الله عليه واله وسلم من شغله القرآن عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وفضل كلام الله سبحانه
وتعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه رواه الترمذي وقال حديث حسن وعن ابن عباس
ان الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن عبد الله
بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه واله وسلم قال يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في
الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرأها رواه ابو داود والترمذي والنسائي وقال الترمذي حسن صحيح وعن
عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلعم من قرأ حرفا من كتاب الله عز وجل فله حسنة والحسنة بعشر امثالها
لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن ابي امامة
الباهلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول اقرأوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه
رواه مسلم وعن ابن عمر عن النبي صلى الله [illegible] قال لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء
الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله
[illegible] وسلم من قرأ القرآن ثم رأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظمه الله وقال صلى
[illegible] شفيع يوم القيامة افضل عند الله من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيرهما وقال افضل عبادة
[illegible] عليه واله وسلم ان الله قرأ طه ويس قبل ان يخلق الخلق بالف عام فلما سمعت
[illegible] نزل عليهم هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تنطق وقال
[illegible] لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ مما بين الناس

وقد

وقد جمع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقال ان اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وقال
من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وذكر تفاصيل عذابهم فقال يؤتى بالعالم يوم القيامة
فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطوف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول
كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن المنكر وآتيه رواه البخاري ومسلم وقال صلعم مررت ليلة اسري
بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت وفت فقلت يا جبرئيل من هؤلاء فقال خطباء
من امتك يقولون ما لا يفعلون ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به وقال خير الخيار العلماء وشر الشرار
شرار العلماء وقال صلعم من غزا وهو لا يطلب الا عقالا فله ما نوى فالغازي والعالم والمتعبد والمتصدق فليس له
من عبادته الا ما نواه عن رسول الله صلعم لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا
وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وقال صلعم من سره ان يلقى الله تعالى غدا مسلما
فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن فان الله شرع لنبيكم سنن الهدى وانهن من
سنن الهدى ولو انكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم
سنة نبيكم لضللتم وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد الى مسجد من هذه المساجد الا كتب الله له بكل
خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة وقد قال صلى الله عليه واله وسلم اذا رأيتم الرجل
يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالايمان فان الله تعالى قال انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا
من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة رواه احمد وابو داود باسناد صحيح عن ابن عباس
اكرم الناس علي جليسي الذي يتخطى الناس حتى يجلس الي لو استطعت ان لا يقع الذباب على وجهه لفعلت
قال صلعم ما زاد الله بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله عن ابي سلمة المدني عن ابيه عن جده
قال قال رسول الله صلعم من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله
ومن اكثر ذكر الله احبه الله روي ان النبي صلعم كان في نفر من اصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على
الباب وبه زمانة يتكره منها فاذن له فلما دخل اجلسه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على فخذه
ثم قال كل فكان رجل من قريش اشمأز منه وتكره فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة [illegible]
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يخرج من النار عنق له اذنان تسمعان وعينان تبصران [illegible]
وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين [illegible]
جبار ولا بخيل ولا سيء الملكة قال ابو هريرة قال النبي صلعم يحشر الجبارون [illegible]
صورة الذر تطأهم الناس لهوانهم على الله وقال عليه السلام [illegible]
لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم [illegible]

سماته لا خيك فيعافيه الله ويبتليك عن عبد الرحمن ابن شبل قال قال رسول الله صلعم اقرأوا القران
قبل ان ياتي قوم يقيمون قامة القدح ولا يتاجلونه رواه ابو داود ومعناه من رواية سهل
بن سعد ومعناه يتعجلون اجره بمال او بسمعة ونحوها روي ان عبادة بن صامت انه علم رجلا من اهل
الصفة القران فاهدى له قوسا فقال له صلى الله عليه واله وسلم ان سرك ان يطوق بها طوقا من نار فاقبلها
وهو حديث مشهور رواه ابو داود وغيره عن عبد الله ابن عمرو ابن العاص قال قال رسول الله صلعم لا يفقه
من يقرأ القران في اقل من ثلث رواه ابو داود والترمذي والنسائي وغيرهم وقال الترمذي حديث
حسن صحيح والله اعلم وقال صلى الله عليه واله وسلم يا ابا هريرة اتريد ان تكون رحمة الله عليك حيا ومقبورا
ومبعوثا فقم من الليل ... وانت تريد رضاء ربك يا ابا هريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك
في السماء كضوء الكواكب والنجوم عند اهل الدنيا وقال صلى الله عليه واله وسلم عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين
قبلكم وان قيام الليل قربة الى الله وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال
صلى الله عليه واله وسلم ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الاخر خير له من الدنيا وما فيها ولولا ان
اشق على امتي لفرضتهما عليهم وانشد بعض السلف الا من اراد جوار الرحيم وحوز النعيم
في دار الابد فلا يغفلن على بهجة الا قد الليل فيغنى رقد فان غروه معنى ها ديا
ولا يظهرن بذلك البلد وانشد بعضهم تيقظوا من نومكم يا نيام قد هزم الفجر جنود الظلام
يا نائما عن ورده انتبه الليل قد اسرع في الانهزام يا ذا الذي استغرق في نومه
لم لا تمجد ربك الذي لا ينام مولاك يدعوك اما بابه وانت مشغول بطيب المنام يدعوك
في الليل بلطفه تعرض عنا يا كبير الانام مولاي ما انت الهي مذنب اسالك العفو بغير
انتقام وصلي يا رب على المصطفى محمد الهادي عليه السلم عن ابن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه واله وسلم انما مثل صاحب القران كمثل الابل المعقلة ان عاهد عليها امسكها وان اطلقها
ذهبت وعن انس قال قال رسول الله صلعم عرضت علي اجور امتي حتى القذاة يخرجها
الرجل من المسجد وعرضت علي ذنوب امتي فلم ار ذنبا اعظم من سورة من القران او اية
اوتيها رجل ثم نسيها رواه ابو داود والترمذي قال عليه السلام زينوا القران باصواتكم
عليه السلام ليس منا من لم يتغن بالقران رواه البخاري ... الاستغناء بالقران
... وترديد الالحان به وهو اقرب عند اهل اللغة وروي انه صلعم كان
... فقالت يا رسول الله كنت استمع قراءة رجل ما

سمعت احسن صوتا منه فقام عليه السلم حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى ابي حذيفة
الحمد لله الذي جعل في امتي مثله عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة
قال النظر في المصحف والتفكر فيه عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله عليه السلم اقرأوا القران
بلحون العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق واهل الكتابين والنوح عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة
لا تضعوا المصحف عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم
مصاحفكم فالدبار عليكم وعن ابي بكر قال قال رسول الله صلعم تدعى في التورية المعمة قيل وما المعمة
قال تعم صاحبها خير الدنيا والاخرة وتدعى الدافعة والقاضية تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي كل حاجة
من قرأها عدلت له عشرين حجة ومن سمعها عدلت الف دينار في سبيل الله ومن كتبها وشربها ادخلت جوفه
الف دواء والف نور والف يقين والف بركة والف رحمة ونزع منه كل غل وداء وقال ابو عبد الله
وحق سورة ان يبلغ ذلك من صاحبها فانه روي عن رسول الله صلعم انها قلب القران قال رسول الله صلعم
عليه القران افضل من كل شيء دون الله وفضل القران على سائر الكلام كفضل الله على خلقه فمن وقر القران
فقد وقر الله ومن لم يوقر القران لم يوقر الله والقران شافع مشفع ومن شفع له القران شفع ومن
جعله امامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه ساقه الى النار وحملة القران المحفوفون برحمة الله الملبسون
نور الله المعلمون كلام الله من والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد عادى الله يقول الله تعالى يا
حملة القران استجيبوا لربكم بتوقير كتابه يزدكم ويحببكم الى عباده يدفع عن مستمع القران بلوى
الدنيا ويدفع عن تالي القران شر الاخرة ومن قرأ اية من كتاب الله كان افضل مما تحت العرش
الى النجوم وان في كتاب الله سورة يدعى صاحبها الشريف يوم القيامة يشفع لصاحبها اكثر ...
ويغفر وهي سورة يس قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان الله تعالى قرأ طه ويس قبل ...
تلثين ربما هي مثل ايام الدنيا فلما سمعت الملائكة ... خلق لا يعلمون ان الله ... قد
في الارض ولا يعلمون ان الله ... ادم وابليس رواه ابن عباس وقال ...
صباحا اظهر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وانشد ...
في صبر الحبة فاستقاموا ثم امنوا ثم امنوا واتقوا ...

من عمل عملا من هذه الاعمال شيئا يريد به عوضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة فالقرآن اعلى اعمال
الآخرة وقد قال صلعم من بدا بحظه من دنياه فاته حظه ولم ينل من دنياه الا ما كتب له
ومن بدا بحظه من آخرته نال حظه من آخرته ولم يفته من دنياه ما قسم له وذكر الشيخ ابو الليث
السمرقندي في تفسيره انه قال رسول الله صلعم ان من خير الناس وخير من يمشي على جديد الارض المعلمون وكلما
خلق الدين جددوه واعطوهم ولا تستأجروهم فتحرجوهم فان المعلم اذا قال للصبي بسم

الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله
الرحمن اى من الثواب الرحيم
كتب الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله وحده وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وآله وبعد فهذا الكتاب الكشف والتبيين في غرور
الخلق اجمعين اعلم ان الخلق قسمان حيوان وغير حيوان والحيوان قسمان مكلف وغير مكلف والمكلف من خاطبه الله
بالعبادة وامره بها ووعده بالثواب عليها ونهاه عن المعاصي وحذره العقوبة عليها ثم المكلف قسمان مؤمن وكافر والمؤمن
قسمان طائع وعاص وكل واحد من الطائعين والعاصين قسمان عالم وجاهل ثم اعلم ان الغرور لازم لجميع
المؤمنين والكافرين الا من عصمه رب العالمين وان الكشف عن غرورهم وابين الحجة عليه واوضحه
غاية الايضاح وابينه غاية البيان بالتفصيل من العبارة والايجاز بما يكون لك مقنعا واعلم ان المغرورين
من الخلق اهل الكافرين اربعة اصناف صنف من العلماء وصنف من العباد وصنف من ارباب الاموال وصنف من
المتصوفة ولنبدأ بغرور الكفار وهم قسمان منهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور فاما الذين
غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا الدنيا نقد والآخرة نسيئة والنقد خير من النسيئة ولذات الدنيا يقين ولذات
الآخرة شك ولا يترك اليقين بالشك وهذا قياس فاسد وهو قياس ابليس لعنه الله في قوله انا خير منه فظن
ان الخيرية في النسب وعلاج هذا الغرور شيئان اما التصديق وهو الايمان واما البرهان اما التصديق فهو ان
يصدق الله في قوله ما عند الله خير وابقى وقوله تعالى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ويصدق الرسول فيما جاء به
واما البرهان فهو ان يعرف وجه فساد قياسه لان قوله الدنيا نقد والآخرة نسيئة مقدمة صحيحة واما قوله ان النقد خير
من النسيئة فهو محل التلبيس وليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير وان كان
اقل منه فالنسيئة خير منه والآخرة ابدية والدنيا غير ابدية واما قولهم لذات الدنيا يقين ولذات الآخرة
شك فهو ايضا باطل بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان احدهما الايمان والتصديق تقليدا للانبياء
والعلماء كما يقلد الطبيب الحاذق في الدواء والمدرك الثاني الوحي للانبياء والالهام للاولياء
ثم مثاله في معرفة النبي صلى الله عليه للامور الآخرة ولامور الدنيا تقليد المريض الطبيب فان التقليد ليس بحجة صحيحة
والنبي صلى الله عليه وآله كان من ذلك كشف له الاشياء وشاهدها بنور البصيرة كما شاهد بحس
بالعين فكذلك والمؤمنون لحسن ظنهم ويقينهم اذا سمعوا امر الله تعالى وهي للذين الصالحة
وتركوا الشهوات وهم هذا ركن الكفر وهذا الغرور لمحبة الدنيا للكافرين والمؤمنين جميعا فانهم

الكفر بالله فقد قال لقول بنحوه في الغرور بالستر انه لو كان الله سعيدا [illegible] كما اخبر الله عنهم في سورة الكهف حين
قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة الآية وسبب هذا الغرور [illegible] لعنه الله [illegible]
مرة الى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعم الآخرة ومرة ينظرون الى تأخير عذاب الله عنهم في الدنيا فيقيسون عليه عذاب
الآخرة كما اخبر الله عنهم في قولهم لولا يعذبنا الله بما نقول ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء فيزدرونهم ويقولون اهؤلاء
من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذي نظم في قلوبهم انهم يقولون قد احسن الله الينا
بنعيم الدنيا وكل محسن محب وكل محب يحسن في المستقبل [illegible] وانما يقع في قلوبهم هذا الخيال بسبب [illegible] التشبيه وذلك
محض الغرور بالله ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الله يحمي عبده من الدنيا كما يحمي احدكم مريضه من الطعام والشراب وهو
يحبه وكذلك كان ارباب البصائر اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا واذا اقبل عليهم الفقر فرحوا وقالوا مرحبا بشعار الصالحين
وقد قال تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه الآية وقال تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات
بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا
عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فمن [illegible] بالله [illegible] هذا الغرور [illegible]
هو الغرور [illegible] الله [illegible] خوف الله [illegible] ينظرون [illegible]
مع ما اعطاهم الله [illegible] وقد حذر الله تعالى من مكره فقال تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا ومكر
الله والله خير الماكرين وقال تعالى فمهل الكافرين امهلهم رويدا [illegible] وفرقة
واغرور العصاة من المؤمنين فقولهم ان الله كريم وانا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وذلك [illegible]
الرجاء محمود في الدين وان نعمة الله واسعة ورحمته شاملة [illegible] وانا موحدون ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الايمان [illegible]
[illegible] وربما كان [illegible] الصالحين [illegible] وذلك [illegible] الغرور [illegible]
[illegible] الرسول [illegible] الشيطان [illegible] فان الله [illegible]
[illegible]
[illegible] الله [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] وقوله تعالى [illegible]
[illegible]
ولده وعنده جزاء [illegible] قوله صلى الله عليه وسلم

الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقوله تعالى ان الذين امنوا
والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم وقال تعالى جزاء بما كانوا يعملون
ولم يصح الرجاء الا اذا تقدمه عمل فان لم يتقدمه عمل فهو غرور [illegible] دائما ورد الرجاء [illegible] الخوف
واليأس [illegible] الفائزة [illegible] وفرقة [illegible] طائفة
طاعات ومعاصي الا ان معاصيهم اكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون انه ترجح كفة حسناتهم وكفة سيئاتهم اكثر وهذا
غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما تناوله من اموال الناس والشبهات
اضعافه [illegible] عشرة دراهم [illegible] الف [illegible] التي [illegible] وذلك
غاية الجهل وفرقة ومنهم من يظن ان طاعاته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا
عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه ويسبح الله في اليوم والليلة مائة مرة او الف مرة ثم يغتاب
المسلمين ويمزق اعراضهم [illegible] طول النهار [illegible] عدد تسبيحاته [illegible] الكذابين
[illegible] وذلك محض الغرور [illegible] من يصدق [illegible] وفرقة
[illegible] اصناف [illegible] الغرور [illegible] الصنف الاول من المغرورين العلماء المغرورون وهم فرق فرقة
منهم احكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها
الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله بمكان وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل
شفاعتهم في الخلق ولا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم
معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله تعالى وبصفاته [illegible] الحكمة [illegible] المعاملة معرفة الحلال والحرام
ومعرفة اخلاق النفس المذمومة والمحمودة ومثلهم مثل طبيب يطب غيره وهو عليل قادر على طب نفسه فلم يفعل [illegible]
الدواء [illegible] لا ينفع الدواء الا من شربه بعد الحمية [illegible] قوله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها
ولم يقل قد افلح من تعلم تزكيتها وكتب علمها وعلمه الناس [illegible] قوله صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم
القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وغير ذلك كثير وهؤلاء مغرورون نعوذ بالله [illegible] وانما غلب عليهم حب الدنيا و
النفس وطلب الراحة العاجلة وظنوا ان علمهم ينجيهم [illegible] وفرقة اخرى احكموا العلم والعمل
وتركوا المعاصي الظاهرة وغفلوا عن قلوبهم فلم يمحوا منها الصفات المذمومة عند الله كالكبر والرياء والحسد وطلب الرياسة
والعلو وارادة السوء بالاقران والنظراء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وذلك غرور [illegible] غفلوا عن قوله صلى الله عليه وسلم
ان الرياء الشرك الاصغر وقوله صلى الله عليه وسلم ان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقوله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف

فنسيان الفضول في الحب كما غلب على الثياب المعقول ... وغفلوا عن قوله إلا من أتى الله بقلب سليم فتعاهدوا الظاهر ونسوا قلوبهم
واشتغلوا بالظاهر وهم لا يعلمون أن القلب لا تنقطع طاعاته وهو كمريض ظهر به الجرب فأمروه بالطلاء وشرب الدواء فزال عنه
الظاهر ولم يزل ما بباطنه ولا يصل ما على ظاهره إلى ما في باطنه فلا يزال الجرب يزداد أبداً ما في باطنه فلا يزال ما في باطنه يسري إلى
الظاهر وكذلك الخبائث إذا كانت كامنة في القلب يظهر آثارها على الجوارح **وفرقة أخرى** علموا أن هذه الأخلاق الباطنة
أنها مذمومة من جهة الشرع إلا أنهم لأجل عجبهم بأنفسهم يظنون أنهم منفكون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم
بذلك وإنما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم والعمل فأما هم فأعظم عند الله من أن يبتليهم بذلك وإذا ظهرت عليهم مخايل
الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف وعذرهم أنهم ظنوا أن ذلك ليس بكبر وإنما هو عز الدين وإظهار شرف العلم ونصرة
دين الله وغفلوا عن فرح إبليس وعن نصرة النبي بماذا كانت وبماذا أرغم الكافرين وغفلوا عن تواضع الصحابة وقد ... [illegible]
ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة ويزعم أنه يطلب عز العلم وشرف الدين ومهما أطلق اللسان في أقرانه بالحسد
أو فيمن رد عليه شيئاً من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسد ويقول إنما هو غضب للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه
مغرور لأنه لو طعن على غيره من العلماء من أقرانه ربما لم يغضب بل ربما يفرح والذي يظهر الغضب عند الناس فيظهر أنه كبيره وربما
يظهر العلم ويقول غرضي فيه نفع الخلق وهو مراء لأنه لو كان غرضه صلاح الخلق لأحب صلاحهم على يد غيره ممن هو مثله أو
فوقه أو دونه وربما يدخل على السلاطين ويتودد إليهم ويثني عليهم فإذا سئل عن ذلك قال إنما غرضي أن أنفع المسلمين وأدفع
عنهم الضرر وهو مغرور فلو كان غرضه ذلك لفرح به إذا جرى على يد غيره ولو ظهر من هو أقبل عند السلطان أن يشفع في الخلق لغضب
وربما يأخذ من أموالهم وإذا خطر بباله أنه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وأنت إمام المسلمين و
عالمهم بل بك قوام الدين فيغتر بهذا التلبيس لعدم أنه مال لا مالك له والثاني أنه لمصالح المسلمين والثالث أنه إمام و
ينبغي أن الإمام يعرض عن الدنيا كالأنبياء والصحابة وأفاضل العلماء ومثلهم كما قال عيسى عليه السلام العالم السوء
كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع وأصناف غرور أهل العلم كثيرة وما يفسده
أكثر مما يصلحه **وفرقة أخرى** أحكموا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا
أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والكبر والحقد وطلب العلو وجاهدوا أنفسهم في التبري منها وقلعوا من القلب
منابتها الجلية القوية ولكنهم مغرورون إذ في زوايا القلب بقايا من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خدع النفس ما دق وغمض
فلم يفطنوا لها وأهملوها فمثلهم كمثل من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش فقلعه إلا أنه لم يفتش
عما لم يخرج بعد رأسه من تحت الأرض وظن أن الكل قد ظهر وبرز فلما غفل عنها ظهرت وأفسدت حب الزرع وربما تركوا

قلة [illegible]

قوله الخلق لتشكك بأنفسهم وربما نظروا إلى الخلق بعين الحقارة وربما يجتهد ويتخشع لينظر إليه بعين البركة **وفرقة أخرى**
تركوا المهم من العلوم واقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعايش
وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك علم الأعمال الظاهرة والباطنة ولم يتفقدوا الجوارح ولم
يحرسوا اللسان عن الغيبة والبطن عن الحرام والرجل عن المشي إلى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والرياء
والحسد وسائر المهلكات وهؤلاء مغرورون من وجهين أحدهما من حيث العمل وقد ذكرنا وجه غرورهم في كتاب الإحياء ومثالهم كمثل
المريض الذي تعلم الدواء من الحكماء وأما من حيث العلم فهؤلاء تركوا علم الأخلاق من حيث تزكية أنفسهم وتحليتها واشتغلوا بكتب الحيض
والديات واللعان والظهار وضيعوا أعمارهم في ذلك [illegible]
[illegible]
الذات ومعرفة الصفات [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] **وفرقة أخرى** اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الخلق [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **وفرقة أخرى** اشتغلوا بالوعظ [illegible]
[illegible] الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والإخلاص والصدق [illegible] مغرورون لأنهم يظنون أنهم إذا
[illegible] الصفات [illegible] منفكون عنها [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الزهد في الدنيا لشدة [illegible]

تعلم (?)

[illegible] والغرور [illegible]

دقة رغبتهم فيه ويحثون على الإخلاص وهم غير مخلصين ويظهرون الدعاء إلى الله وهم منه فارون ويخوفون بالله وهم منه
آمنون ويذكرون بالله وهم له ناسون ويقربون إلى الله وهم منه متباعدون ويذمون الصفات المذمومة وهم بها متصفون ويصرفون
الناس عن الخلق وهم على الخلق أشد حرصاً لو منعوا من المجالس التي يدعون فيها الناس إلى الله لضاقت عليهم الأرض بما رحبت ويزعم
غروره أن غرضه إصلاح الخلق ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غماً وحسداً ولو أثنى أحد من المترددين
إليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله إليه فهؤلاء أعظم غروراً وأبعد عن التنبه والرجوع إلى السداد وفرقة أخرى
عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ أهل هذا الزمان كافة إلا من عصمه الله [illegible] اشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات
خارجة عن قانون الشرع والعقل طلباً للإغراب وطائفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الألفاظ وتلفيقها فأكثر همهم في الأسجاع
والاستشهاد بأشعار الوصال والفراق وغرضهم أن تكثر في مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على أغراض فاسدة فهؤلاء شياطين
الإنس ضلوا وأضلوا فإن الأولين وإن لم يصلحوا أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم وأما هؤلاء فإنهم يصدون عن
سبيل الله ويجرون الخلق إلى الغرور بالله بلفظ الترجية فيزيدهم ذلك جرأة على المعاصي ورغبة في الدنيا لا سيما إذا كان الواعظ
متزيناً بالثياب والخيلاء [illegible] وفرقة أخرى
منهم قنعوا بكلام الزهاد وأحاديثهم في ذم الدنيا فيعيدونه [illegible] يحفظون من الكلام ما يحفظونه من غير إحاطة بمعانيه
فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم في المحاريب [illegible] وكل منهم يظن أنه ناج عند الله وأنه مغفور له
بحفظ كلام الزهاد مع خلوه من العمل وهؤلاء أشد غروراً ممن قبلهم وفرقة أخرى استغرقوا أوقاتهم في علم الحديث
أعني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الأسانيد الغريبة العالية فهمة أحدهم أن يدور في البلاد ويروي عن الشيوخ
ليقول أنا أروي عن فلان ولقيت فلاناً ومعي من الإسناد ما ليس مع غيري وغرورهم من وجوه منها أنهم كحملة الأسفار فإنهم
لا يصرفون العناية إلى فهم معاني السنة وتدبر معانيها وإنما يقتصرون على النقل ويظنون أن ذلك يكفيهم وهيهات بل المقصود
من الحديث فهمه وتدبر معانيه فالأول في الحديث السماع ثم الحفظ ثم الفهم ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا على السماع ثم
الحكمة ولو كان لا فائدة في الاقتصار على علم الحديث في هذا الزمان يقرأه الصبيان وهم غافلون والشيخ الذي يقرأ عليه
ربما يكون غافلاً ولا يصحح الحديث ولا يسمع وربما ينام [illegible] وهو لا يسمع وكل ذلك غرور وإنما الأصل في السماع
الحديث أن يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه ويؤديه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ
عن السماع فإن عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة أو من التابعين فيصير سماعك من الراوي كسماعك من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو أن تصغي وتحفظ وتروي كما حفظت [illegible] الذي يرويه أو يعمل به ويحفظ [illegible]
وحفظ الحديث يكون بطريقين أحدهما بالقلب بالاستدامة والذكر والثاني بالكتابة بعد السماع وتصحيح المكتوب ويحفظه
حتى لا تصل إليه يد من يغيره [illegible] وأنت محروس حتى لا تمتد إليه يد من يغيره [illegible] فلا يجوز أن يكتب سماع
الصبي [illegible] لا يجوز أن يكتب سماع الصبي في المهد والسماع شرط [illegible] والمقصود من الحديث العمل به
ومعرفته وله مهمات كثيرة كالتوقي [illegible] وروي عن [illegible] سفيان بن عيينة [illegible]

لكان أول

لكان أول حديث يسمعه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه فلو وفى بهذا لكفاه هذا الحديث وبعض
ثم يسمع غيره فهكذا سماع الناس وفرقة أخرى اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا أنهم
قد غفر لهم وأنهم من علماء الأمة إذ قوام الدين بالسنة وقوام السنة بعلم النحو واللغة فأفنوا أعمارهم في دقائق النحو واللغة وذلك غرور عظيم
فلو عقلوا لعلموا أن لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره في لغة العرب كالمضيع عمره في لغة الترك والهند وإنما فارقتها لغة العرب
لأجل ورود الشريعة بها فيكفي من اللغة علم الغريبين في الكتاب والسنة ومن النحو ما يتعلق بالكتاب والسنة وأما التعمق فيه إلى درجة لا
تتناهى فهو فضول مستغنى عنه وصاحبه مغرور الصنف الثاني من المغرورين أرباب العبادات والأعمال
والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلاة ومنهم من غروره في تلاوة القرآن ومنهم من غروره في الحج ومنهم من
غروره في الجهاد ومنهم من غروره في الزهد ومنهم فرقة أهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا إلى
السرف والعدوان كالذي تغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ ولا يرتضي الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات
البعيدة قريبة في النجاسة وإذا آل الأمر إلى أكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا
الاحتياط من الماء إلى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة رضي الله عنهم وفرقة أخرى غلب عليهم الوسوسة
في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة وربما تخرج الصلاة
عن الوقت وإن تم تكبيرة الإحرام يكون في قلبه تردد في صحة نيته وقد يتوسوس في التكبير حتى يغير صفة التكبير لشدة الاحتياط
فيه ويفعل ذلك في أول الصلاة ثم يغفل في جميعها ولا يحضر قلبه ويغتر بذلك ويعلم
أن حضور القلب في الصلاة هو الواجب وإنما غره إبليس وزين له ذلك وقال له هذا الاحتياط تتميز به عن العوام وأنت على خير عند ربك
وفرقة أخرى تغلب عليهم الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة وسائر الأذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق
بين الضاد والظاء [illegible] ولا يتفكر فيما سواه ذاهلاً عن معنى القرآن [illegible] في تلاوة القرآن
من تحقيق مخارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم في الكلام وهذا غرور عظيم ومثالهم مثل من حمل رسالة إلى مجلس السلطان وأمر
أن يؤديها على وجهها فأخذ يؤدي الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف ويعيدها مرة بعد أخرى وهو مع ذلك غافل عن مقصود الرسالة
ومراعاة حرمة المجلس فما أحراه بأن تقام عليه السياسة ويرد إلى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل وفرقة أخرى
اغتروا بقراءة القرآن فيهذونه هذاً وربما يختمونه في اليوم والليلة ختمة ولسان أحدهم يجري به وقلبه يتردد في أودية الأماني
والتفكر في الدنيا ولا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند أوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار
منه ويتلذذ [illegible] بأنه مرة ثم ترك أوامره
ونواهيه ويستحسن النغمة وربما كان له صوت طيب فهو يقرأه ويتلذذ به ويغتر باستلذاذه ويظن أن ذلك لذة مناجاة
الله سبحانه وسماع كلامه هيهات ما أبعده إذ اللذة في صوته فلو أدرك لذة كلام الله [illegible]
خاطره به ولذة كلام الله [illegible] فهو مغرور غرور عظيم وفرقة أخرى اغتروا بالصوم وربما صاموا
الدهر وصاموا الأيام الشريفة وهم [illegible] لا يحفظون ألسنتهم عن الغيبة ولا خواطرهم عن الرياء ولا بطونهم عن الحرام
عند الإفطار ولا ألسنتهم عن الهذيان بأنواع الفضول [illegible] تركوا الواجب وظنوا أنهم يسلمون وهيهات إنما يسلم من أتى الله

تعجب سليم فهم مغرورون اشد غرورا وفرقة اخرى اغتروا بالحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء
الوالدين وطلب الزاد الحلال وربما ضيعوا الصلوة المكتوبة في الطريق وربما عجزوا عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضوا
لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من الرفث والخصام وربما جمع بعضهم الحرام فانفقه على الرفقة
في الطريق وهو يطلب به الرياء والسمعة فيعصي الله في كسب الحرام اولا وفي انفاقه بالرياء ثانيا ثم يحضر البيت بقلب ملوث
برذائل الاخلاق وذميم الصفات وهو مع ذلك يظن انه على خير من ربه وهو مغرور وفرقة اخرى
اخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه واذا امرهم
بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة واذا باشر منكرا او انكر عليه غضب وقال انا المحتسب فكيف تنكر علي وقد يجمع الناس
الى المسجد ومن تأخر عنه اغلظ له القول وانما غرضه الرياء والسمعة والرياسة وعلامته انه لو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه
ومنهم من يؤذن ويظن انه يؤذن لله ولو جاء غيره واذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم اخذ حقي و
زوحمت ومنهم من يتقلد امامة مسجد ويظن انه على خير وانما غرضه ان يقال انه امام مسجد كذا وعلامته لو تقدم غيره وان كان اورع
منه واعلم ثقل عليه ذلك وفرقة اخرى جاوروا بمكة والمدينة واغتروا بهما ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم
وبواطنهم فقلوبهم معلقة ببلادهم ومشتاقة الى قول من يعرفهم ان فلانا مجاور ويتحدثون ويقولون قد جاورت بمكة كذا ولعلهم حفظوا
... حفظوا حق الله في مكة وحرم المدينة حفظوا حق النبي صلى الله عليه وسلم اكثر ومن لم يقدر على ذلك فهو
مغرورون بالمجاورة وقد ظنوا انهم الذين الحرمان يتحرمون وهيهات ... نفسه مشغولة ... فقيرة وصاحب الجهالة
وفرقة اخرى زهدت في المال وقنعت من
اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنوا انهم ادركوا رتبة الزهاد وهم مع ذلك راغبون في الرياسة والجاه
اما بالعلم او بالوعظ او بمجرد الزهد فقد تركوا اهون الامرين وباءوا باعظم
المهلكين فان الجاه اعظم من المال ولو ترك الجاه واخذ المال كان الى السلامة اقرب فهذا مغرورون
اذ ظنوا انهم من الزهاد في الدنيا ... بل ربما يقدمون الاغنياء على الفقراء ومنهم من يحب ... ومنهم من يعطي
المال ولا يأخذه خيفة من ان يقال بطل زهده وهو راغب في حمد الناس
ومنهم من شدد على نفسه في اعمال الجوارح حتى يصلي في اليوم والليلة مثلا الف ركعة ويختم
القرآن وهو مع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات وربما
يظن ان العبادات الظاهرة ترجح بها كفة الحسنات وهيهات وذرة من ذي تقوى وخلق واحد من اخلاق الاكياس
افضل من امثال الجبال عملا بالجوارح ثم قد يغتر بقول من يقول له انك من اوتاد الارض او من اولياء الله واحبابه
فيفرح بذلك ويظن ان تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله
وفرقة اخرى حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى احدهم يفرح بصلوة
الضحى وصلوة الليل وامثال ذلك ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في اول
الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم ما تقرب المتقربون بافضل من اداء ما افترض الله عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة
الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان احدهما يفوت والاخر لا يفوت او فضلان احدهما يضيق وقته والاخر يتسع وقته فان لم يحفظ

الترتيب كان مغرورا ونظائر ذلك اكثر من ان تحصى فان المعصية ظاهرة وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم
الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات التي لا قائم بها على ما قام بها غيره وتقديم الاهم من فروض
الاعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت مثل تقديم حق الوالدة على الوالد وتقديم نفقة الابوين على الحج وتقديم الحجة اذا حضرت
وقتها على الحج وتقديم الدين على فرض عن ... ومن اعظم العبد ... الحج ... والكلام ... الغرور في الترتيب ... لا يقدر عليه
الا العلماء الراسخون في العلم الصنف الثالث من المغرورين ارباب الاموال وهم فرق كثيرة ففرقة منهم يحرصون على
بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس ويكتبون اسماءهم بالآجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى
بعد الموت اثرهم وهم يظنون انهم استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين احدهما انهم يبنونها من اموال اكتسبوها من الظلم والشبهات
والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها فاذا عصوا الله في كسبها فالواجب عليهم التوبة ورد الاموال
الى اهلها الذين كانوا اخذوها من ورثتهم الذين لم يبق منهم احد فان لم يبق منهم احد فالواجب عليهم ان يصرفوها
الى اهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين لكن ذلك لا يظهر للناس فيبنون الابنية ليذكروا وانما غرضهم من بنائها
الرياء والشهرة ولذة الذكر والوجه الثاني انهم يظنون بانفسهم الاخلاص وقصد الخير في الانفاق ولو كلف واحد منهم
ان ينفق دينارا على مسكين لم تسمح نفسه بذلك لان حب المدح والثناء مستكن في باطنه وفرقة اخرى
ربما اكتسبوا المال الحلال واجتنبوا الحرام وانفقوه على المساجد وهي ايضا مغرورة من وجهين احدهما الرياء وطلب الثناء
والثاني انه ربما يكون في جواره او بلده فقراء وصرف المال اليهم اهم فان المساجد كثيرة والغرض منها الجامع وحده
فيجزئ عن غيره وليس الغرض بناء المسجد لكن سكة ... والفقراء محتاجون وانما خف عليهم ذلك
في بناء المسجد لظهوره ذلك بين الناس وليسمع الثناء عليه ومنهم من يظن انه يعمل لله وهو يعمل لغير الله
وانما غرضه في ... وقال انا انفقت لله عز وجل والثاني انه يصرف في زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش
المنهي عنها الشاغلة لقلوب المصلين لانهم ينظرون اليها فتشغلهم عن الخشوع في الصلوة وعن حضور القلب وهو
المقصود من الصلوة وكل ما طرأ في صلوتهم وفي غير صلوتهم فهو في ميزان الذي بناه اذ لا يحل تزيين المسجد بوجه من الوجوه
اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ... في مسجده بالمدينة ... فقال ... زخرفة ولا تنقشه فهو لا يرى المنكر معروفا ويتكل عليه وهم مغرورون في ذلك وفرقة اخرى
ينفقون الاموال في الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والافشاء
للمعروف ويكرهون التصدق في السر ويرون اخفاء الفقير لما يأخذه منهم جناية عليهم وكفرانا للمعروف وربما تركوا جيرانهم
جائعين ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه في اخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق
ويرجعون محرومين مسلوبين يهوي باحدهم بعيره بين القفار والرمال وجاره ماسور الى جنبه فلا يواسيه ولا
يتفقده وفرقة اخرى من ارباب الاموال يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ويشتغلون بالعبادة البدنية
التي لا يحتاجون فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى
على بواطنهم وهم محتاجون الى قمعه باخراج المال فقد اشتغلوا بطلب فضائل هم مستغنون عنها ومثلهم كمن دخل في ثوبه
حية وقد اشرف على الهلاك وهو مشتغل بطلب السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية كيف يحتاج الى ذلك

لبشر فلان كثير الصوم والصلاة فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره وانما حال هذا اطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين
افضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه الفقراء وفرقة اخرى غلب عليهم البخل فلا تسمح نفوسهم
الا باداء الزكاة فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الردي الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد
في حوائجهم او من يحتاجون اليه في المستقبل للاستسخار في خدمة او من لهم فيه على الجملة غرض او يسلمون ذلك الى من يعينه
واحد من الاكابر ممن يستظهر بحشمته لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجته وكل ذلك مفسد للنية ومحبط للعمل وصاحبه
مغرور ويظن انه مطيع لله وهو فاجر اذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره فهذا وامثاله من غرور اصحاب الاموال
وفرقة اخرى من عوام الخلق وارباب الاموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم
ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون ان لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ اجرا
وهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر انما هو لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة
لانها تبعث على العمل فان لم تبعث على العمل فلا خير فيها وربما يغتر بما يسمعه من الوعظ وربما تدخله رقة كرقة
النسا فيبكي وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزال يصفق بين يديه ويقول يا سلام سلم ونعوذ بالله وحسبي الله ولا حول
ولا قوة الا بالله ويظن انه قد اتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثله كمثل المريض الذي يحضر مجالس الاطباء او يسمع
ما يصفونه من الادوية ولا يتعاطاها ولا يشتغل بها ويظن انه ينال الراحة بذلك وكذلك الجائع الذي يحضر عند من يصف
الاطعمة اللذيذة فكل وعظ لا يغير منك صفة تغييرا تتغير به افعالك حتى تقبل الى الله عز وجل وتعرض عن
الدنيا اقبالا قويا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رايته وسيلة في ذلك كنت مغرورا
الصنف الرابع من المغرورين المتصوفة وما اغلب الغرور على هؤلاء ومنهم متصوفة اهل هذا الزمان الا من
عصمه الله اغتروا بالزي والمنطق والهيئة فساعدوا الصادقين من المتصوفة في زيهم وهيئتهم والفاظهم وادابهم
ومراسمهم واصطلاحاتهم واحوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلوة والجلوس على السجادة مع
اطراق الراس وادخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث وفي الشمائل والهيئات
فلما تكلفوا ذلك ظنوا انهم صوفية ولم يتعبوا انفسهم قط بالمجاهدة والرياضة ومراقبة القلب
وتطهير الباطن والظاهر من الاثام الخفية والجلية وكل ذلك من اوائل منازل التصوف ثم انهم يتكالبون على الحرام والشبهات
واموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم اعراض
بعض مهما خالفه في شيء من غرضه فهولاء غرورهم ظاهر ومثلهم كمثل عجوز سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين
ثبتت اسماؤهم في الديوان فتزينت بزيهم ووصلت الى الملك فعرضت على ديوان العرض فوجدت عجوزا زمنة فقيل
اجئت للاستهزاء بالملك اطرحوها حول الفيل فطرحت حول الفيل في رجله حتى قتلت وفرقة اخرى
زادت على هؤلاء في الغرور اذ صعب عليهم الاقتداء في بذاذة الثياب والرضا بالدون في المطعم والمنكح والمسكن وارادت
ان تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزين بزيهم فتركت الخز والابريسم وطلبت المرقعات النفيسة والفوط

الرقيقة

الرقيقة والسجادات المصبغات وقيمتها اكثر من الخز والابريسم ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فكيف الباطنة وانما غرضهم رغد العيش
واكل اموال السلاطين وهم مع ذلك يظنون بانفسهم الخير وضرر هؤلاء على السالكين اشد من ضرر اللصوص لان هؤلاء يسرقون القلوب
بالزي فيقتدي بهم غيرهم فيكونون سببا لهلاكهم فان اطلع على بعض عيوبهم فيظن ان اهل التصوف كلهم كذلك فيصير محروما من الصوفية
على الاطلاق وفرقة اخرى ادعت علم المكاشفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والوصول والملازمة في عين الشهود
والوصول الى القرب ولا يعرف ذلك والوصول اليه الا بالالفاظ والاسامي فتلقف من الفاظ الطامات كلمات فهو يرددها
وهو يظن ان ذلك اعلى من علم الاولين والاخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بعين الازدراء
فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحائك حياكته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات
المزيفة فيرددها كانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد انهم اجراء متعبون
ويقول في العلماء انهم بالحديث محجوبون ويدعي لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند
ارباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى و
تلقف الهذيان وحفظه وفرقة اخرى جاوزت هؤلاء واجتنبت الاعمال وطلبت الحلال و
اشتغلت بتفقد القلب وصار احدهم يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات
وشروطها وعلاماتها وافاتها فمنهم من يدعي الوجد والحب لله ويزعم انه واله بالله ولعله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة او كفر
فيدعي حب الله قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله عز وجل وعن ايثار
هوى نفسه على امر الله وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا لما تركه حياء من الله وليس يدري ان كل ذلك
يناقض الحب وبعضهم يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدري ان ذلك بدعة لم تنقل
عن السلف والصحابة وقد كانوا اعرف بالتوكل منه فما فهموا ان التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا ياخذون الزاد
وهم متوكلون على الله لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما من مقام
من المقامات المنجيات الا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الافات في ربع المنجيات من كتاب الاحياء
وفرقة اخرى ضيقت على نفسها في امر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص واهملت تفقد القلب والجوارح في
غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من اهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه وتعمق في ذلك ولم يدر ان الله لم يرض من العبد بطلب الحلال
فقط فمن اتبع البعض واهمل البعض فهو مغرور وفرقة اخرى ادعت حسن الخلق والتواضع والسماحة
فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة لحطام الدنيا وجمع المال وانما غرضهم التكبر وهم
يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم يظهرون ان غرضهم الارفاق وغرضهم الاستتباع ويظهرون ان غرضهم الخدمة وهم يجمعون
من الحرام والشبهات لينفقوا عليهم فتكثر اتباعهم وينتشر بالخدمة ذكرهم ومنهم من ياخذ من اموال السلاطين وينفق
عليهم ومنهم من ياخذ اموال السلاطين ليحج به طائفة من الصوفية ويزعم ان غرضه البر والانفاق وباعث الكل
الرياء والسمعة وذلك اهمالهم لجميع اوامر الله ورضاهم باخذ الحرام والانفاق منه ومثال الذي ينفق المال
الحرام في طريق الحج كمن يعمر مسجدا ويطينه بالعذرة ويزعم ان قصده العمارة وفرقة اخرى
اشتغلت بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب

150

1+75+1

149

النفس ومعرفة هذه ... جميع أحوالهم مشتغلون بالتحفظ من عيوب النفس بسبب طرف من الكلام في آفاتها
فيقولون ان النفس عيب والعقل ... عيبا عيب ليشتغلون فيه الكل ... وقتهم في ذلك لانه تم
لانهم ... الغرض ولم يشتغلوا بالغير ... ومثلهم من يشتغل ... فان ... وعواقبه ولم يسلك طريق الحج وذلك
لا ينتهي ... وفرقة اخرى ... اسلوك الطريق وانفتحت لهم ابواب المعرفة
من معارف المعرفة ... فتعلقت قلوبهم بالالطاف ... والتفكر فيها وفي كيفية الشيخ
بابها ... مع كل الحجة ونفيه
... ولم يكن قد
... في ... الملكة ... وفرقة
اخرى ... الله يفيض عليهم من الانوار ... والالطاف ... من الخطايا
ولم ... ولم يقعدوا ذلك
فقلطوا ان لله ... الحجب الا ديكم
انه قد وصل الى ... للاتية ... المقدم
الحجب بين العبد وربه النفس نفسه ... فيه حقيقة الحق كما
... العالم كله ... فيه الوجود كله
هو عليه ... محجوب ... القلب ... انوار
عليه ... القلب ... ومن ... فان
له ... انوار الله
عليه فقلطوا ... ينظر ... في المرآة ... بالخفية وفي ذلك
... وفي ذلك ... الدعاء الى
... في ذكره وقد ... المغرور ... ونسأل الله التوفيق وحسن ... والوصول الى
الدعاء بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين